موقف المستشرقين

من الصحوة الإسلامية

في النصف الثاني من القرن العشرين

تأليف

مجدي محمد فتح الباب

رقم الإيداع ٨٥٥٥/ ٢٠٠١ م - ١٤٢٢ هـ

دار الروضة
للنشر والتوزيع
القاهرة : ص ب ٢٢٢٧ رمز بريدى ١١٥١١
ت / ٥٩١٣٤٢٤ سور الأزبكية - العتبة

مركز توزيع الكتاب الإسلامى
٢ درب الأتراك خلف جامع الأزهر



إهـــــداء

إلى ســـيد المرسلين (ﷺ) إلى من جعله الله سببًا في هدايتنا إلى من أرسله الله شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا.

وإلى الصـــحابة الأجلاء الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله فرضي الله عنهم ورضوا عنه وإلى التابعين وأهل العلم من بعدهم إلى يوم الدين.

وإلى الدعـــاة المخلصين الذين تعلمت منهم أن الإسلام لن يضيع ولن يصبح هباء منثورًا وأن الله سيظهره على الدين كله وإلى علماء المسلمين الذين يدعون إلى الله ويدافعون عن دينه بالقلم واللسان.

وإلى والـــديّ الـــلذين شقا مصاعب الحياة ليمهدا لنا السبيل، وتحملا الشدائد والحياة القاسية بصبر جميل، رب ارحمهما كما ربياني صغيرا.

إلى كـــل مـــن أخذ بيدي ودفعني إلى إتمام هذا البحث وإلى كل من أســـدى إليّ نصـــحه وإرشاده وإلى كل من وقف بجانبي وساعدني ماديًا ومعـــنويًا وأخـــص بالذكر الأخ /فهد خلف السعيد (أبو ناصر) الذي بذل جهدًا كبيرًا أسأل الله أن يجعله في ميزان حسناته.

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾

شكر وتقدير

إلى الأقطاب الثلاثة الذين قام على أكتافهم هذا البحث ولولا فضل الله تعالى ثم فضلهم لما انتهى هذا البحث ولما خرج إلى الوجود.

الفقيــه المحــدث الأستاذ الدكتور / عبد الجواد خلف مؤسس ومدير جامعة الدراسات الإسلامية بكراتشي الذي أتاح لي فرصة إتمام الدراسات العــليا بجامعــته المباركة، وشجعني على طلب العلم وأحاطني برعايته وغمرني بنصحه وإرشاده.

وإلى فضيلة الأستاذ / عبد الوارث سعيد المدرس بكلية الآداب جامعة الكويت صاحب الإسهامات العديدة في اللغة والفكر والدعوة، الذي يتابع كــتابات الغربيين عن الإسلام والمسلمين وقام بترجمة بعضها مثل كتاب (الأصــولية فــي العالم العربي)، والذي اختار لي فكرة هذا البحث وقام بــترميمه لغة وفكرًا، فصاحبته ما يربو ثلاثة أعوام أستقى من بحر علمه الزاخر، وأستقى من فيض عطائه الفكري الوافر، وأقتدى بخلقه الفاضل، فأخذ بيدى منذ بداية البحث موجهًا ومعلمًا ومرشدًا ولم يضن عليَّ بجهده أو علمه أو وقته.

وإلى المحــدث الداعيــة فضــيلة الأستاذ الدكتور/ السيد محمد نوح الأســتاذ بكــلية الشــريعة جامعــة الكويت الذي لم يأل جهدًا في النصح والإرشــاد وتصــحيح مسار البحث، ومنحني فرصة الجلوس معه برغم ضيق وقته وكثرة انشغاله.

إليكم جميعًا جزاكم الله خيرًا.. ..

المقدمة

وتحتوي هذه المقدمة على النقاط التالية:

١- الافتتاحية.

٢- فضل العلم والعلماء.

٣- سبب اختياري لهذا الموضوع.

٤- منهج البحث.

٥- خطة البحث.

❑ الافتتاحية:

الحمد لله علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العليم الحكيم يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا وما يذكر إلا أولو الألباب، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله سيد الأولين والآخرين وإمام المتقين وقدوة العلماء العاملين، بعثه الله تعالى للناس أجمعين يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وعلى علماء أمته العاملين على حفظ شريعته من بعد إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرًا.

فضل العلم والعلماء

لقد أعطى الإسلام العلم والعلماء أهمية وعناية وتكريمًا قل أن تجد له نظيرًا في أي تشريع أو قانون وأمارة ذلك أن أول آية نزلت في القرآن الكريم أمرت بالقراءة ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ

وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ [١].والقراءة كما قيل نصف العلم لأنها من الطرق الموصلة إليه، كما كان العلم من أسمى الغايات التي أرسل من أجلها سيدنا محمد (ﷺ) قال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

ويكفي العلماء وطلاب العلم سموًا بمنزلتهم، وإجلالاً لرسالتهم، أن الله تعالى قرنهم بنفسه وملائكته في الشهادة بوحدانيته، والإقرار بعدالته فقال تعالى ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٣] .

كما أعلى سبحانه وتعالى درجاتهم على سائر العباد في قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [٤].

ثم بينت السنة المطهرة سمو منزلتهم وما أعد لهم من الفضل والكرامة في نصوص كثيرة مثل قوله (ﷺ) : "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين " [٥] ، ومثل قوله (ﷺ) : "من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة وأن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في

---

[١]- العلق: ١ ــ ٥.

([٢]) البقرة : ١٥١.

([٣]) آل عمران : ١٨.

([٤]) سورة المجادلة آية ١١.

([٥]) أخرجه الشيخان عن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنهما ، انظر اللؤلؤ والمرجان في ما اتفق عليه الشيخان لمحمد فؤاد عبد الباقي ٢١٨/١ ، ط ، دار الفكر كتاب الزكاة ، باب النهى عن المسألة برقم ٦١٥ .

الماء " [1] لذلك حرص سلف هذه الأمة على طلب العلم والتفقه في الدين لمّا رأوا ما له في الإسلام من الكرامة والمنزلة فأفنوا أعمارهم بالاشتغال بخيـــر العـــلوم وأشرفها على الإطلاق :كتاب الله وما ارتبط به من علوم شرعية وكذا كانوا مع سنة النبي (ﷺ)،

(١) أخـــرجه أبو داود وابن ماجه عن أبي الدرداء رضي الله عنه انظر صحيح سنن أبي داود للألباني ٢/٦٩٤ كتاب العلم باب فضل العـــلم برقم ٣٠٩٦ ط مكتب التربية العربي، وصحيح ابن ماجه للألباني ١/ ٤٣ باب فضل العلم والحث على طلب العلم برقم ١٨٢ ط مكتب التربية العربي.

سبب اختياري لهذا الموضوع

تدافعت عدة أمور في نفسي جعلتني أسارع لخوض غمار هذا البحث وهي كالآتي:

١- حــب هــذا الفــن (علم الاستشراق) والميل القلبي له منذ طلب العلم بجامعــة الأزهر الشريف على أيدي علمائنا المتبحرين الذين رغبونا في البحث وسبر أغوار هذا العلم ، وعقدت العزم وتمنيت التخصص لدراسة هذا اللون من العلم لأشبع رغبتي الجامحة ٠

٢- انتشــار معــالم ومظاهــر الصــحوة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، الأمر الذي دعا أعداء الإسلام إلى مراجعة حساباتهم في الأساليب التي تتعامل بها مع هذه الظاهرة المتنامية ٠

٣- قيــام رجــالات الإسلام لاسيما المشتغلين بالدعوة والفكر الإسلامي بدراسة هذه الظاهرة وتحليلها والدفاع عن حصون الإسلام وقلاعه٠

٤- اشــتداد الحرب الشعواء على الإسلام والمسلمين ، وظاهرة الصحوة الإســلامية المتــنامية فــي مشارق الأرض ومغاربها في المؤلفات المختلفة بل وفي سائر أجهزة الإعلام ٠

٥- ومما يدمي القلب ويجعله يفيض حزنًا وكمدًا الإفتراء البين على أمتنا حــتى ليشــعر الإنســان أن هذه الأمة لا وظيفة لها إلا الإفساد في الأرض٠

٦- إن حقــائق الــتاريخ ووقائعــه الصــادقة تثبت دائمًا عكس اتهامات المستشرقين ، ولكنها للأسف غابت عن أمتنا ، فآثرت إبرازها وتفتيق

الأذهان إلى أهميتها للاستشهاد بها في الدفاع عن الإسلام.

٧- أردت مـن خـلال هذا البحث الكشف عن حقيقة موقف الغرب من الإسلام وهي التجني دائمًا على الإسلام وتعمد التشويه لحقائقه الثابتة

٨- إحساسـي باهتمام الغرب الدائم بالأقطار الإسلامية مراعاة لمصالحه في هذه البلاد.

٩- تواجد الاحتكاك المستمر بين الغرب والدول العربية الإسلامية سواء على المستوى الفكري بما يثار من شبهات، أو ردود أو دراسات من الجانـبين ، أو على المستوى العسكري بما حدث من حروب بينهما كالفـتوحات الإسلامية أو الحروب الصليبية أو الاستعمار العسكري الحديث ، وما يقال الآن في الغرب عن الإسلام و المسلمين ما هو إلا صورة من صور الاحتكاك الفكري بين الغرب والعالم الإسلامي.

١٠- إظهـار الجوانـب الناصـعة في حياة أمتنا عبر تاريخها الطويل، فـأحداث الـتاريخ خير دليل على عدالة وتسامح أمة الإسلام، فَسَوْقَ الحجج والبراهين العقلية والنقلية قد تساعد في فهم الظاهرة الإسلامية أما الاستدلال بأحداث التاريخ فهو أعمق أثرا في النفوس والعقول.

١١- إن الغـرب الـذي يضع العالم الإسلامي موضع الاتهام هو الذي يستحق أن يوضع موضع الاتهام ، بما اقترفه من جرائم ومذابح تجاه العالم الإسلامي وغيره من الأقطار الأخرى، أو الأقليات التي تعيش في بعض أركان المجتمعات الغربية.

لكل هذه الأسباب المتقدمة شرح الله صدري للسير بخطى ثابتة في البحث والتدقيق والمطالعة ومجالسة أهل العلم حتى أحقق الغاية المنشودة من وراء بحثي هذا ، سائلاً الله تعالى العون والتوفيق والسداد والله من وراء القصد.

منهج البحث

هذا وقد رأيت أن أوضح في بداية هذه الرسالة منهج البحث ثم خطته٠

أولاً : منهج البحث :

وينقسم إلى قسمين : ١- منهج شكلي ٢- ومنهج علمي ٠

١- المنهج الشكلي:

وهـو المـنهج الذي يعتمد على شكليات البحث دون الخوض في مادته العلمية وقد سرت فيه على النحو التالي :

١) الآيات القرآنية : أذكر في الهامش السورة التي هي فيها وكذا رقمها٠

٢) الأحاديث النبوية : أبين في الهامش الراوي ، ومن خرجه ، ثم أذكر الكـتاب ورقم المجلد ، الصفحة و الباب ورقم الحديث إن وجد ، وقد حـاولت الرجوع إلى أمهات الكتب في الحديث الشريف ما وجدت إلى ذلك سبيلاً٠

٣) عـند ذكر المرجع لأول مرة أذكر اسم الكتاب ومؤلفه ، والمجلد ، و الصفحة ، واسم المطبعة ، وسنة الطبع ٠

٤) القيام بترجمة مختصرة لبعض الأعلام من المستشرقين إن تيسر ذلك

٢- المنهج العلمي :

وهـو المنهج الذي يعتمد على كيفية التعامل مع المادة العلمية محل هذا البحث وقد سرت فيه على النحو التالي :

- قمـت بقراءة ما وقع تحت يدي من مؤلفات مترجمة للمستشرقين،

سواء كانت أسفارًا كاملة أم حلقات تنشر بجرائد أو مجلات .

- متابعة صفحات الترجمة في بعض الجرائد والمجلات التي تترجم بعض ما يقال عن الإسلام في الصحافة الغربية .
- حاولت قدر الاستطاعة أن أسند كل قول إلى قائله من المصادر الأصلية لا سيما أقوال المستشرقين ، سواء منهم المنصفون أو غير المنصفين .
- القيام بذكر آراء المستشرقين أو شبهاتهم وقد حاولت أن أنقل النص كاملا ، بلا تعديل أو حذف أو إضافة محصورًا بين معقوفتين، ثم أشير إلى المرجع وذلك حتى تكون هناك الأمانة العلمية في النقل عن المستشرقين .
- إبراز المعنى و الفهم للنص أو الشبه كما يفهمه الناس في الغرب لا كما أفهمه أنا حتى تتوافر أيضًا الأمانة العلمية في النقل عن المستشرقين .
- الاستعانة في الردود على هذه الشبهات بالمراجع الإسلامية الأصيلة، وكتب المفكرين الإسلاميين .
- الاستئناس بآراء المستشرقين المنصفين في الردود على شبهات المستشرقين .
- الاستشهاد بالحوادث والوقائع التاريخية إلى جانب الأدلة النقلية أو العقلية لتكون خير شاهد على عظمة الإسلام و المسلمين و عدالتهم و تسامحهم في مختلف مراحل التاريخ .

ولا يفوتني أن أنوه أن الأمر لا يسلم من خروج عن هذا المنهج ، وهو إما لضرورة اقتضت ذلك ، وإما لسهو ، أو نسيان ، أعتذر عنه وأطلب فيه العفو و الصفح •

خطة البحث :

وقد رأيت تقسيم خطتي في بحثي هذا إلى مقدمة ، وسبعة فصول وخاتمة مفصلة على النحو التالي :

١) **المقدمة** وتحتوى على النقاط التالية :

- الافتتاحية •
- فضل العلم والعلماء •
- سبب اختيارى لهذا الموضوع •
- منهج البحث •
- خطة البحث •

الفصل الأول :

المبحث الأول : وتحدثـت فيــه عن مفهوم الإستشراق ، وتاريخه ، ودوافعه ووسائل المستشرقين، صلة الاستشراق بالاستعمار، صلة الإستشراق بالتبشير، منهج المستشرقين في البحث، تقييم منهج المستشرقين في البحث.

المبحث الثاني :عــن الصحوة مفهومها ومظاهرها تحدثت فيه عن مفهوم الصحوة ، والتنبؤ بالصحوة و مظاهر الصحوة المختلفة •

الفصل الثاني : تحدثــت فيه عن اهتمام المستشرقين وأسباب رصد الغــرب للصحوة ، والأحداث التي زادت من اهتمام الغرب بالحركات الإسلامية•

الفصل الثالث : تقييــم المستشرقين للصحوة أسبابها وخصائصها ،

تحدثت فيه عن أسباب الصحوة من وجهة نظر المستشرقين ، ثم تحدثت عن المستشرقين وخصائص الصحوة الإسلامية ٠

الفصل الرابع : تحدثت فيه عن المستشرقين و صور تشويه الصحوة الإســلامية ، و المصطلحات التي أطلقها الغرب على الحركات الإسلامية ، والصــفات الــتي أطــلقوها على المسلمين و اتهام المسلمين بحب الحروب ومعاداة الغرب وغير ذلك من الاتهامات ٠

الفصل الخامس : وتضــمن هــذا الفصــل الــردود عــلى شبهات المستشرقين السابقة ٠

الفصل السادس : جمعت فيه أبرز القضايا و الشبهات التي تثار على الصحوة الإسلامية متضمنًا الردود عليها ٠

الفصل السابع : تحدثــت فيــه عــن الأســاليب و الوسائل الجديدة للمستشرقين مع الاستشهاد بنماذج على ذلك ٠

الخاتمة و التوصيات ٠

المراجع ٠

قائمة المحتويات ٠

الفصل الأول:

بين الاستشراق والصحوة الإسلامية

١- المبحث الأول : مدخل إلى الاستشراق

٢- المبحث الثاني: الصحوة الإسلامية .. مفهومها ومظاهرها



بسم الله الرحمن الرحيم

المبحث الأول

مدخل إلى الاستشراق

مفهوم الاستشراق :

الاستشـــراق هـــو : عـــلم الشـــرق أو علم العالم الشرقي ۰ وعلى هذا فالمستشـــرق هو : كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله أقصاه و أدناه لغة وحضارة وآدابًا وأديانًا ۰ هذا هو المعنى العام للاستشراق ۰

والـــذي يعنيـــنا هـــنا هو المعنى الخاص للاستشراق وهو : الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته و تاريخه و حضارته وتشريعاته، وهـــذا هو المعنى الذي ينصرف إليه الذهن في العالم الإسلامى عند إطلاق لفظ الاستشراق [١].

تاريخ الاستشراق :

اختلفت الآراء حول بداية الاستشراق ، ومن الصعب تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق[٢]. غير أن بعض الباحثين يرى أنه أصبح تخصصًا رسميًا فـــي العـــالم الغربي بناء على قرار فيينا الكنسي الصادر عام ١٣١٢ م الذي نـــص عـــلى إنشـــاء عـــدد من كراسي اللغة العربية و العبرية والسيريانية واليونانية في عدد من الجامعات الأوروبية[٣] ، وهذا يشير إلى أن هناك بداية

(١) الاستشـــراق والخـــلفية الفكرية للصراع الحضاري/ د. محمود حمدي زقزوق ص (١٨)، وأجنحة المكر الثلاثة / د. عبد الرحمن حبنكة ص (١١٨) ، العقل المسلم في مرحلة الصراع الفكري : د. عبد الحليم عويس ص (١٥) بتصرف.

(٢) الاستشـــراق / د. محمـــود زقزوق ص (١٩) ، أجنحة المكر الثلاثة ص (١٢٠) ، المستشرقون ومشكلات الحضارة/ د. عفاف صبرة ص (٣٥) بتصرف.

(٣) العقل المسلم في مرحلة الصراع الفكري ص (١٦).

غيـــر رســـمية للاستشراق قبل هذا التاريخ ، ولكن هناك من الباحثين من لا يعتمد هذا التاريخ المشار إليه ٠

وظهـــرت عدة محاولات لتحديد فترة زمنية على وجه التقريب يمكن أن يعتد بها بداية للاستشراق ٠

١) فبعضهم يرى أن البدايات الأولى ترجع إلى مطلع القرن الحادي عشر الميلادي ٠

٢) وهـــناك من يرى أن بدايات الدراسات الإسلامية والعربية في أوروبا تعود إلى القرن الثاني عشر ففيه تمت لأول مرة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية ٠

٣) ومن الباحثين من يجعل بداية الاستشراق في القرن العاشر الميلادي ٠

فمـــن الصعب إذاً تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق [١] ، وإن كانت الاجتهادات السابقة تشير إلى أن البداية كانت موغلة في القدم ٠

دوافع الاستشراق و أهدافه

تلـــتقي دوافـــع الاستشراق مع أهدافه ، فالدافع يمثل المحرض النفسي لاتخـــاذ الوســـائل الـــتي توصل للأهداف الغائية [٢] من العمل ، و أهم هذه الدوافع :

١- الدافع الديني :

لاشك أن الدافع الديني كان وراء نشأة الاستشراق و صاحبه في مراحله

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية ص (١٨).

(٢) أجنحة المكر الثلاثة / د. عبد الرحمن حبنكة ص (١٢٣).

التاريخية ولا يمكن أن يتخلص منه [١]، ومن المعروف أن البناء الاستشراقي قام على أكتاف الرهبان الخاضعين لسلطة الكنيسة الكاثوليكية في الغرب[٢]، وكان الفاتيكان يرعاهم ليكون الاستشراق أكثر تنظيمًا وانتشارًا واستمرارًا[٣]، فقــامت حملــتهم عــلى الإســلام طعنًا وتشويهًا و تحريفًا، لخداع جماهير النصارى الذين يخضعون لسلطانهم الديني، فزعموا أن الإسلام دين أرضي مــنقول مــن أديــان أخــرى وليس وحيًا سماويًا، وأن المسلمين قوم همج ولصـــوص يحــثــهم ديــنهم عــلى الملذات الجسدية ويبعدهم عن السمو الروحي[٤].

و الدافع الديني له ثلاثة أهداف :

أولها : محاربــة الاسلام و البحث عن نقاط ضعف فيه و إبرازها وإثارة الشبهات حوله ، و الحط من قدر النبي ﷺ.

والثاني : حماية النصارى من خطره بحجب حقائقه عنهم واطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة[٥] حتى لا يلتفت النصارى إلى ما في دينهم من تناقضات لا يقبلها العقل السليم والفطر السوية.

أما الثالث : فهــو محــاولات التبشير بين المسلمين لتنصيرهم أو إخراجهم من دينهم لِنحلةٍ أخرى سالكين في ذلك كل سبيل .

٣- الدافع الاستعماري :

لمــا انتهت الحروب الصليبية بالفشل اتجهوا إلى دراسة بلاد العرب فى

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري / د . محمود حمدي زقزوق ص (٧١).

(٢) المستشرقون ومشكلات الحضارة / د عفاف صبره ص (٢٦، ٢٧، ٣٣).

(٣) المستشرقون / د. نجيب العفيفي ص (١٠٤ ، ١١٠).

(٤) الاستشراق / د. مصطفى السباعي.

(٥) الاستشراق والخلفية .. .. / د. زقزوق ص (٧٢) بتصرف.

كل شؤونها عقيدة و أخلاقـًا و تاريخًا ليتعرفوا على مواطن القوة والضعف، ولما تم لهم الاستيلاء العسكري قام المستشرقون بخدمة الاستعمار، فأضعفوا المقاومة الروحية والمعنوية والمادية وبثوا الوهن ليضطرب التفكير، وعملوا عــلى تشكيكنا في تراثنا من عقيدة وأخلاق لنفقد الثقة في أنفسنا ونرتمي في أحضـــان الغرب ننشد الكمال في التشبه بهم في أخلاقهم وعاداتهم وثقافتهم، وعملوا على إحياء النزعات القومية التاريخية التي عفاعليها الزمن، ليتفرقوا شيعًا وأحزابًا بعد أن ألَّف الإسلام بين قلوبهم.

ولتتم السيادة للاستعمار على قاعدة ــ فَرِّق تَسُدْ ــ والدافع الاستعماري يهدف إلى :

الســيطرة على بلاد المسلمين و استعباد الناس واستغلال خيرات البلاد ونهبها[1].

٣- الدافع الاقتصادي :

اتجــه الكــثير من الغربيين إلى الدراسات الاستشراقية لرغبتهم في فتح أسواق تجارية في البلاد الإسلامية، والاستيلاء على الموارد الطبيعية بأبخس الأثمـــان لإمـــداد مصـــانع الغرب بالمواد الخام ، وإماتة الصناعات المحلية القديمـــة فـــي العـــالم الإسلامي، ولقد قامت مؤسسات اقتصادية غربية بدعم الدراسات الاستشراقية واستخدام العاملين في هذا السلك وسطاء ومستشارين ومترجمين ، وتهافت الدارسون الغربيون على هذه المؤسسات للحصول على فـــرص عمـــل ، كمـــا استفاد بعض الباحثين الغربيين من نشر كتب التراث الإسلامي لتحقيق الأرباح المجزية.

هكذا صارت الدراسات الاستشراقية وسيلة من وسائل الكسب، وتعددت

(١) أجنحة المكر .. .. .. ص (١٢٨).

كذلك صور الكسب المادي، والمطامع الاقتصادية ولا غرو فأخلاق الغرب قد تشبعت بالفلسفة البراجماتية"[١] .

٤- الدافع السياسي :

حرص ساسة الغرب عند التعامل مع الدول الإسلامية إلى الرجوع إلى المستشـــرقين للاستعانة بما لديهم من ثقافة إسلامية ، وفتحوا المجال أمامهم لـــلعمل فـــي سلك الاستخبارات و السلك السياسي عامة لدراسة واستصدار القـــرارات السياســـية فكـــانوا جهازًا استشاريًا وكان يطلق عليهم ــ مركز المعـــلومات ــ و أخـــذ بعض المستشرقين مكانهم في سفارات و قنصليات الغـــرب مستشارين علميين ، كذلك في وزارات الخارجية و الدفاع ليتصلوا بـــرجال الفكـــر و الصحافة في بلاد العالم الإسلامي للتعرف على اتجاهاتهم ومحاولة استقطابهم و التأثير عليهم [٢] .

ولاشـــك أن بعـــض مراكز الدراسات الاستشراقية ، أو مراكز دراسات الشرق الأوسط كما يطلق عليها الآن في الغرب ، ما زالت تمد رجال السلك السياســـي و الاســـتخبارات بالمعلومات ، وتقوم هذه الجهات الرسمية بالدعم المادي لهذه المراكز لإقامة الأبحاث المختلفة[٣].

و كيـــف يستغني الغرب عن خبرة المستشرقين حيال العالم الإسلامي، وقـــد ارتبط مصير الغرب بالمصالح الحيوية في العالم الإسلامي، و لا غرو إذا رأينا العلاقة بين ساسة الغرب و المستشرقين تتنامى، ولا سيما بعد سقوط

---

(١) الـــبرجماتية: مذهب مادي نفعي نشأ في أمريكا وأسسه وليم جيمس والبرجماتي بوجه عام : وصف لكل ما يهدف إلى النجاح أو إلى منفعة خاصة (نقلاً عن المعجم الفلسفي / مجمع اللغة العربية ، ط ١٩٨٣ ص (٣٢).

(٢) الاستشراق والمستشرقون / د. مصطفى السباعي ص (١٩).

(٣) مجـــلة المجـــتمع الكويـــتية ٢٣/ ٩/ ١٩٩٢ عدد (١ ــ ١٧) ص (٢٢) وكتاب الأصولية في العالم العربي / د. "كمجيان" مثال واضح على ذلك، إذ هو في الأصل تقرير سري أعد لوزارة الدفاع الأمريكية.

الاتحـــاد الســـوفيتي، و محاولـــة الغرب إبراز الإسلام على أنه العدو الذي يتربص بالغرب ومصالحه [١] .

٥- الدافع العلمي النزيه :

وبرغم الدوافع السابقة وما فيها من مراعاة لمصالح الغرب على حساب المســـلمين ومقدساتهم ، مما يوحي بأن هناك حركة تآمرية فكرية على العالم الإســـلامي، إلا أنـــنا نجد بعض المستشرقين أقبلوا على الدراسات الإسلامية بدافـــع من حب الاطـــلاع على حضـــارات الأمم وثقـــافتها ولغاتـــها، ومع أن أبحـــاثهم لـــم تخـــل من الخطـــأ إلا أنهم لم يتعـــمدوا الدس والتحريف ، فكانت أبحاثهم أقرب إلى الحق و المنهج العلمي السليم ، مما أدى إلى إسلام بعضه .

وكـــانت هذه الفئة من المستشرقين تعتمد على مواردهم المالية الخاصة، فقـــد تخلىعنهم الممولون لنزاهة أبحاثهم و بعدها عن الهوى وعدم رواجها عـــند رجال الدين و الساسة في الغرب وعامة الباحثين لذلك ندر وجود هذه الفئة بين جمهور وكتاب المستشرقين [٢] ، ولم يكن لهذه الفئة هدف إلا إشباع النهم العلمي بثقافات دول الشرق وحضاراته[٣] .

وسائل وأعمال المستشرقين لنشر أفكارهم :

وسائل المستشرقين التي سلكوها لبث أفكارهم هي أعمالهم التي قاموا بها وقدموها للناس على أنها تعبر عن الفكر الإسلامي الصحيح ، ولا مشاحة في

---

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) الاستشراق والمستشرقون ص (١٩).

(٣) أجنحة المكر الثلاثة / د. عبد الرحمن حبنكه ص (١٣٠).

الألفاظ أي في تسميتها وسائل أو أعمالا طالما حملت نفس المعنى[١].

وقد استخدم المستشرقون كل الوسائل المتاحة لبث أفكارهم ، من تأليف، وإنشاء أقسام للدراسات الإسلامية و جمع المخطوطات و تحقيقها ونشرها ، وإنشاء الموسوعات، إلى التركيز القوي على الإعلام في العقود الأخيرة من هذا القرن ٠

و أبرز هذه الوسائل :-

١- التدريس الجامعي :

فقــد انتشرت في جامعات الغرب ــ لا سيما الدول الاستعمارية صاحبة المصــــالح في البلاد الإسلامية ــ أقسام خاصة للدراسات الإسلامية والعربية أو معــــاهد باســــم " دراسات الشرق الأوسط " أو "الدراسات الشرقية " ويتم اســـتقطاب أبناء المسلمين و غيرهم إلى تلك المراكز للدراسات العليا والمنح العلمية [٢] ، ولا شك أن التأثير الفكري سيكون على أشده في قاعات الدرس والبحث ، ولاسيما على من كان قليل البضاعة من الثقافة الإسلامية ٠

٢- جمع وتحقيق المخطوطات العربية :

ســـعى المستشرقون إلى جمع المخطوطات الإسلامية و العربية من كل الـــبلاد الإســـلامية التي وقعت تحت قبضة الاحتلال الغربي، و ذلك لعلمهم بقيمة هذه المخطوطات وما تزخر به من علوم ومعارف في شتى المجالات، وقـــد سلكوا كل السبل المشروعة وغير المشروعة لجمع المخطوطات بل إن كثيرًا منها أخذ بطرق غير مشروعة ٠

---

(١) عـــلى ســـبيل المثال استخدم الدكتور/ مصطفى السباعي عنوان وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم، أما الدكتور/ محمود حمدي زقـــزوق فقـــد اســـتخدم عنوان أعمال المستشرقين. (انظر) الاستشراق والمستشرقين/ د. مصطفى السباعي ص (٦٠) والاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري / د. زقزوق ص (٥٩).

(٢) المرجع السابق ص (٦٠) وأجنحة المكر الثلاثة / عبد الرحمن حبنكه ص (١٣٢).

وقــد اهــتموا بتلك المخطوطات وقاموا بفهرستها بطريقة علمية تصف محــتويات المخطــوط ومؤلفه وميلاده ووفاته، وهي طريقة تجعل الباحثين يستفيدون منه بيسر وسهولة، وقد قامت كل الجامعات الغربية بفهرسة دقيقة لمــا يقــدر بمــئات الآلاف من المخطوطات، وهذا يشير إلى الجهد المبذول والعمــل المتفاني الذي تميز به المستشرقون، ومن الأمانة العلمية القول بأن قيام المستشرقين بجمع المخطوطات سواء بطرق مشروعة أو غير مشروعة قد أدى إلى حفظها للاستفادة منها لأنهم قاموا بحفظها بأحدث وسائل الحفظ، مــع إنشــاء دور لعــلاج المخطوطات ، واختراع الأدوية التي تساعد على حفظها من التلف والتآكل [1].

لــم يقــف الأمر عند هذا بل عكف المستشرقون على المخطوطات ، تحقيقًا وشرحًا ، ثم أخرجوا بعضها للوجود في ثوب جديد لينتفع بها الباحثون فــي الشــرق والغرب، ومن بين هذه الكتب التي حققوها ونشروها ــ على سبيل المثال ــ سيرة ابن هشام، الإتقان للسيوطي، المغازى للواقدي، الكشاف للزمخشــرى، تــاريخ الطــبري، والإصــابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى[2] .

٣.الترجمة :

قام المستشرقون أيضًا بترجمة العديد من المؤلفات الإسلامية إلى مختلف اللغات الأوروبية مثل : تاريخ الطبري، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، والإحياء، والمــنقذ لــلغزالى، وقــد قام أسلافهم إبان القرون الوسطى بترجمة الفلسفة والطــب و الفلك، وتمت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم في القرن الثانى عشــر، وقــد كــثرت هذه الترجمات في عدة لغات حتى بلغت مائة وإحدى

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص (٦٢) بتصرف.

(٢) المرجع السابق ص (٦٤).

وعشرين لغة في أنحاء العالم كله[١].

٤-التأليف :

ألف المستشرقون في مجالات عديدة في العلوم الإسلامية والعربية، فقد ألفـوا فـي التاريخ العربي والإسلامي، وعلم الكلام، و الشريعة والتصوف، والـنحو وفقه اللغة العربية، و أبحاثًا أخرى تتعلق بالكتاب والسنة ، حتى بلغ عـدد ما ألفوه عن الشرق في قرن و نصف ــ منذ أوائل القرن التاسع عشر حـتى منتصف القرن العشرين ــ ستين ألف كتاب ، و قد ظهر في كثير من هذه المؤلفات تعمد التحريف ، والاستدلال بالنصوص المبتسرة حتى فاضت بالأباطيل عن الإسلام، ومع ذلك كانت مرجعًا لكثير من المثقفين وقتها[٢].

٥-إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم عن الإسلام وشعوبه :

كمجـلة (ينابيع الشرق) التي صدرت في فيينا من عام ١٨٠٩ م إلى عام ١٨١٨م ، ومجلة الإسلام التي ظهرت في باريس عام ١٨٩٥ م ، ومجلة الإسـلام الألمانية (DER ISLAM) التي ظهرت في عام ١٩١٠م [٣]، ومجلة العالم الإسلامي البريطانية التي صدرت عام ١٩١١ م

٦- كتابة المقالات في صحفهم المحلية والصحف العالمية .

٧- إلقاء المحاضرات في الجامعات و الجمعيات العلمية :

فقـد كان بعض المستشرقين من أعداء الإسلام يدعون لإلقاء محاضرات في الجامعات العربية و الإسلامية ليتحدثوا عن الإسلام[٤].

---

(١) المرجع السابق ص (٦٤ ــ ٦٥).

(٢) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري/د. زقزوق ص (٦٥) نقلاً عن الاستشراق / إدوارد سعيد ص (٢١٦).

(٣) الاستشراق والمستشرقون / د. مصطفى السباعي ص (٢٦).

(٤) الاستشراق / د. محمود زقزوق ص (٤١ – ٤٢).

صلة الاستشراق بالاستعمار

لقد صاحب الاستشراق الاستعمار ومهد للسيطرة على الشرق الإسلامي، ونظـم المعـلومات للمكتشفين والغزاة للتمكين لهم ، وقدم للشعوب المقهورة نظـريات تـبرر خضـوعهم لأوربا ليقبلوا ذلك ويقتنعوا بعدم قدرتهم على استيعاب العلوم إلا بتقليدهم للغرب ورميهم ــ إذا لم يقبلوا ذلك ــ بالتعصب للإسـلام ، وقام الاستشراق أيضًا بنشر الأفكار القومية و الوطنية والعدائية للإسلام[١].

إذًا فـتحالف الاستعمار مع الصهيونية والاستشراق كان أمرًا ضروريًا وهامًـا للوصول لأهدافه والاستيلاء على العالم الإسلامي، وإحكام السيطرة عليه عسكريًا وسياسيًا و حضاريًا[٢]، و بناء على هذا عمل الاستشراق جاهدًا على استتباب الأمر للاستعمار في البلاد الإسلامية ، مع تهيئة النفوس لقبول الـنفوذ الغربي والرضا بولايته ، ويظهر ذلك في محاولاتهم لإضعاف القيم الإسـلامية عـند المسلمين مع تمجيد القيم الغربية المسيحية ، بشرح تعاليم الإسـلام بطـريقة تضعف التمسك بمنهجه وتلقي في النفوس الشك و الريب بتزوير وتحريف الحقائق و المفاهيم الإسلامية الصحيحة[٣] .

وهناك أفكارٌ تخدم مصالح الاستعمار روج لها المستشرقون، منها على سبيل المثال :-

١- إبعاد الإسلام عن مجال العلاقات بين الأفراد .

([١]) العقل المسلم / د. عبد الحليم عويس ص (٢٠).

([٢]) الفــزو الفكــري والــتيارات المعادية ــ بحوث مقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٣٩٦هـ.

([٣]) الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي/ د. محمد البهي ص (٤٣ – ٥٢).

٢- توقيـت الجهـاد بعهد الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته و إلغاؤه اليوم.

٣- أن الظروف الدولية تدعو المسلم للولاء لغير المسلم و الرضا بحكومته.

٤- تجدد الإسلام وخضوعه لعامل الزمن في تطوره وعلى أساسها يدعوننا إلى أن ننفك عن التعاليم السابقة ، وعن اتباع السلف الصالح .

٥- تعدد الإسلام بتعدد شعوبه وأجناسه وبتعدد المصادر .

٦- القول بأن عدم زواج المرأة المسلمة بغير المسلم عنصرية ... واعتبار الجهـاد في سبيل الله اعتداءًا وغزوًا [1] ، و كانت فرنسا من أول الدول الـتي انتفعت بجهود المستشرقين ، بحكم كونها من الدول المستعمرة : (ومن المعروف أن أول جماعة أسست لخدمة الاستشراق والانتفاع بجهد رجاله سياسيًا قامت في فرنسا سنة ١٢٠٢ هـ ١٧٨٧ م تحت إشراف وزارة المسـتعمرات وتـلك العلاقة الوطيدة بين الاستشراق والاستعمار جعـلت حـركة الاستشراق ــ إلا ما ندر ــ تنحرف عن الحق وآداب البحث النزيه) [2].

ومـن علامات عمالة الاستشراق للاستعمار الغربي أن أكثر الكتب الـتي حققهـا المستشرقون تتناول علم الكلام والتصوف ، ولقد اهتم بعضهم بإبـراز بعض رجال التصوف كرمز وقدوة للمسلمين و ذلك لإضعاف روح الجهـاد للشـعوب الإسـلامية المستعمرة مثل المستشرق " ماسينيون " الذي كرس حياته لإبراز شخصية الحلاج الصوفي[3].

([1]) الفكر الاسلامي وصلته بالاستعمار الغربي/ د. محمد البهي ص (٥٢).

([2]) "الغزو الفكري والتيارات المعاصرة" بحوث مقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي ص (٨٩).

([3]) مجلة المجتمع الكويتية ــ عدد ١٠١٧ ص ٢٢.

صلة الاستشراق بالتبشير

إن عمـــل الاستشراق يقوم أساسًا على معرفة اللغات الشرقية ثم يدخل مـــنها إلى ســـائر العـــلوم و الفـــنون ليـــتعرف عليها ، و التبشير يتفق مع الاستشـــراق فـــي هذه الناحية فمعرفة لغات من يراد تنصيرهم أمر لابد منه حـــتى تثمر محاولات التبشير ، وقد كان هناك اقتناع تام لدى دعاة التنصير فـــي القرن الثالث عشر بضرورة تعلم لغات المسلمين ، ولا نستطيع الفصل بيـــن الاستشراق و التنصير في هذا الوقت على أساس أن الدافع الديني هو السبب الأول في نشأة الاستشراق[١].

وقـــد تمـــت الموافقة على إنشاء كراسي لتعليم اللغة العربية في خمس جامعـــات أوربية عام ١٣١٢ م بموافقة مجمع ـــ فيينا ـــ الكنسي ، تضمن قرار المجمع أن الغرض من إدخال العربية هذه الجامعات كان تبشيرًا خالصًا وكنسيًا لا علميًا[٢].

ثـــم نشـــطت الدراسات الاستشراقية في نهاية العصور الوسطى بسبب الصـــلات السياســـية والدبلوماســـية مـــع الدولة العثمانية ، وكانت الروابط الاقتصـــادية بيـــن بعـــض الدول الأوربية و العربية دافعًا أيضًا لنشاط تلك الدراسات الإسلامية .

وفي القرن السادس عشر تم إنشاء أول كرسي للغة العربية في الكوليج دى فـــرانس وشغله جيوم بوستل (ت ١٥٨١) الذي يعتبر أول المستشرقين الحقيقييـــن، ولم يكن عمله منقطع الصلة عن التبشير فقد صرح بذلك عندما تحـــدث عـــن الـــلغة العـــربية قائلاً : (إنها لغة عالمية تفيد في التعامل مع

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية ـــ د. زقزوق ص ٢٧.

(٢) الفكر الإسلامي .. .. ص ٤٧٦.

المغاربـــة و المصـــريين و السوريين و الفرس و الأتراك و التتار و الهنود وتحـــتوي عـــلى أدب ثري ومن يجيدها يستطيع أن يطعن كل أعداء العقيدة النصرانية بسيف الكتاب المقدس وأن ينقضهم بمعتقداتهم التي يعتقدونها[1] .

وفـــي القـــرن الســـابع عشـــر بدأ المستشرقون في جمع المخطوطات الإســـلامية ثـــم صدر قرار بإنشاء كرسي للغة العربية بجامعة كمبردج عام ١٦٣٦ م ونـــص صـــراحة عـــلى خدمـــة هدفين : أحدهما تجاري والآخر تنصيري .

فقد أرسلت المراجع الأكاديمية المسؤولة في جامعة كامبردج خطابًا إلى مؤســـس هـــذا الكرســـي وفيه : (ونحن ندرك أننا لا نهدف من هذا العمل الاقـــتراب من الأدب الجيد بتعريض جانب كبير من المعرفة للنور بدلاً من احتباســـه في نطاق هذه اللغة التي نسعى لتعلمها لكننا نهدف أيضًا إلى تقديم خدمة نافعة إلى الملك والدولة عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشرقية ، وإلى تمجيـــد الله بتوســـيع حدود الكنيسة والدعوة إلى الديانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون الآن في الظلمات)[2].

فهناك إذًا تجاوب متبادل و تداخل بين الاستشراق و التنصير ولا يزال التحالف مستمرًا بشكل من الأشكال حتى العصر الحاضر[3].

فالمستشـــرقون الآن يتقاسمون الأعمال مع الساسة و المنصرين وكل له دوره المـــناط به ، كما يتقاسم لاعبو كرة القدم المهام بأرض الملعب ، يقول الدكـــتور على النملة : " طالما أن الاستشراق قد انطلق من الكنيسة فهو إذن

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية .. .. ص (٢٩).

(٢) الاستشراق والخلفية الفكرية / د. زقزوق ص (٣٠).

(٣) بحـــث للأســـتاذ طيباوي بعنوان المستشرقون الناطقون باللغة الانجليزية ملحق في كتاب الفكر الاسلامي الحديث للدكتور محمد البهي ص (٥٨١).

وليـد غير شرعي للتنصير وكما أن الاستشراق يمد الاستعمار والمؤسسات السياسية بما يلزم من معلومات لاتخاذ القرارات السياسية فهو يمد المنصرين ومؤسسـاتهم بكـم هائل من المعلومات والمعرفة للبلاد المستهدفة من حيث العقائد واللغات والعادات والجغرافيا والتاريخ والاقتصاد وبنية المجتمع عامة، ونستطيع القول أن كل منصر مستشرق وليس كل مستشرق منصر "[١].

فالاستشـراق و التنصير وجهان لعملة واحدة و هما كتيبتان من جيش جرار أعدا لحرب الإسلام و المسلمين بطرق خبيثة قد تنكرتا في ثياب البحث العلمي تارة ، و الدعوة إلى المسيحية تارة أخرى ، و الأعمال الخيرية كذلك، لقد تعددت السبل لهدف واحد غير نبيل ألا وهو القضاء على العالم الإسلامي مهما كان الثمن.

يقول الدكتور محمد البهي رحمه الله : " فالاستشراق والتنصير دعامتان للاسـتعمار في العالم الإسلامي فكلاهما دعوة لتوهين المبادىء الإسلامية ، ونبذ اللغة العربية وتقطيع أواصر القربى بين الشعوب الإسلامية و العربية ، و ازدراء تلك الشعوب في المحافل الدولية، وكلاهما يطعن في الإسلام كدين سـماوي ويحـاولون النيل منه وكلاهما يدعو إلى إحياء القوميات المختلفة الـبائدة لتكون شعارًا لأمتنا بدلاً من الإسلام ، والفرق بينهما أن الاستشراق أخـذ صـورة البحث وادعى لبحثه الطابع العلمي الأكاديمي وإفراز ذلك فى وسـائله المعـروفة، أما التنـصير فسلك طريق التعليم بمراحله المختلفة والعمـل الخيـري كالمستشـفيات والملاجىء، بالإضافة إلى النشر والعمل الصحفي[٢].

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية عدد (١٠١٧) بتاريخ ٢٣/ ٩/ ١٩٩٢م بتصرف.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث / د. محمد البهي ص (٤١٨ ــ ٤١٩) بتصرف.

منهج المستشرقين في البحث

يدعي المستشرقون التزامهم مناهج البحث العلمي النزيه فلا يأخذون كل شيء ترويه المصادر على عواهنه بدون إعمال النظر فيه ٠ وأنهم حرصوا عـلى وضـع نظـرياتهم وآرائهـم مدعمة بالأدلة و الأسانيد من المراجع الإسلامية ٠

وبـرغم ادعـاء الموضوعية و النزاهة العلمية فإن أبحاثهم تفيض حقدا وتجـريحًا وطعـنًا وقلبًا للحقائق ، فالقوم يدرسون العلوم الإسلامية العربية ويضـعون نظـرياتهم ويكونون آراء في أثناء ما يقومون به من دراسات ويهتمون بتقديم أدلة و أسانيد لهذه الآراء و النظريات يستمدونها من المراجع الإسـلامية نفسها ، و هذا العمل في ظاهره عمل علمي سليم و لكن الفحص الدقيـق أثـبت أن كثيرًا منه مصنوع وكثيرًا ما يكون الدافع إليه الرغبة في التجريح و توهين العقيدة الدينية و الشريعة الإسلامية[١].

فهـل الـبحث العـلمي الذي يدعونه هو التطاول و الطعن و التجريح والـتماس الأسانيد الضعيفة و إغفال النصوص الصحيحة التي تثبت خلاف رأيه؟!٠

تعمد المستشرقين تعميم الأحكام

اعـتمد المستشـرقون عـلى أسلوب تعميم الأحكام في تشويه الصحوة الإسلامية فهم يجعلون من القضية الجزئية قضية كلية ، ومن الحكم الخاص

---

(١) الاستشـراق والخلفية الفكرية / د. زقزوق ص (٧٧ ــ ٧٨) نقلاً عن د. إبراهيم اللبان / المستشرقون والإسلام / ملحق بمجلة الأزهر: إبريل ١٩٧٠م.

حكمًـا عامًـا، بمعنى أن الحادث يقع من المسلم يتخذ ذريعة ليوصف به كل المسـلمين فـإذا وقعت حادثة في العالم الإسلامي أو قام أحد المنتمين للتيار الإسـلامي بأعمـال عنف ، فهكذا كل الحركات الإسلامية تميل إلى العنف والإرهاب يقول جون إسبوزيتو : " و كثيرًا ما يُنظر إلى الحركات الإسلامية كحـركة واحـدة ويتم التوصل إلى نتائج و خلاصات سريعة و مبنية على النظرة النمطية و التوقعات أكثر من الاعتماد على النتائج البحثية العميقة"[١].

فجميـع الحـركات الإسلامية قد وضعت في قالب واحد ، برغم اتساع رقعـة العـالم الإسلامي، و تباين الأفكار والاتجاهات، فالاتهام عام للجميع، يقول جون اسبوزيتو: " إن كل الذين يطلق عليهم تسمية الأصولية قد وضعوا في بوتقة واحدة "[٢].

تقييم منهج المستشرقين

بـالاطلاع عـلى بعـض مؤلفات المستشرقين و الوقوف على آرائهم المنتشرة هنا وهناك ، يظهر جليًا للمنصفين أنها فاضت بالأخطاء و السلبيات و ذلك مرجعه لعدة أمور منها :

١- عدم الموضوعية و تعميم الأحكام:

لقـد أقـبل المستشـرقون عـلى أبحاثهم وهم يؤمنون بأفكار شتى عن الإسـلام، فقـاموا بمحـاولات كـثيرة لإثباتها بأدلة ليبحثوا عن صحتها أو يسـتنبطوا حكمًا كليًا من حادثة جزئية[٣] ، يقول (جون اسبوزيتو) : " لما كـان معظـم المفكـرين ذوى خلفية أكاديمية علمانية منحازة ، و معلومات

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية عدد (١٠٣٩) ص (٤٠).

(٢) المصدر السابق عدد (١٠٣٥) ص (٣٢).

(٣) الاستشراق والمستشرقون / د. مصطفى السباعي ص (٤٣).

محدودة عن الإسلام و البعد الإسلامي للمجتمعات الإسلامية ، فإن هناك ميلاً نحـو الـتعميم أو التوصـل إلى نتائج مبتسرة نابعة من مسلماتهم العلمانية ومنطلقاتهم الذاتية(١).

سلبيات تعميم الأحكام:

مـن السذاجة بمكان أن يتلقف العقل الغربي الحوادث الفردية و يجعلها حكمًـا عامًـا، فحادثـة تفجيـر أو قتل مثلاً قام بها أحد المنتمين إلى التيار الإسـلامي ــ إن صدقت إدانته بالتهمة ــ لا تجعلنا نتهم الحركة الإسلامية كلها بالقتل والإرهاب في المقابل لو رأينا سفاحًا أو قاتلاً أو قاطع طريق من واشنطن أو لندن أو باريس مثلاً، هل نتهم أهل هذه المدن أو الدول بأنهم قتلة وسـفاحون أو قـاطعو طريق ؟ ، أو كان من طائفة يهودية أو نصرانية هل يـتهم سائر اليهود و النصارى بما يفعله فرد أو بعض الأفراد ؟، لا شك أن هذا التعميم ينافي الموضوعية ، يقول (فرانسوا بورجا) : " علينا أيضًا ألا نعمم من حيث الزمان والمكان عقلية أولئك الذين اغتالوا السادات على تيار الإسـلام السياسي كله حتى في حالة تماثل بعض عناصر إطارهم المرجعي المفترض(٢).

تعميم الأحكام يعقد المشكلة ولا يفسرها :-

إن استخدام المستشرقين طريقة تعميم الأحكام يزيد المسألة تعقيدا وبذلك لا يقدمون صورة واضحة للقارىء أو الباحث الغربي ، و تؤدي هذه الطريقة أيضًـا إلى استخدام المصطلحات بطريقة مطاطة و ملتوية و فضفاضة وهذا يتـنافى مع أدب البحث الذي يتطلب ــ تحرير محل النزاع ــ بمعنى تحديد

(١) مجلة المجتمع الكويتية عدد (١٠٣٩) ص (٤٠) مقالات للمستشرق جون اسبوزينو.

(٢) الإسلام السياسي صوت الجنوب/ فرانسوا بورجا ــ ترجمة: د.لورين ذكري ص (١٢٩).

حقيقة الشيء المتنازع عليه ، يقول فرانسوا بورجا : " هذا لا يمنع أن ضرر الإفــراط فـــي الـــتعميم ــ عن طريق الكلمات والصور ــ ما زال قائمًا في خطــورة التسوية بين الأشكال المختلفة لظاهرة لا يمكن حصرها بتاتـــاً في الحــدود الضيقة للتعبير الهــامشي المتطــرف عنها : وعندما تلجأ الصحف أو يلجأ الباحثون إلى استخدام نفس المصطلح لوصف رب الأسرة الجزائري الباحث عن هويته ــ وهو مضطر للصلاة على أرصفة مرسيليا نظرًا لضيق مســاحة أمـــاكن العبادة ــ ولوصف واضعي القنابل في باريس أو لوصف الشـــريحة الهامشية الراديكالية المتطرفة لحزب الله اللبناني ، فإنهم بمثل هذا التعميم يزيدون من غموض الأشياء بدلاً من توضيحها [١].

ويـــؤدي هذا التعميم لا محالة إلى عدم التمييز بين الحركات المعتدلة و الحـــركات المتطرفة، وهذا يتنافى مع الواقع من ناحية ومع الموضوعية في تناول الأحداث من ناحية أخرى يقول جون اسبوزيتو " إن الفشل في التمييز بين الحركات الإسلامية أى بين تلك الحركات المعتدلة و الحركات المتطرفة والعنيفة هو نتاج التبسيط وقصر النظر" [٢].

ونتساءل كيف يكون الأمر لو استخدم المسلمون نفس الطريقة من تعميم الأحكام على ما يحدث في بلاد الغرب سواء بين الجماعات اليهودية المختلفة أو الجماعات النصرانية كذلك ؟ هل نقف على حقيقة ما يحدث ؟ و هل يكون هــذا من الموضوعية ؟ لا شك أنه سيكون هناك تعتيم على الأحداث الجارية فـــي الغــرب و عندئذ يصعب تفسير الظواهر و الأحداث ، و تبدو الصورة غاية في السوء ، لذلك يتساءل المستشرق جون اسبوزيتو قائلاً : "ونتساءل ما

---

(١) الإسلام السياسي صوت الجنوب / فرانسوا بورجا ــ ترجمة : د لورين ذمري ص ١٢٩.

(٢) مجلة المجتمع عدد (١٠٤٠) ص (٤١).

إذا كـنا نـتحمل مـثل تـلك التعميمات ، في تحليل وتوضيح النشاطات و الحـركات الغـربية "[١] ، فتعميم الأحكام إذًا أمر يرفضه العقل، ويتنافى مع الموضوعية و النزاهة العلمية ·

٢- افتقاد الأمانة العلمية :

وإذا لـم يعـثر أحدهـم على دليل يؤيد به زعمه وهواه، استغنى عن الأدلـة، وتمسك بمزاعمه الباطلة ، و يقوم أحدهم بعرضها في أبحاثه قائلاً: "إن هـذا أمـر عـنى رجال الحديث و الأخبار بكتمانه"[٢] فهم إذًا يتمسكون بـالآراء الفاسـدة الـتي صحبتهم دهرًا طويلاً، حتى لو كان يخالف الأدلة الصحيحة ·

٣-عكس الحقائق :

بعـض المستشـرقين يلـتزم منهجًا ساذجًا كل السذاجة ألا وهو منهج العكـس[٣] ، وهو الإتيان على الأخبار الصحيحة والأدلة الثابتة فيتعمد قلبها إلى العكس ، و مثال ذلك : " لقد جاءت الأخبار الصحيحة بأن الرسول عليه الصـلاة و السـلام كان يتحنث في غار حراء متعبدًا متفكرًا ·· يأتي أحد المستشرقين : فيؤكد أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يكره الوحدة "[٤]·

و من المعروف أن النبي ﷺ خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير ، و كان يمر الشهر و الشهران لا يوقد في بيت الرسول ﷺ نار ، وكان يعيش عـلى الـتمر و المـاء ، هذا إلى جانب كثرة صومه ﷺ النوافل بمناسباتها

(١) المصدر السابق عدد (١٠٣٤) ص (٤٠).

(٢) أوربا والإسلام / د. عبد الحليم محمود ص (١٤٥) نقلاً عن : لامانس (هل كان محمد صادقًا).

(٣) المصدر السابق .. .. ص (١٣٩) بتصرف.

(٤) المصدر السابق .. .. ص (١٤٠) بتصرف.

المتعددة ، فضلاً عن صيام شهر رمضان الذي هو فريضة وركن من أركان الإسلام ٠

بـــل كـــان عليه الصلاة و السلام يواصل الصوم أي يصل الليل بالنهار دون طعام أو شراب يومًا أو يومين و ينهى أصحابه عن ذلك بالرغم من كل هذه الأدلة الصحيحة المنتشرة في كتب الحديث و السير و كتب تفسير القرآن الكـــريم إلا أن بعض المستشرقين يصف النبي عليه الصلاة والسلام ، " بأنه كان أكولاً قد كثف جسمه بالملذات "[١].

هذه بعض أمثلة تعنت المستشرقين ، وابتعاد كثير منهم عن آداب البحث العـــلمي الـــذي يدَّعونه ، إن البحث العلمي النزيه يتطلب التخلي عن الأفكار الـــتي يميـــل إليهـــا الـــباحث مطـــلقـــاً ويتجرد عن الهوى وهو ما يسمى (بالموضوعية) ثم يقوم بتتبع الأدلة والأسانيد من مراجعها الصحيحة٠ ليهتدي بها إلى المفاهيم والآراء التي يُكِّونها من خلال البحث ٠

٤- التعصب الديني :

التعصب الديني الذي استمر عند ساسة أوربا و قادتها العسكريين، حـــتى إذا دخلت جيوش الحلفاء في الحرب العالمية الأولى بيت المقدس قال اللورد (اللنبى) : " الآن انتهت الحروب الصليبية " أي من الناحية العسكرية، أمـــا التعصـــب الديني فما يزال أثره باقيًا في كثير مما يكتب الغربيون عن الإسلام[٢] ، نعم ٠٠ لقد حرص الغرب على توريث الأحقاد لأجياله المختلفة تجـــاه الإســـلام و المسلمين، حتى أصبح لديهم صدمة نفسية أو عقدة نفسية بســـبب جـــراح عميقة من المواجهات العسكرية بين الشرق و الغرب تقول (زيجريد هونكة) : " الجراح أو الصدمة التي ظل الغرب المسيحي محافظاً

---

(١) المصدر السابق .. .. ص (١٤٠) بتصرف.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي / د. مصطفى السباعي ص (٢٢).

عليها ــ مع استثناءات مبهجة ــ حوالي ألف عام إزاء العرب ، وبدون أدنى تغييـــــر أو تــبديل انتقــلت فـــي الوقت الحاضر وأخذت شكل اللاا تسامح المهتاج"[١] .

تــلك الصدمة أو العقدة النفسية أثرت على عقل الغرب وطرق تفكيره ، ففقد الموضوعية تجاه الإسلام والمسلمين ، و يستلهم الغرب من عقله الباطن الاتهامـــات و الأحقـــاد و الأحكام المسبقة تجاه قضايا الإسلام : " وتفاقمت الصـــدمة و تحولـــت إلى كابوس نفسي عميق ما زال يحدد منذ ذلك الحين وحتى اليوم موقف الغرب المسيحي من العرب دون أن يتغير ، إنه يقف سدًا أمـــام أيـــة معرفة موضوعية مطابقة للواقع ، و أمام أية محاولة أو استعداد لـــرؤية الواقـــع بـــلا تحيـــز ، نـــاهيك عن تفهمها ، و بدلاً من المعلومات الموضـــوعية يبرز الهجوم و الأحكام المسبقة التي ترسخت في أحكام ثابتة أصبحت سارية المفعول لا تتزعزع عبر القرون ، و هذه الأحكام المسبقة " المترسخة " تتغذى من عدد لا يحصى من الصور المعادية المرتبطة بالدين ، وسوء التفاهم واللاتسامح من جانب واحد ، ومن المعلومات الخاطئة المتحيزة والتشهير المقصود و المعلومات الناقصة[٢].

لقد شُوِّه العقل الغربي بفعل تعميق جذور الكراهية تجاه المسلمين وبتزوير الحقـــائق و بحشـــو العقـــل الغـــربي بالأكاذيب ، و المعلومات الخاطئة أو المبتسرة، حتى أصبح هذا الأمر عندهم واجبًا قوميًا تجاه النشء تتبنى بعض أجهـــزة الدولـــة القيام به كوزارة التربية و التعليم ، بما لها من سلطان على المـــادة العـــلمية التي تقدم للطلاب هناك فيتم تزويرها لتخدم الاتجاه العام ، فيخـــرج الـــنشء للحياة وقد عبئ بأفكار خاطئة أختلطـــت بلحمه ودمه ومن

---

(١) الله ليس كما يزعم الغرب / زيجريد هونكه : ترجمة نوال حنبلي ص (١٢٢).

(٢) المصدر السابق .. .. ص (٢٥ ــ ٢٦).

الصعب التخلي عنها .

هــذا يفسر لنا سر تحامل الغرب على الإسلام والمسلمين ، يقول العلامة "جوســتاف لوبون" في كتابه " حضارة العرب " بعد أن أقام الأدلة على تأثير الحضــارة العربية الإسلامية في الغرب وأثرها في نشوء الحضارة الغربية الحديــثة : " وقــد يسأل القارئ بعدما تقدم : لماذا ينكر تأثير العرب علماء الوقــت الحاضــر الذين يضعون مبدأ حرية الفكر فوق كل اعتبار ديني كما يــلوح ؟ لا أرى غير جواب واحد عن هذا السؤال الذي أسأل به نفسي أيضًا وهــو أن استقلالنا الفكري لم يكن في غير الظواهر بالحقيقة ، وأننا لسنا من أحرار الفكر في بعض الموضوعات كما نريد ، فالمرء عندنا ذو شخصيتين: (الشخصــية العصــرية) الــتي كونتها الدراسات الخاصة و البيئة الخلقية والثقافية ، و(الشخصية القديمة) غير الشاعرة التي جمدت وتحجرت بفعل الأجــداد فكــانت خلاصة لماض طويل ، فالشخصية غير الشاعرة وحدها ، ووحدهــا فقط هي التي تتكلم عند أكثر الناس و تمسك فيهم المعتقدات نفسها بأسماء مختلفة وتملي عليهم آراءهم فيلوح ما تمليه عليهم من الآراء حرًا في الظاهر فيحترم ... لقد تراكمت أوهامنا الموروثة ضد الإسلام و المسلمين فــي قــرون كثيرة فصارت جزءا من مزاجنا ، فأضحت طبيعة متأصلة فينا تأصــل حقد اليهود على النصارى، الخفي أحيانًا و العميق دومًا، فإذا أضفنا إلى أوهامــنا الموروثة ضد المسلمين، وهمنا الموروث الذي زاد مع القرون بفعــل ثقافتــنا المدرسية البغيضة القائلة: " إن اليونان واللاتين وحدهم منبع العلوم و الآداب في الزمن الماضي " أدركنا بسهولة سر جحودنا العام لتأثير العرب العظيم في تاريخ حضارة أوروبا[١].

---

(١) السنة ومكانتها .. .. / السباعي ص (٢٦).

هــذا مــا يجعلنا نقول ماقاله : " إن من الصعوبة بمكان إثبات أن الواقع مغايــر للصــورة المستقرة لدى الرأى العام لا سيما أن النظرة الأكاديمية لا تساهم دائمًا في إشاعة الرؤية السلمية للأمور"[١].

و يضاف إلى هذه الأسباب :

٥- **الكبر والغرور الذي أصاب علماء ومفكري الغرب**، بسبب القوة المادية والعلمية ، و تلك القفزة الحضارية التي حققوها، حتى اعتقدوا أنهم أصل الحضارات كلها عبر فترات التاريخ المختلفة ــ عدا الحضارة المصرية ــ وأن العقــلية الغربية هي: العقلية الدقيقة التأمل التي تستطيع أن تفكر تفكيرا منطقيًا سليمًا ، يصل بها إلى حد الاختراع والابتكار، أما غيرهم من الشعوب الأخرى ــ وخاصة الإسلامية ــ فعقليتهم بسيطة وساذجة، تــدرك الأشياء إدراكًا جزئيًا لا كليًا ، ولقد ساعدهم على هذا القول حال الشــعوب التي استعمروها ومنها العالم الإسلامي من جهل وتأخر شمل كل نواحي الحياة[٢].

٦- **قلة المفكرين** : الذين يبحثون في دراسات شئون الشرق الأوسط عمومًا، والدراســات الإسلامية خاصة، بالرغم من أنهم يغطون مناطق جغرافية شاســعة، و مســائل فكــرية مــتعددة مثل: السياسة والقانون والتاريخ والمجتمع[٣].

٧- **نقــص التدريب و التجربة** : لدى قطاع كبير من المستشرقين " فمعظم الخــبراء لديهــم القليل من التدريب و الرغبة ، و القليل من الاتصالات

---

(١) الإسلام السياسي صوت الجنوب/ فرانسوا بروجات: ترجمة / لورين ذكري ص (٧٠).

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي / د. مصطفى السباعي ص (٢٢ ــ ٢٣) بتصرف.

(٣) مقالات للمستشرق الأمريكي جون أسبوزيتو/ مجلة المجتمع الكويتية عدد (١٠٣٩) ص (٤٠).

المباشرة والخبرات المتصلة بالحركات و الحركيين الإسلاميين[١].

٨- **الجمود الفكري** : الذي أصاب علماء الإسلام مما أدى إلى عدم وصول صـــورة حقيقيـــة إلى المستشرقين عن الحركات الإسلامية " فالمفكرون المســـلمون يـــتم تدريـــبهم و صـــــقلهم لـــلعمل في الدراسات المتعلقة بالماضي[٢] [*].

ومن خلال تقييم منهج المستشرقين في البحث، و استعراض بعض نمـــاذج لأبحـــاثهم ، برزت تلك السلبيات التي تؤكد أن أبحاث المستشرقين ينقصـــها الموضوعية و الأمانة العلمية و هما عماد البحث العلمي، و من ثم يتبين لنا مدى ما ارتكبه بعض المستشرقين من أخطاء في أبحاثهم.

حقائق عن المستشرقين

قـــبل أن أختتم هذه المقدمة أرى لزامًا على أن أذكر بعض الحقائق عن المستشرقين إتمامًا للفائدة :

١- إن أكثر المستشرقين إما أن يكون قسيسًا أو استعماريًا ـــ أي من الممكن أن يكـــون صـــاحب منصـــب عسكري في جيش الاستعمار أو منصب

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(*) ليس الأمر كما يصوره المستشرق جون أسبوزيتو، ففى كلامه شيء من المبالغة، ربما يعزى هذا الأمر إلى قلة احتكاكه بالجامعات والعربية لمعرفة آخر الدراسات في هذا المجال، ومن المعروف أن للجامعات الإسلامية دورًا ملحوظًا من قديم في دراسة الظواهر الاجتماعية المختلفة، وأنها توجه دراساتها وأبحاثها لدراسة المستجدات على الساحة الإسلامية، ورصد ودراسة ونقد الحركات التي تظهر في العالم الإسلامي، لمعرفة مبادئهم وأفكارهم وتوجهاتهم، وتقويم الفكر المنحرف بالفكر الإسلامي الصحيح. كما نرى ذلك في أبحاث عدة، كتبت وتدرس بالفعل عن فرق البابية والبهائية والقاديانية، وهناك دراسات أخرى حديثة ناقشت معتقدات جماعة التكفير والهجرة والجهاد وغير ذلك من الجماعات التي تظهر على الساحة، وربما يوجد شيء من التقصير أو عدم إقبال الباحثين على هذه النوعية من الأبحاث أو عدم انتشارها فمن الممكن أن تشجع الجامعات الإسلامية والعربية هذه النوعية من الأبحاث، وتعمل على إمداد جسور التعاون الثقافي مع الجامعات التي تهتم بهذه الدراسات.

سياسي ــ أو يهوديًا إلا ما ندر .

٢- إن الاستشــراق في الدول الاستعمارية ــ و بتعبير آخر الدول صاحبة المصـــالح فـــي بلاد العالم الإسلامي و الشرق الأوسط ــ أقوى منه في الدول غير الاستعمارية .

٣- إن المستشرقين في الدول غير الاستعمارية ــ أو غير صاحبة المصالح ــ يكونون أقرب إلى الإنصاف من غيرهم .

٤- إن الاستشــراق بصـــورة عامـــة ينـــبعث مـــن الكنيسة ، وفي الدول الاســـتعمارية ــ أو صـــاحبة المصـــالح ــ يسير مع الكنيسة ووزارة الخارجيـــة جنبًا إلى جنب و يلقى منهما كل تأييد ــ ولا غرو إذا رأينا بعـــض المستشرقين قديمًا يعملون في وزارة الخارجية الفرنسية كخبراء فـــي شؤون العرب والمسلمين ــ[١] ولا غرو أيضًا إذا رأينا الآن كثيرًا مـــن المستشـــرقين من رجال الاستخبارات أو ساسة يعملون في السلك الدبلوماســـي، و يكون جل عملهم القيام بأبحاث عن الحركات الإسلامية على سبيل المثال : هيرمان إيليتس السفير الأمريكي الأسبق[٢].

٥- ما زالت الدول الاستعمارية أو صاحبة المصالح مثل ــ بريطانيا وفرنسا وأمـــريكا حريصـــة عـــلى جعل الاستشراق أداة هدم و تشويه للإسلام والمســـلمين [٣] ، و هـــذا يفسر ما نراه من حملة ضارية في الغرب لا ســـيما أمـــريكا على الإسلام والحركات الإسلامية، ومظاهر الصحوة المختلفة، مستغلين بذلك أقوى الطرق لنشر ما يريدون، الإعلام بأجهزته المختلفة.

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي / د. مصطفى السباعي ص (١٦ ــ ١٧).

(٢) الغرب في مواجهة الإسلام / مازن المطبقاني ص (٢٦).

(٣) السنة ومكانتها .. .. ص (١٦ ــ ١٧) بتصرف.



بسم الله الرحمن الرحيم

المبحث الثاني
الصحوة الاسلامية
مفهومها ومظاهرها

مفهوم الصحوة :

للتعرف على مفهوم الصحوة الإسلامية لابد أن نقف على مدلولها اللغوي، فمادة ــ صحا ــ لغة : تعنى إذا وصف بها إنسان التنبه و الإفاقة واليقظة ــ يقابلها : النوم و السكر، يقال : صحا من نومه أو من سكره صحوًا بمعنى أنه استعاد وعيه بعد أن غاب عنه ، ولا شك أن الذي يصحو و يتنبه في الإنسان هو القوة العاقلة المعبر عنها بالقلب أو الفؤاد أو العقل ، قال جرير : أتصحو أم فؤادك غير صاح[1].

أما تعريف الصحوة الإسلامية ــ تعريفًا يظهر كنهها و حقيقتها ، ويعطي تصورًا عامًا لهذا المصطلح الجديد على الساحة ، فيختلف باختلاف وجهة النظر .

فمن وجهة نظر بعضهم : يقصد بالصحوة ــ أو الإحياء الإسلامي ــ الدعوة إلى بعث هوية إسلامية جديدة ، و أن هذه الدعوة تجاوزت البلدان الإسلامية إلى الانتشار بين الاقليات الإسلامية في بلاد كالفلبين و الهند والاتحاد السوفيتي و الدول الغربية ، و أن تلك الدعوة إلى بعث هوية إسلامية جديدة شملت العديد من الطبقات الاجتماعية و الاقتصادية ، مع

---

(١) الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي / د. يوسف القرضاوي ص (٢١٨)، وراجع لسان العرب، ابن منظور ج٤ ص (٢٤٠٦) مادة ــ صحا.

محاولة محاكاة نمط الحياة الإسلامية السليمة[١].

وفـــي رأي أخـــر : أنها ظاهرة تطلق على عاطفة الانتساب الديني في المجتمع الإسلامي العربي المعاصر و هي تتسم بالشمول و القوة ، و تتصل بهـــا تلك المحاولات الدؤبة لصبغ السياسات المختلفة بصبغة إسلامية بما في ذلك السياسات الحكومية و السلوك الفردي و الاجتماعية[٢].

و يحـــدد مفهـــوم الصحوة الإسلامية مفكر آخر فيرى أنها ايقاظ وعي المســـلمين بحقـــائق ديـــنهم و العمـــل بكل ما جاءت به الهدايات الربانية و الـــتوجهات النـــبوية الشريفة ، و البحث عن وسائل الإنقاذ من خلال تعاليم الإسلام ذاته ، فهي صحوة مسلمين إذًا لا صحوة إسلام ، لأن الإسلام بقيمه و تعاليمه و مبادئه و فكره يمثل ــ صحوة ــ فكرية دائمة[٣].

فالصحوة إذًا تعنى : عودة الوعي و الانتباه بعد غيبة ، و قد عبر عنها فـــي بعض الأحيان " باليقظة " في مقابل " الرقود " أو " النوم " الذي أصاب أمتنا في عصور التخلف و الركود و في مقابل التنويم الذي أصابها في عهود الاســـتعمار العســـكري و السياســـي الذي خلف الاستعمار الفكري و الثقافي و الاجتمـــاعي ٠٠ كما عبر عنها " بالبعث " وقد يكون بعد النوم قال تعالى :

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام ــ ٦٠).

كما يكون أيضا بعد الموت قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ (الحج ــ ٧).

و الخلاصـــة : أن الصحوة الإسلامية تعنى تنبه المسلمين إلى قوة تعاليم

---

(١) الحركات الإسلامية في مصر وإيران / د. رفعت سيد أحمد ص (٢٣). بتصرف.

(٢) المرجع السابق / بتصرف.

(٣) جريدة الشرق الأوسط/ العدد (٥٥٩٦) بتاريخ ١٩٩٤/٣/٢٥، حوار مع د. رشدي فكار. بتصرف.

الإسـلام فكـريًا و حضاريًا ، واحياء الالتزام به كهوية للامة و البحث عن حـلول المشـكلات التي تواجه الأمة من خلال منهج الإسلام ، مع محاولة صـبغ السلوكيات المختلفة للمجتمع بالصبغة الإسلامية ، فالصحوة الإسلامية في هذا القرن تميزت بالنظرة الشمولية للإسلام .

التنبؤ بالصحوة

لـم تكن الصحوة الإسلامية المغاصرة ظاهرة عجيبة أو مستغربة ، لأن طـبيعة الإسـلام إيقاظ الأمة من غفلتها و نومها إنما العجيب حقا أن تغيب الصحوة أو تستمر الغفلة في أمة الإسلام ، و النظر في تاريخ أمتنا يثبت ذلك فما من حقبة من الزمان أصابت أمتنا فيها الهزائم أو حالات التخلف والركود و الضـعف ، إلا انقشـعت و حدثت في أمتنا يقظة على يد قائد مخلص أو مصلح أمين ، و هذا ما دفع العديد من المفكرين في الغرب إلى توقع حدوث صحوة للأمة الإسلامية لأن حالات التخلف و الركود أمر عارض لهذه الأمة وليس بلازم لها.

يقـول الدكتور حامد ربيع أستاذ العلوم السياسية : " إن جميع القيادات الفكـرية العالميـة توقعت هذه الصحوة منذ ما لا يقل عن ثلاثين عامًا، بل وهـناك مـن توقها منذ أكثر من ستين عامًا " فالعالم الأمريكي سميث ، في جامعـة مونـتريال فـي كـتاب له أسـماه (الإسلام اليوم) و صدر في الخمسـينات، لفـت نظـر المسئولين في بلاده إلى هذه الصحوة ، و العالم الإنجـليزي صـاحب الشهرة الدولية (وات) أيضًا في تحليله للإسلام في العصـور الوسـطى الـذي تضـمنه كتابه الصادر عام ١٩٦٤ م توقع هذه الصـحوة ، ووصفها بأنها سوف تقود إلى أيدلوجية رابعة ستتحكم في العالم المعاصر في نهاية القرن الحالى.

عـلى أن أخطـر وثيقة بهذا الخصوص تعـود إلى عـالم روسي هو

(تروجانوســكي) كتب إلى الثورتين الفرنسية والشيوعية وإلى أن كلتيهما قد فشــلتا فــي ناحية معينة ، و أن العالم في حاجة إلى ثورة قادمة تستطيع أن تصــحح من مسارات الحركة الإنسانية ، و يجيب (تروجانوسكى) بأن تلك الثورة لن تأتي إلا من العالم الإسلامي ٠٠٠ كان ذلك في عام ١٩١٩ م[١].

هــذه النصــوص تدل على أن مفكرى الغرب توقعوا منذ أمد بعيد بهذه اليقظــة ، مع تحفظنا على النص الأخير ــ (تروجانوسكي) ــ لاستخدامه لفظ ثورة فالإسلام لم يقم بالثورات و القلاقل بل بالدعوة و الحكمة والموعظة الحسنة ٠

دوافع التنبؤ بالصحوة :

لقد أدرك مفكرو الغرب أن الإسلام بعقائده وتشريعاته و أخلاقه ومنهجه الســليم الــذي يتفق مع الفطرة الإنسانية و لا يصادمها هو وحده القادر على العــودة و الظهــور مــرة أخرى، أما غيره من الثقافات و الحضارات فلا تستطيع البقاء فضلاً عن العودة مرة أخرى إذا طمست وفقدت مصداقيتها في الواقع ، فالإسلام يحمي الفضيلة ، يقيم دعائم المجتمع السعيد ، يكفل الحريات و يقــرر مبدأ الأخوة بدون اشتراكية جائرة أو رأسمالية بيد قلة ، لهذا ينتشر الإســلام بقوة مبادئه في مشارق الأرض و مغاربها ، بدون أموال مرصودة أو استغلال لحاجات الناس فهو وحده المنهج القادر على إسعاد البشرية ٠

وهــذه بعــض النصوص التي تبرز النظرة الثاقبة لمفكري الغرب تجاه العــالم الإسلامي و حضارته، يقول العلامة " رينيه ميليه " : (لقد أفل نجم المدنية الإسلامية بعد أن أثمرت و أينعت فترة طويلة من الزمن ، يكفي هذه المدنيــة نفحة من نسيم الحياة الجديدة لتسترجع جمالها و عظمتها و جدتها ،

---

(١) مجلة المسلم المعاصر/ العدد (٤٢) ــ الكويت ــ نقلاً عن: حازم غراب. "الصحوة الإسلامية لماذا و إلى أين "حديث مع د. حامد ربيع.. الأمة س ٤/ ع٣٩ ر٣ / ١٤٠٤هــ ــ ١٢/ ١٩٨٣م ص ٧٢ ــ ٧٥).

إن تلك الصبغة العامة اللينة التي اتصفت بها مبادئ الإسلام هي التي جعلته يقـبل ضـروب المدنية ، ولا ينافيها بل يقابلها بصدر رحب [١]، ويقول: إن العلم مهما اتسعت آفاقه ، فلا يزال أمامه عالم غامض وأنه لا يمكن للعلم أن يمحو سلطان الأديان على النفس ، وعلى هذا لا أرى حدًا لبقاء الإسلام، ذلك الدين الذي أتى بأحسن العقائد ملاءمة للفطرة و الذي سعد حظه بأن امتد ظله عـلى ضفاف البحر الأبيض تحت سماء صافية الأديم لم تتلبد بالغيوم ، فظل نـوره متلألـئا في تلك البلاد الواسعة الأطراف ، و لم تستطع الأحداث أن تطفئ ذلك النور الرباني الساطع ، إن مبدأ التفريق بين عالم المادة و ما وراء المادة قد تنبه المسلمون إليه ، فهم يقبلون على علومهم و علومنا ، ولا يرون ما يناقض دينهم المشهور بالتسامح[٢].

ويقـول " فونـتيه " الأسـتاذ بكـلية جنيف عند عرضه لحاضر العالم الإسـلامي و مستقبله في محاضرته : (إن الإسلام ينتشر في أفريقيا بنفسه بواسـطة المسـلمين أنفسهم)[٣] ، نعم إن الإسلام ينتشر بنفسه لقوة مبادئه ولمخاطبته الفطرة الإنسانية السليمة و لصبغته الإنسانية العالمية ، ولإشراقه الـثقافي العقـلي الـذي يطـلق طاقات الإنسان الحيوية ، ولضبطه للغرائز الحيوانية في الإنسان من غير أن يضيع أشواقه في الحياة ،

وقـد تحدث بصراحة عن طبيعة الإسلام و حيويته " جورج برنادشو " فـي بحـث له بعنوان (الإسلام بعد مائة عام) يقول : إن المستقبل العاجل عـندما يـريد الرجال المفكرون أن يلجأوا إلى دين يحمي الفضيلة ، و يقي المجتمع و يكون سببًا للحياة السعيدة في البشر ، فسيجدون الإسلام هو الدين الوحيـد الـذي يضـمن لهم التقدم و النجاح ، وأول البراهين على ذلك أن

---

(١) الإسلام في العقل العالمي / د. توفيق الواعي ص (١٠٨) نقلاً عن آفاق جديدة للدعوة الإسلامية ص (٢٠٢).

(٢) الإسلام في العقل العالمي د. توفيق الواعي ص (١٠٨ ــ ١٠٩) نقلاً عن آفاق جديدة للدعوة الإسلامية ص (٢٠٢).

(٣) المصدر السابق ص (١٠٩) نقلاً عن مجلة المقتبس ٦٢ ص (٣٧) والمرجع السابق ص (٩٧).

الإســلام لا يمنع أي تقدم سواء كان النهضة الفلسفية أو الكيماوية. فالإسلام هو الدين الذي نجد فيه حسنات الأديان كلها ولا تحد حسناته ، و الإسلام دين حرية لا استعباد ، وقد قرر أخوة الإسلام منذ ألف وثلاثمائة و خمسين سنة، و هـو المـبدأ الـذي لـم يعرف عند الروم والسابقين ، ولا عند الأوربيين والأمـريكيين و الحاضـرين . وإذا سألت العربي أو الهندي أو الفارسي أو الأفغاني من أنت ؟ يجيبك : أنا مسلم . أما الغربي إذا سألته من أنت ؟ قال : أنـا إنجـليزي أو طـلياني أو فرنســاوي . فالقرآن يوحد بين أهل العقيدة المشـتركة ، دون أن يجعل أي فرق بينهم بسبب أوطانهم أو جنسياتهم . لقد نصـب الإســلام شــابا أسـود البشرة أميرًا على جيوش المسلمين ، وفيهم كـبراؤهم، فالحكومة الديمقراطية لم تُعرف إلا في الإسلام منذ ١٣٥٠ عامًا، ولكـن الغرب بقى بجهله إلى هذه الساعة . والإسلام حرم الربا و جعل من المسـتحيل انحصـار الثروة عند أقلية من الناس . هذه حقائق تجبرنا على الاعـتقاد بـأن الدنيا كلها وانجلترا على الأخص ستقبل الإسلام وإن هي لم تقبله باسمه الصريح فستقبله باسم مستعار[١].

وفي ذات المعنى يقول اللورد " هدلي " : إنه لو ندبت لجنة من الإنجليز الأكفاء لفحص الدين الصالح لأن يتدين به العالم كله لأجمعوا على اختيارهم الإسلام [٢].

ويقـول " جـورج سـارتون " في كتابه (الشرق الأوسط في مؤلفات الأمـريكيين) : إن المسـلمين يمكن أن يعودوا إلى عظمتهم الماضية وإلى زعامـة العالم السياسية و العلمية كما كانوا من قبل إذا عادوا إلى فهم حقيقة الحياة في الإسلام ، و إلى العلوم التي حث الإسلام على الأخذ بها، وأن تلك

---

(١) المصدر السابق ص (١٠٩ — ١١٠).

(٢) المصدر السابق (١١٠) نقلاً عن آفاق جديدة ص (١٠٢).

الهزائم التي مني بها الإسلام لم تزعزع ثقة المسلمين بأنفسهم بل على العكس زادت مـــن إيمانهم، وأن شعوب الشرق الأوسط قد سبق لها أن قادت العالم مرتين في مرحلتين طويلتين من مراحل التقدم الإنساني طوال ألفي سنة على الأقــل ، قبل أيام اليونان ثم في العصور الوسطى مدة أربعة قرون تقريبًا ، وليس ثم ما يمنع تلك الشعوب أن تقود العالم ثانية في المستقبل[١] .

ويقول " هانوتو " وزير خارجية فرنسا سابقًا : لا يوجد مكان على سطح الأرض إلا و اجتازه الإسلام واخترق حدوده وانتشر فيه ، فهو الدين الوحيد الـــذي يميل الناس إلى اعتناقه بشدة تفوق أي دين آخر [٢] ، نعم إن الإسلام هـــو الدين الذي ارتضاه الله للناس وأيده بنصره و جعل الغلبة له على سائر الملل و النحل ، و المناهج الأرضية يقول تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾

(الصف-٩)

هكذا فإن قوة مبادئ الإسلام ، و فكره الذي تميز بالوسطية والاعتدال ، فجمع بين الدنيا والآخرة ، و جعل الإنسان يتمتع بمباهج الحياة و هو ملتزم بوحـــي السماء ، و جعل الإنسان يبتكر و يخترع لأنه لم يحرم عليه العلم بل أمره الإسلام بالعلم و التعلم و البحث و النظر ، فإن الإسلام كدين لا يصطدم مـــع الدنيا ، بل إن الفكر الإسلامي يتوافق مع العقل الإنساني ، و متطلباته ، ولا يصطدم مع الفطرة الإنسانية ، و هذا ما جعل الإسلام ينتشر في مشارق الأرض و مغاربهـــا ، و الإســـلام يحمي الفضائل و يحارب الرذائل ، فهو يهـــذب الغرائز الإنسانية ولا يكبتها أو يلغيها باسم الدين ، و هو الدين الذي

---

(١) المصدر السابق ص (١١٣) نقلاً عن آفاق جديدة ص (١٠٤).

(٢) المصدر السابق ص (١١٣) نقلاً عن مجلة المجتمع الكويتية عدد ٧٠٦ ص (٤٤).

ألغى العنصرية وأرسى بين الناس مبدأ الأخوة في الدين ٠

تلك هي بعض المميزات و الفضائل التي رآها مفكرو الغرب و دفعتهم إلى التنبؤ بعودة الإسلام من جديد ٠

مظاهر الصحوة

بــرزت للصــحوة الإســلامية مظاهر عديدة في شتى مناحي الحــياة، وأحيــت معانى كثيرة وشعائر كانت غائبة عن عالمنا الإسلامي ، وتبلورت مفــاهيم إســلامية كــثيرة و مــلأت أسماع الدنيا ، يقول " ريتشارد هرير دكمجيــان": وكــانت مظاهــر انبعاث الروح الإسلامي روحية و اجتماعية واقتصــادية وسياسية في آن واحد [1]، وكان ضروريًا أن تعود للوجود تلك الآداب والســنن والشــعائر الإسلامية ، وتلك المفاهيم الإسلامية لتحل محل أنماط الحياة الغربية ٠

ومن أبـرز مظاهر الصحوة الإسلامية :

١- الالتزام بالشعائر والآداب الإسلامية :

يظهر بوضوح لراصدي التيار الإسلامي التزام كثير من المسلمين بأداء الطاعات والإقبال عليها ، و البعد عما حرم الله تعالى، بل وإحياء السنن التي هجــرها الناس منذ أمد بعيد ، و جهلوها حتى أن البعض حينما رآها حسبها بدعة أحدثت في الدين _! ولا يجادل منصف في التزام أبناء الصحوة وبناتها بالســلوك الإســلامي ، مــن أداء الفرائض واتقاء المحارم ، حتى أصبحت المســاجد عامــرة بالمصلين ، وغدت مواسم الحج و العمرة حافلة بالأعداد

---

(١) الأصولية في العالم العربي: ترجمة عبد الوارث سعيد ص (٢٣).

الغفيـــرة مـــن الجيل الصاعد ، و يظهر هؤلاء الشباب أبعد ما يكونون عن تـــناول المسكرات و المخدرات و ألوان اللهو الحرام .. .. و هم حريصون على إحياء الآداب الإسلامية ، و إظهار السنن التي هجرها الناس فترات من الزمن ، حتى نسيت .. أو كادت من حياة الناس ، مثل إعفاء اللحى ، والتزام الحجـــاب ، والاعـــتكاف في رمضان ، وصلاة العيد في الخلاء ، وخروج النســـاء إلى صـــلاة العيد، وغير ذلك مما كان مهجورًا، فظهر و اشتهر [١]، وذلـــك طلبًا للثواب و عملاً بوصية النبي ﷺ حين قال : "من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد"[٢].

٣- انتشار الكتاب الإسلامي وترجمته:

تثـــبت الإحصـــائات ازدهار سوق الكتاب الإسلامي ، وسرعة انتشاره وتوزيعـــه، وتـــرجمة الكتاب الاسلامي من اللغة العربية إلى اللغات الأخرى وبـــالعكس، والمـــراقب لســـوق الكتاب يرى (انتشار الكتاب الإسلامي بين الشـــباب، بـــرغم عوائق النشر وقيوده في كثير من الأقطار، حتى غدا من المُســـلَّم به الآن الذي سجلته الأرقام والاحصاءات، وخصوصًا بعد اقامة أي معرض أو سوق للكتاب، أن الكتاب الإسلامي هو الذي يضرب الرقم القياسي فـــي سوق التوزيع، وظاهرة أخرى هي ترجمة الكتب الإسلامية من لغة إلى أخـــرى، ولاسيما من اللغة العربية- اللغة الأم للثقافة الإسلامية- إلى اللغات الإســـلامية فـــي آسيا وأفريقيا مثل الأوردية والتركية والماليزية والماليبارية والسواحلية وغيرها، كما ترجمت مؤلفات الأستاذ أبي الأعلي المودودي من الأورديـــة إلى العـــربية وغيرها من اللغات، وهذا عدا الترجمة إلى اللغات

---

(١) الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي / د. يوسف القرضاوي.ص (١٧) بتصرف.

(٢) رواه البيهقي من رواية الحسن بن قتيبة، ورواه الطبراني من حديث أبي هريرة بإسناد لا بأس به إلا أنه قال: "فله أجر شهيد" ــ انظر الترغيب والترهيب للمنذري ج ١ ص(٤٠).

الأوربية من الإنجليزية والفرنسية وغيرها [١].

٣- انتشار التدين بين الشباب:

مضـــى وقـــت على أمتنا كان رواد المساجد فيه وحجاج البيت الحرام، وأهـــل الطاعات المختلفة هم كبار السن- كأن التدين أصبح حكرًا عليهم أما غيرهم فهم دون سن التكليف ــ وأما الآن فالشباب حريصون على الصلاة في المساجد، ودروس العلم وأداء فريضة الحج، والاعتمار والالتزام بشعائر الإســـلام المختـــلفة، يقول د/ يوسف القرضاوي: وقد مضى زمن كان رواد المساجد فيه هم الشباب، الذين استدبروا الحياة، واقتربوا من حافة القبر، ولم يعـــد لهـــم في متاع الدنيا إرب٠٠ فأحبوا أن يختموا كتاب حياتهم بصفحات بيـــض مـــن التوبة والذكر وإقامة الصلاة، أما اليوم فيشهد كل من كان بينه وبيـــن المسجد صلة، أن رواد المساجد الحريصين على الصلوات في أوقاتها وعلى الجماعات الأولى ما استطاعوا هم شباب في عمر الزهر، وفي مقتبل العمر، رغبوا أن يظلهم الله في ظله يوم لاظل إلا ظله، فنشأوا في طاعة الله تعالى، وتعلقت قلوبهم بالمساجد وتحابوا بروح الله عز و جل ،اجتمعوا عليه وتفـــرقوا عليه، ومواسم الحج والعمرة غاصة بالشباب ، كما يلاحظ ذلك كل مراقب، وكما تدل عليه الاحصاءات الرسمية [٢].

٤- انتشار الحجاب:

الحجـــاب هو التزام الزي الشرعي، وهو ما تغطي به المرأة جسمها ما عـــدا وجههـــا وكفيها كما هو رأي جمهور الفقهاء[٣] وبعيدًا عن الإثارة، فلا تلـــبس مـــا يصف أو يشف، ولا تخرج عن الوقار في كلامها، أو مشيتها أو

---

(١) الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي/ د يوسف القرضاوي ص (١٣) .

(٢) المصدر السابق ص (١٩) .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص (٨٣) / مكتبة الدعوة الإسلامية.

حركـــتها حتى لا يطمع مرضى القلوب ولا يتعرض لها السفهاء بسوء، ولا شـــك أن هذه الصورة قد غابت عن مجتمعاتنا الإسلامية والعربية ردحًا من الـــزمان وانتشرت الأزياء التي صممها اليهود في الغرب لتبرز مفاتن المرأة وتكشف عوراتها، لقد غاب الحجاب عن أمتنا حتى العجائز من النساء كن لا يعـــرفن له سبيلا، أما الآن فقد شاع الحجاب بين المسلمات وأصبح الحجاب ظاهـــرة شائعة بعد أن كان نادرًا أو شاذًا، ومما يسر كل مؤمن هنا أن الفتاة المســـلمة عادت إليه راضية مختارة، ولم يجبرها أب ولم يدفعها إليه زوج، ولـــم ترغبها فيه أم، بل ربما عارضها الأب، أو خاصمها الزوج أو نهرتها الأم ، هذا ما وقع بالفعل للكثيرات، ولا يزال يقع[١].

ولقد عادت المسلمة إلى الحجاب مقتنعة بأن هذا أمر الله وفرضه الذي لا خيار لمؤمن ولا مؤمنة في قبوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب ــ ٣٦).

دراسة حول الحجاب في مصر (كمثال) :

قـــامت الباحـــثة الأمريكية "ارلين ماكلويد" بإعداد دراسة علمية أجرتها الجامعـــة الأمـــريكية بالقاهـــرة، أكدت فيها أن ٨٠% من النساء المصريات يرتدين الحجاب وفقًا لتعاليم الإسلام، وذكرت ٤٠% منهن أن الحجاب حماية للمرأة وصيانة للمجتمع بينما قالت نسبة أخرى أن الحياة أصبحت صعبة وأنه ينبغي الرجوع إلى القيم الأصيلة للإسلام، فيما أوضح فريق ثالث أن الحجاب يعبر عن سمعة طيبة للمرأة، وذكرت أخريات أن الحجاب يزيد المرأة جمالاً وبهاءً.

وأكـــدت الباحـــثة أن الحجاب يسد الفجوات بين القيم والسلوك التقليدي

---

(١) الصحوة الإسلامية / د. القرضاوي ص (٢٢).

والقيـــم الحديـــثة الوافدة، ويعتبر أسلوبا جديدًا في قدرة المرأة على مواجهة المتغيرات الحديثة.

وقالت إنه في الفترة من عام ١٩٦٧م ــ حتى عام ١٩٧٣ جاء جيل من النساء الجامعيات بدأن حملة على التبرج داعيات إلى الالتزام بالحجاب، ولم يكن هذا مقصورًا على مصر وحدها بل وجد في دول أخرى([١]).

٥- الاقتصاد الإسلامي:

كـــان كـــثير مـــن الناس يعتقد أنه لا نظريات اقتصادية غير ما أخرجه الغرب الرأسمالي أو الشرق الشيوعي، خاصة وأن الإسلام برغم ما يملك من مـــنهج مـــتكامل عـــن المال وتداوله لم يكن له تأثير أو بروز في الاقتصاد العـــالمي، وقد فرض النظام الاقتصادي العالمي نفسه على سائر المعاملات بين دول العالم المختلفة حتى الإسلامية منها.

وحيـــن أفل نجم النظام المالي الإسلامي فـــ "ألغيت الزكاة من التشريع وهـــي الركن الثالث في الإسلام وأحل الربا وهو من أكبر الموبقات عند الله وأصبحت المقولة السائدة: أن لا اقتصاد بغير بنوك ولا بنوك بغير فائدة أي بغير ربا"[٢].

وكـــان التيار الاسلامي والغيورون على الإسلام يبرزون للناس مفهوم الاقتصـــاد الاسلامي وإمكانية إقامة معاملات مالية بدون فوائد ربوية، فكانوا يقابـــلون بالاســـتهزاء والســـخرية، لقد كان المناهضون للإخوان يتحدونهم بتصـــوير اقتصـــاد غير ربوي، أي تنعدم فيه الفائدة، وكانوا يسخرون منهم بقولهم : كيف تعمل المصارف بدون فائدة؟[٣].

([١]) البحث نشر بجريدة المسلمون الدولية في العدد (٤٥٩) بتاريخ ١٩/ ١١/ ١٩٩٣.

([٢]) الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي / د. يوسف القرضاوي ص (٢١).

([٣]) الإخوان المسلمون / ريتشارد ميتشل ص (٤٧) من مقدمة المترجم الدكتور/ محمود أبو السعود.

وقـــام المفكرون والمتخصصون بتكثيف جهودهم لبلورة وإبراز مفهوم الاقتصاد الإسلامي حتى ملأ أسماع الدنيا، ونشرت دراسات وبحوث عميقة، وقدمت أطروحات أكاديمية تثبت أصالة الاقتصاد الإسلامي وتوازنه وتفوقه، وعقـــدت مؤتمـــرات ونـــدوات عالمية وإقليمية تبحث في جانب أو أكثر من جوانب هذا الاقتصاد.

وأجمع أعضاء هذه المؤتمرات من رجال الفقه والاقتصاد والقانون على حـــرمة الفائدة وضررها، وإمكانية قيام مصارف ومؤسسات استثمارية تلتزم بأحكام الإسلام من تحريم الفائدة والغرر وغيرها.

وأنشئت مراكز وأصدرت مجلات لبحوث الاقتصاد في أكثر من بلد، ولم يقـف الأمر عند هذا الحد فقامت بالفعل بنوك وشركات إسلامية بلغت الأن أكثر من خمسين[١] وهي تنمو وتزيد.

وأصبحت المصارف الإسلامية حقيقة أمام الذين يقولون باستحالة قيامها ودارت الأيـــام وتكونـــت مصـــارف إسلامية في مختلف الدول الإسلامية لا تـــتعامل بالفـــائدة: فهناك بنك دبي الإسلامي، وبيت التمويل الكويتي، وبنك فيصـــل الإسلامي بالخرطوم، وبنك فيصل الإسلامي بالقاهرة، بل هناك بنك إســـلامي في لكسمبورج وآخر في لندن[٢].. وهذه البنوك التي تحمل الصبغة الإســـلامية تـــزداد يومًـــا بعد يوم، والفكر الاقتصادي الإسلامي أيضًا ينمو ويزدهـــر بكـــثرة الأبحـــاث والمؤتمـــرات والمحاولات والمؤتمرات الجادة للتطبيق.

٦_ الأدب الإسلامي:

ومـــن مظاهـــر الصحوة الإسلامية، ظهور ما يسمى بالأدب الإسلامي،

(١) الصحوة الإسلامية / د. القرضاوي ص (٢٢).

(٢) الإخوان المسلمون / ص (٤٧) من مقدمة الدكتور أبو السعود.

فالصــــحوة الإسلامية لا ترفض الأدب بل تريد تنقيته من الشوائب، ومما فيه من المخالفات الشرعية ليكون أداة لنشر الفضائل والفكر الإسلامي الصحيح.

ويعرف الأدب الإسلامي بأنه: (التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون في حدود النظرة الإسلامية)[١].

ورسالة الأدب الإسلامي تنبع من رسالة الإسلام، فالتزام الأديب المسلم بقضــــايا أمــــته الإسلامية نابع من التزامه بالعقيدة الإسلامية، والأدب وسيلة مهمة لبناء الإنسان الصالح والمجتمع الصالح، فعلى ذلك يعتبر الأدب أداة من أدوات الدعــــوة الإســــلامية ، ويعتــــبر وسيلة من وسائل الدفاع عن القضايا الإسلامية.

دراسات جامعية حول الأدب الإسلامي:

وممــــا يــــبرز اهتمام الباحثين والدارسين بهذه الظاهرة القيام بتسجيل عدة رســــائل جامعيــــة عن الأدب الإسلامي خاصة في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وقد قامت رابطة الأدب الإسلامي بإصدار العديــــد من الكتب التي تهتم بقضية الأدب الإسلامي منها كتاب (دليل الأدب الإسلامي في العصر الحديث) .

أصالة الأدب الإسلامي :

لــــم يكــــن الأدب الإسلامي بدعة ظهرت في العالم الإسلامي ، بل كان موجــــودًا على مدار التاريخ الإسلامي يقول المفكر أنور الجندي حول هوية هــــذا الأدب : إنــــه ليــــس مصــــطلحًا جديــــدًا أو واقعًا جديدًا في حياة الأمة الإســــلامية، إنمــــا هــــو مرتبط بالتاريخ الإسلامي كله فالأديب المسلم و هو

---

(١) حديث مع الدكتور عبده زايد المشرف على رابطة الأدب الإسلامي بالقاهرة ــ جريدة الشرق الأوسط عدد ٥٣٧١ بتاريخ ١٢ــ ٨ــ ١٩٩٣.

يعــرض كــل قضاياه إنما ينطلق انطلاقات إسلامية منذ البدء و حتى نهاية العمل الإسلامي الذي يتناوله .

و عمومًا فإن الأدب الإسلامي ليس أدب البطولات الإسلامية أو الجهاد الإســـلامي و الدعــوة الوعظية فحسب ، إنما يستوعب جميع ميادين الحياة باعتبار أن الإسلام ذاته هو دين ودنيا فالذين يتصدون اليوم للأدب الإسلامي إنما يتصدون للإسلام ذاته و كل معطياته الحضارية .

ولا شــك أن الصــحوة الإســلامية المعاصـــرة و هي تستنهض همم المســلمين إنمـــا تستنهض همم الأدباء و الشعراء و الكُتَّاب ليصبوا المفهوم الإســلامي الأصــيل فـــي قنوات إنتاجهم الأدبي بقوالبه المختلفة ، فالأدب الإســـلامي أحــد أدوات اســـترداد الذات الإسلامية و استعادة الهوية العربية والإسلامية .

أدب إسلامي .... لماذا ؟

ولا شـــك أن السبب الذي لفت أنظار الأدباء إلى ضرورة استخدام لفظ (إســـلامي) إلى جـــوار كـــلمة الأدب و الدعوة إليها و إنشاء مؤسسة للأدب الإســـلامي هـــو التصـــدي للأدب الغربي و مدارسه التي بدأت تتسرب إلى الســـاحة الأدبية في ديار المسلمين ، فإنسانية الأدب الإسلامي تصلح لجميع الشعوب ، أما تغريب الأدب و الدعوة إلى الإباحية و الإلحاد و العلمانية فلا مكان لهم في أمة الإسلام .

واجب الأدباء :

يجب على أدباء الأمة أن يقدموا نماذج أدبية تحمل الجوانب الفنية للأدب الإســـلامي باعتباره أدبًا إصلاحيًا يقوم مسيرة الأمة الإسلامية كلها وواجب

أدباء الأمة أن يعملوا على تأصيل دور الأدب الإسلامي في معالجة قضايا الأمة حتى يعترف الغرب بما يحتويه الأدب الإسلامي من ثروات أدبية مهمة[١].

٧- مظاهر الصحوة في التربية و التعليم:

اهتمت الصحوة بجانب التعليم التقليدي بمراحله المختلفة ، لتصبغ العملية التعليمية بالصبغة الإسلامية فيدرس الناشئ المسلم ما يتعلمه نظيره في المدارس العلمانية ، إلى جانب الاهتمام بالثقافة العلمانية للنشء ، والاهتمام بالقرآن الكريم فهمًا وتلاوة ، و ممارسة الشعائر الإسلامية عمليا ، وتقوية انتمائه للإسلام .

ولهذا اهتم الشيخ حسن البنا رحمه الله بالتعليم بالمراحل المختلفة لأن نجاح العملية التعليمية يساعد كثيرًا على محو الأمية وإزالة الجهل ومن ثم تنجح الدعوة الإسلامية : " و من أجل هذا أيضًا كان طبيعيًا و ضروريًا أن يبدأ البنا عمله باذلاً جهده في تعليم الناس ، وذلك لأنه لا سبيل لنجاح دعوة إسلامية و الناس على ما كانوا عليه من جهل و جهالة ، و قد سلك لتحقيق ذلك طرقًا مختلفة : فهو ينشئ مدارس للبنين و البنات تعلم النشء ما يتعلمه نظائرهم في المدارس الأخرى ، و يزيدون على من سواهم أمرين : دراسة الدين الإسلامي و ممارسة شعائره كجزء أساسي من حياتهم المدرسية ، فساعات الدرس لا تتضارب مع مواعيد الصلاة ، و النشاط المدرسي يدور حول المثالية الإسلامية ، و العلاقة بين التلميذ و أستاذه علاقة ود متين وتفاهم متبادل و ثقة وطيدة "[٢].

و يقوم التيار الإسلامي ببناء هذه المدارس بالتبرعات و الجهود الذاتية

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الإخوان المسلمون / ريتشارد ميتشل من مقدمة المترجم د. محمود أبو السعود ص (٢٥ ــ ٢٦).

يقول الدكتور رتشارد ميتشل : " و كذلك القروض التي قدمها تجار محليون عـلى بناء مسجد تم إنشاؤه عام ١٩٣٠ م ، و ألحق به فيما بعد بناء لمدرسة للأولاد و منتدى ، ثم بناء لمدرسة للبنات"[١].

و استمر التيار الإسلامي يلتزم هذا المنهج ، و انتشرت المدارس ذات الصـبغة الإسلامية في كثير من الأقطار ، و حرصت الجاليات المسلمة في الـدول الغـربية على إنشاء المدارس الإسلامية الملحقة بالمراكز الإسلامية للحفاظ على هويتهم و تقوية الانتماء الإسلامي عند النشء حتى لا يذوبوا في المجتمعات الغربية بعاداتها و تقاليدها و أخلاقها " و يبدو أن التوجهات العامة نحو الالتزام بالشريعة و التمسك بكل تعاليم الإسلام أصبحت ظاهرة ملحوظة في العديد من مجالات الحياة العامة كالتعليم من مراحله الأولى وحتى مراحله الجامعية"[٢].

إنهـا محاولة من التيار الإسلامي لتأكيد الهوية و تحقيق الذات ، وذلك بعدمـا انتشـرت المدارس الأجنبية الخاصة التي تضعف الانتماء الإسلامي للـنشء ، و يقـوم عليها رهبان أو راهبات ، و يعلمهم الأخلاق فيها الأب الـروحي بدلاً من الشيخ أو أستاذ التربية الإسلامية ليتم إنشاء عقليات غربية في ثوب عربي و إسلامي خلق .

ولا يـلام الـتيار الإسـلامي على هذا النهج ، فإن الأصولية المسيحية حرصـت على هذا الأمر فقاموا بإنشاء المدارس التي تخدم أهدافهم محاولين بذلك تقديم المعرفة في المجالات المختلفة على أساس الإيمان بعصمة الكتاب المقدس ، و لتقوية انتماء أبنائهم به .

يقول جيل كيبل : " حققت الأجيال الإنجيلية الشابة في ميدان التعليم تقدمًا

---

(١) المصدر السابق ص (٧٨).
(٢) جريدة الوطن الكويتية عدد (٦٥١٣/ ٩٥٩) الأثنين ١٩٩٤/٣/٢٨.

هائلاً إبان السبعينات ، فقد ازداد عدد المدارس الابتدائية و الثانوية والإنجيلية بيــن عامي ١٩٧١ ــ ١٩٧٨ م بنسبة ٤٧ % بينما تزايد عدد الطلبة بنسبة ٩٥% و في عام ١٩٨٥ كان في الولايات المتحدة ١٨ ألف مدرسة ومؤسسة تربوية تضم مليونين و نصف مليون طالب ، أما في مجال الجامعات فقد تم إنشــاء جامعــات أصولية تهدف إلى تقديم المعرفة في كافة المجالات على أساس الإيمان بعصمة الكتاب المقدس "[1].

٨-نشأة مفهوم الإعلام الإسلامي :

موقف التيار الإسلامي من الإعلام :

نظــرًا لخطورة أجهزة الإعلام ، و خطورة ما تبثه من برامج و أفكار ومــواد مختلفة ، تباينت مواقف المسلمين ، فبعضهم يرى هدم هذه الوسائل وتحطيمهــا و إلغاءها لأنها طرائق الشر ووسائل الشيطان ، و بعضهم يظن أنه يحل المشكلة بمقاطعتها و الابتعاد عنها و عدم الركون إليها ، ومنهم من يصــر على الدعوة إلى الانسحاب من المؤسسات الجاهلية و مفاصلتها ، أما الموقف الأصعب فهو كيفية تحويل وتسخير أجهزة الإعلام لتكون في خدمة الحــق و الخيــر ، و هــذا هو الموقف الراشد واللائق بأمة تمتلك الرسالة المعياريــة التي تمكنها من التعامل مع الأشياء و الحكم عليها ، أمة تستطيع بمــا تملك من رؤية سليمة تحويل النقم إلى نعم و هضم المنتجات الحضارية وجعلها في خدمتها[2].

مفهوم الإعلام الإسلامي :

ربما يتبادر إلى الذهن أن الإعلام الإسلامي هو الصفحات الدينية وركن الفــتاوى و الخطب المنبرية في الصحافة اليومية ، أو الصحافة و المجلات

---

(١) يوم الله ــ الأصولية في الأديان الثلاثة/ جيل كيبل ــ ترجمة نصير مروة ص(١٧٣ ــ ١٨٣).

(٢) كتاب الأمة: مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامية ص (١١٤ ــ ١١٥) بتصرف.

ذات الصبغة الدينية البحتة ، أو البرامج و الأحاديث الدينية في الراديو أو أنه البرامج والأفلام و المسلسلات التاريخية و الدينية في أجهزة التلفاز ، إن هذه التصـــورات حـــول الإعلام الإسلامي هي جزء من حقيقة الإعلام الإسلامي الشامل ، فهو ليس إعلامًا دينيًا متخصصًا بل إعلامًا يتميز بشموله وتكامله ، له مقاييسه الخاصة به المنبثقة من روح الإسلام ، فالعمل الإعلامي يتم على أســـاس الضـــوابط الشرعية التي ينبغي أن يسير على هديها و يلتزم بها في نشاطاته المختلفة [١] و ممارساته الواقعية .

إن الإعـــلام الإســـلامي ــ بهــذا المفهوم المنهجي ــ روح تسري في النشـــاط الإعلامي كله تصوغه وتحركه و توجهه منذ أن يكون فكرة إلى أن يغــدو عمـــلاً منتجًا متكاملاً مقروءًا كان أو مسموعًا أو مرئيًا وبذلك يصبح الإعلام الإسلامي منهجًا قويمًا تسير وفقه جميع النشاطات الإعلامية في كافة الوســـائل والقـــنوات وبهذا لا يحدث تناقض بين المواد المختلفة التي يقدمها الإعلام وحتى لا يهتم بجانب ويهمل الجوانب الأخرى[٢].

إن الإعلام الإسلامي ــ بهذا المفهوم ليس بدعًا من الإعلام ، فكل إعلام ينـــبع من التصورات العقدية و الأيدولوجية للمجتمع ، يصبغ بالقيم و التقاليد والظـــروف الاجتماعية و السياسية والاقتصادية السائدة فيه و يخدم الأهداف العامـــة ، فالإعلام في الدول الغربية ــ الليبرالية العلمانية ينطلق من غايات المذهـــب ــ الليـــبرالي ــ العلماني و فلسفته و يروج بطرق مباشرة و غير مباشرة للخط العلماني الغربي للحياة الذي يفصل الدين عن واقع الحياة و يمجد الحرية الفردية و يعلي من قيمة الأنانية و الإنجاز الشخصي و يعمق روح المادية والاستهلاكية ، و الإعلام في الدول الشيوعية ــ يصطبغ بفلسفة

---

(١) المصدر السابق ص(٣٦ــ ٣٧) بتصرف.

(٢) المصدر السابق. ص (٣٧ــ ٣٨). بتصرف.

الأيديولوجية الماركسية و ينطلق من غاياتها و يروج بطرق مباشرة و غير مباشـــرة لـــلخط الإلحـــادي الماركسي للحياة ، الذي يصور هذه الحياة بأنها صـــراع بين الطبقات و يجعل الحزب ــ دكتاتورًا ــ متسلطًا و مهيمنًا على الـــناس و يوظف الإعلام ليكون خادمًا للسلطة و مجرد أداة لتحقيق رغبات الحزب و شهواته [١].

الإعلام الإسلامي و التطبيق :

و نحـــن فـــي نهايـــة العقد الأخير من القرن العشرين ، إلا أن الإعلام الإســـلامي ما زال فكرة تناولتها الأبحاث و الدراسات و لم تر الواقع بعد ، غيـــر أن ما قدمته الصحوة للناس هو إبراز مفهوم إعلام إسلامي يتعامل مع الواقـــع و يوجهـــه و الصـــحوة بفكرها الوسطى لا تقاطع الحداثة أو تهجر المجـــتمع و تعتزلـــه ، بـــل تستخدم الحداثة و التقنية لخدمة أهدافها النبيلة ، وترشـــد و تقوم المجتمع بالحكمة و الموعظة الحسنة ، و كانت بوادر رؤية الإعـــلام الإسلامي للنور ، و بروزه للوجود ، القيام بنشر فكرته و تأصيلها تمثل ذلك في إنشاء المعاهد و أقسام الدعوة و الإعلام الإسلامي في المعاهد و الجامعات المختلفة[٢].

٩- العمل الخيري و حل مشاكل المجتمع :

حمـــل الـــتيار الإسلامي على عاتقه هموم المجتمع ، و شارك بصورة فعالة في إزالة ما يعوق حركة الحياة ، و قدم للناس الخدمات المختلفة ، في مجـــال التعـــليم و الصـــناعة و الاقتصاد ، و الخدمات الطبية و أعمال البر للفقراء ، و أضحت هذه المشاركة مع قضايا المجتمع من صميم منهج التيار الإسلامي أحد مظاهر الصحوة الإسلامية .

---

(١) المصدر السابق ص (٣٨ ــ ٣٩) بتصرف.

(٢) المصدر السابق ص (٢٨) وص (٢١).

يقــول ريتشـــارد ميتشــل متحدثًا عن جماعة الإخوان المسلمين : و قد اســتقر هذا المنهج من النشاط كلما أسست الجمعية لها فرعًا ، فما أن يوجد مركز الشعبة حتى يستتبعه إقامة مشروع أو منشأة ، فثمـــة مسجد أو منتدى أو مصـــنع صـــغير ، ومدرســـة للبنات ، و القصد من ذلك جذب المجتمع والاستفادة من نشاطه[١].

و قــد بذلت جمعية "الإخوان المسلمون" جهدًا شديدًا في مجال الخدمة الاجتماعية ، لحل مشاكل الناس خاصة في المناطق التي تقل بها الخدمات ، ولا يعــبأ بها المسئولون فأنشأت المدارس و المعاهد الليلية و النهارية للبنين والبنات و الرجال ، تلقن برامج فنية و علمية ، كما أنشأت صناعات صغيرة للــتخفيف مــن وطأة البطالة التي أعقبت الحرب و لتبرز "حيوية" الاقتصاد الإسلامي ، و ادعمت أعمال البر بأعمال الخدمات الاجتماعية خصوصا في المــناطق الــريفية ، و بالخدمـــة الطــبية فـــي شكل مستشفيات و عيادات ومستوصفات "[٢].

و هــذا يدل على أن التيار الإسلامي ليس إرهابيًا أو مخربًا أو انعزاليًا عن المجتمع ، أو أنه بينه و بين الآخرين عداء و قتال ، كما يحاول الغرب ومــن والاهــم تصوير ذلك ، و يثبت أيضًا أن التيار الإسلامي ليس سياسيًا بالدرجة الأولى، بل إن هناك همومًا دعوية واجتماعية تشغل مساحة كبرى في فكرة هذا التيار .

فــلقد " انتشر التيار الإسلامي في مجالات لا تتسم ملامحها صراحة بالصـــبغة السياســـية ، فقد استخدم في هذا المجال أساليب العمل الاجتماعي والتربوي ، واستفاد من أوجه القصور الموجودة في سياسة الدولة ، ويفضل

---

(١) الإخوان المسلمون / ريتشارد ميتشل ــ ت . د. محمود أبو السعود ص (٧٨).
(٢) نفس المرجع السابق ص (١١٨).

العلاج الطبي المجاني و توزيع الأدوات المدرسية .. استطاع الطلبة الخروج إلى مـا وراء أسـوار الجامعـة و كسب تعاطف ــ إن لم يكن انضمام ــ الشـرائح الشعبية التي كانت أقل حظًا في محاولة التعبئة الأولى، و هكذا بدأ مناضـلو الإسـلام السياسي في نسج خيوط "مجتمع مضاد" فعلى يحاول أن يسـتجيب لكـل أوجه قصور النظام أو لكل مجال تتعثر فيه عملية التحديث "الفوقية"[1].

بـل إن الـتيار الإسلامي شارك في حل مشاكل الثأر بين العائلات في صـعيد مصر ، و محاولة إزالة أسباب العنف الدموي بين الناس ، هذا إلى جـانب دعوتهـم إلى إقامة الشعائر التعبدية ، ينقل "كارلي ميرفي" المراسل الصحفي لـ انترناشيونال هيرالد تريبيون ــ جزءًا من هذه الصورة فيقول:

(و قد بدأت الجماعة الإسلامية التي جاءت إلى هذه القرية منذ خمس سنوات بدأت تحث سكان القرية على الصلاة و الصيام و المساعدة على حل مشاكل الثأر الدموية بين بعض عائلات القرية) .

وقـالت شابة ريفية في الثالثة و العشرين من العمر ، و هي تضخ الماء من مضخة صغيرة لا تبعد كثيرًا عن منزلها :"منذ وصلت الجماعة الإسلامية إلى قريتنا قبل خمس سنوات ، سعت إلى إزالة كل أسباب العنف الدموي بين الأسـر هنا و بدأ أفراد هذه الأسر يشعرون بالأمن على حياتهم ، و أضافت هـذه الـريفية المصـرية قائـلة : " إن أفضل ما شاهدناه هنا في قريتنا هم الجماعة الإسلامية [2] ، إن العمل الاجتماعي الذي يقوم به التيار الإسلامي ، قـد أكسـبهم تعاطف الناس ، و ثقة الناس بهم ، وقد تحولوا بذلك إلى تيار

---

(1) الإسلام السياسي صوت الجنوب / فرانسوا بورجا. ت د. لورين زكري ص (١١٤ ــ ١١٥).

(2) جريدة الوطن الكويتية عدد: ٦٢٢٤ ــ ٦٧٠ ــ ١٩٩٣/٦/٨ والكاتب لم بسم القرية لكنه أشار إلى أنها من صعيد مصر وتبعد حوالي ٦٥٠ كم جنوب القاهرة.

شعبي ، بتفاعلهم مع قضايا المجتمع و استجابتهم لاحتياجاته مما جعلهم أكبر قوة سياسية ملحوظة في مصر [١] ، هذا إلى جانب قربهم من الناس وتفاعلهم مـــع مشاكل المجتمع لإيجاد حل لها أحبط محاولات الإعلام لتشويه صورة المســلمين و الصـــحوة الإســلامية ، و أثبت زيف الادعاءات التى يرددها الإعلام .

و أخـــذ العمـــل الخيـــري يتبلور و يأخذ صورة منظمة وأنشئت اللجان الخيـــرية بســـبب انتشار العمل الخيري و قامت هذه اللجان بإنشاء المشاريع الحيويـــة للمحتاجين ، كبناء المستشفيات والمدارس و المساجد و حفر الآبار وتقديم الغذاء و الكساء ، و الوقوف إلى جانب المسلمين المتضررين في كل مكـــان ، يقول الدكتور يوسف القرضاوى : "رأينا كثيرين من أبناء الصحوة يعمـــلون فـــي ميـــادين خدمة المجتمع و يسهمون في الأعمال الخيرية ، بل ويقودونها محتسبين متطوعين ، و قد شاهدت ذلك بنفسي في جمع المعونات للمتضررين بسبب المجاعات في أفريقيا ، و كذلك لاجئين و المتشردين من المسلمين في فلسطين و أفغانستان و غيرها [٢]".

مظاهر الصحوة في بعض بلاد العالم

بعـــد أن عرضـــنا لمظاهـــر الصحوة المختلفة و انتشارها في كثير من الأقطـــار ، ســـنلقي الضوء على مظاهر الصحوة في بعض البلاد على سبيل المثال لا الحصر مدعمًا ذلك بالأرقام و الإحصاءات .

تـــركيا :

تنامت الصحوة الإسلامية في تركيا بشكل ملحوظ ، وهناك أرقام نشرت

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية عدد: ١٠٨٠ — ٢١/١٢/١٩٩٣.

(٢) الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي ص (١٧).

في الصحافة التركية حديثًا تعكس المدى الذي بلغه تنامي الحالة الإسلامية في البلاد حيث أبرزت الإحصائيات الآتية :

١- أنــه يجــري الآن بناء ١٥٠٠ مسجد جديد سنويًا و أن هناك ٦٢٩٤٧ مسجدًا تقام فيه الشعائر التعبدية في سائر البلاد أي أن هناك مسجدًا لكل ٨٤٧ مواطنًا تركيًا ، و في مدينة استنبول وحدها أكثر من ٢٠٠٠ مسجد بيــنما لا يزيد عدد المدارس فيها على ١٧٠٠ ، و يتزايد عدد المدارس الديــنية ــ الإمامة و الخطابة ــ بسرعة ووصل الآن إلى ٤٠٠ مدرسة تضــم طلابًا مسلمين بلغ عددهم ٣٠٠٠٠٠ أي بزيادة ٥٠ % مما كان عــليه عــام ١٩٨٠ ، و تنظيم دورات خاصة بتعليم القرآن الكريم في ٥٠٠٠ مركز إسلامي تضم حوالي ٢٨٠٠٠٠ طالب و طالبة .

و أقرت لجنة الموازنات في البرلمان التركي قبل فترة وجيزة تخصيص مبلغ ١,٣ ألف مليون ليرة حوالي ــ ٤٥٠ مليون دولار ــ لموازنة وزارة الشئون الدينية ، و من الإشارات الواضحة الدلالة في هذا السياق :

أقــر الــبرلمان الــتركي قانونًــا يسمح للطالبات في الجامعات بارتداء الحجــاب الشرعي و قبل عامين قضت محكمة دستورية بأن ارتداء الحجاب داخل قاعات التدريس يتعارض و المبادئ العلمانية ، لكن ارتداءه أخذ صفته الشرعية الآن بفضل اقتراح تقدمت به مجموعة من أعضاء البرلمان التابعين لحــزب الوطــن الأم الحاكم بدعم من بعض العناصر داخل حزب الطريق القويم المعارض.

وأصبح العدد المتزايد للطالبات اللواتي يرتدين الحجاب الشرعي ملحوظًا بوضوح في عدد كبير من الجامعات التركية ، أقر البرلمان ــ لجنة الموازنة ــ قانون ضريبة المسجد كما اقترحته بعض عناصر الحزب الحاكم و يطالب القــانون المصارف و شركات التأمين بدفع٢ % من أرباحها السنوية لتجديد

المســـاجد و الأماكن الدينية الكبرى، وسعى البرلمانيون من أعضاء الحزب الحـــاكم إلى تمرير تشريع جديد يقضي بتدريس مادة الديانة التطبيقية في كل مدارس تركيا ، و لقد أدخلت مادة الديانة في المنهاج الإجباري في المدارس الخاصـــة و العامة في الثمانينات و يريد أصحاب الاتجاه الإسلامي الآن أن يتوافق ذلك مع تدريب ديني أي ممارسة الشعائر الدينية كالصلاة(١).

و قـــد ازدادت إصدارات الكتب الدينية بحيث شكلت ٧ % من مجموع الإصـــدارات العامة و تم زيادة عدد النسخ المطبوعة من مجلة الإسلام إلى ٢٢٠ ألف نسخة وهو ما يعتبر شيئًا غير عادي في المطبوعات الدورية في تـــركيا ، و أصبح للمراجع الدّينية بمراتبها المتسلسلة ، مراكز تنتشر في كل المناطق المأهولة بالسكان (٢) .

فـــرنسا :

نظـــراً لمـــا حدث من هجرات من دول شمال إفريقيا إلى فرنسا عقب الحـــرب العالمية ، بناء على اتفاقيات حدثت بين فرنسا و هذه الدول لحاجتها إلى الأيدي العاملة و كان أغلب المهاجرين من المسلمين و تسهيلاً لهجرتهم ســـمحت لهم فرنسا باصطحاب أسرهم ، مما أدى إلى زيادة نموهم السكاني وانتشـــارهم في أرجاء فرنسا ، و بتنامي الشعور الديني بات من اليسير أن ترى في أي مدينة فرنسية مسجدًا تؤدى فيه الصلوات ، و يتم فيه تعليم أولاد المســـلمين الـــلغة العـــربية و المبادئ الإسلامية أيام العطل ، و قد بلغ عدد المساجد و المصليات في فرنسا ألف مسجد .

كمـــا توجد في فرنسا ١٢ ألف جمعية إسلامية عاملة في مختلف المدن وتهـــتم هـــذه الجمعيـــات بتنظيم دورات تعليم القرآن و اللغة العربية لأبناء

---

(١) جريدة الشرق الأوسط الدولية عدد / ٥٣٣٣ ـــ ٥/ ٧ / ١٩٩٣م.
(٢) جريدة الوطن الكويتية عدد / ٦١٦٧/ ٦٣٤ ـــ ١٠/ ٥/ ١٩٩٣م.

الجاليـــات الإســـلامية المقيمة هناك ، بالإضافة إلى الاهتمام بمسلمي فرنسا الذين دخـــلوا الإسلام و لا يعرفون عنه شيئًا و ذلك عن طريق تنظيم دروس وحــلقات و خطـــب فـــي المســـــاجد تدعو إليها الفرنسيين المسلمين لتعلم الإسلام[1].

جمهورية آسيا الوسطى :

بدأت تتنامى مظاهر الصحوة في جمهوريات آسيا الوسطى فعلى سبيل المثال : في سمرقند و بخارى كانت المساجد في الماضي خالية من المصلين و لكنها الآن أصبحت مكتظة بالناس ، ففي عام ١٩٩٠ لم يكن عدد المساجد يـــتجاوز ٢٣ مسجدًا تعج بالحركة و الصلاة أما اليوم فقد تضاعف هذا العدد حـــتى وصــــل إلى ١٠١٢ مسجدًا ، و يمكن القول أن عدد المساجد في هذه الجمهوريـــات الخمـــس أوزبكستان و كازخستان و قرغزستان وطاجيكستان وتركمنســـتان ـــ فـــي وسط آسيا لم يكن يتجاوز ثمانين مسجدًا أما الآن فقد وصــــل إلى ٣٥٠٠ مسجد ـــ و هذا يظهر حرص هذه الشعوب على التمسك بالإســـلام وشـــعائره ، و نظـــرًا لقلة الدخل هناك فقد قامت المملكة العربية الســـعودية بتحمل تكاليف الحج بما لا يقل ستة آلاف شخص من أوزبكستان في العامين الماضيين[2].

([1]) مجلة المجتمع الكويتية العدد / ١٠٧٧ ـــ الثلاثاء بتاريخ ١٩٩٣/١١/٣٠م.

([2]) جريدة الأنباء الكويتية عدد/ ٦١٨٨ ـــ ١٩٩٣/٧/٣١م نقلاً عن ليفجارو ـــ بقلم تبيري ديجاردان.

الفصل الثاني
اهتمام المستشرقين بالصحوة الإسلامية



اهتمام

المستشرقين بالصحوة الإسلامية

رصد الغرب للصحوة :

سبق وأن أشرنا في الفصل الأول، إلى دوافع و أهداف الاستشراق التي جعـلت المستشـرقين يعكفـون عـلى دراسـة الإسلام وعلومه و تاريخه والشخصـيات الـتي ارتبطت به ، و دراسة كل ما له صلة بالإسلام دراسة مـتأنية ، لمعرفة مواطن القوة والضعف في بنيان الشعوب الإسلامية وكيفية إضعاف الأول وزيادة الثانية. و ذلك عن طريق إثارة الشبهات و الطعن في الإسلام أو تشويهه في أذهان أبنائه أو أذهان غيرهم من أبناء الملل و النحل الأخرى .

وهـذه الدوافـع هي : (الدافع الديني ، و الاستعماري ، و الاقتصادي ، والسياسي ، و الدافع العلمي النزيه) .

و إذا نظـرنا إلى رصد الغرب للصحوة الإسلامية فإن الأمر لا يختلف كـثيرًا إذا كنا نبحث عن الأسباب ، ربما برزت دوافع أخرى مع مستجدات الأحـداث عـلى الساحة ، و ربما تجددت الدوافع القديمة و تفاعلت معها ، والحقيقة أن العالم يشهد اهتمامًا واسعًا بالحركات الإسلامية في كافة أصقاع الدنيا لا سيما في بلاد الغرب ، فهم يراقبون و يرصدون الظواهر الاجتماعية و الـتغيرات التي تطرأ على العالم الإسلامي و لم يكن هذا الرصد من قبيل اللهو البريء أو التسلية بل لقد أخذوا هذا الأمر مأخذ الجد الذي لا هزل فيه.

يقـول (جيل كيبل) : " إن رصد و مراقبة الحركات الدينية التي ازدهرت

في كافة أصقاع الدنيا ، إنما هو تساؤل نطرحه على أنفسنا عبرها و نقوم به بتوسـطها ، حول الطفرات الإجمالية التي شهدتها المجتمعات المعاصرة في الـربع الأخيـر من هذا القرن ، و هي طفرات يشعر الرأي السائد بآثارها ومفاعليها بدون أن يعرف أسبابها .

وكائـناً مـا كانت غرابـة وضلال و تعصب هذه الحركات في بعض الأحيـان إلا أن رصـدها يعـني أن نحـمل محمل الجد خطابها و الأشكال والصـيغ الاجـتماعية البديـلـة الـتي تحاول بنـاءها تبـعاً أو بصورة موازية[1].

و إذا كـان مفكـرو الغرب يضعون علامات الاستفهام و الفروض حول الحركات الإسلامية ، فإن علينا بالتالي أن نسأل أنفسنا لماذا يهتم الغرب بالعالم الإسلامي و ينشغل به ؟

لمـاذا يرصـد الغـرب العالم الإسلامي ؟ لماذا يراقب الغرب الحركات الإسلامية و يحرص على معرفتها و تقييمها؟.

أسـئلة تطرح نفسها لاسميا عندما يرى المسلمون الكم الهائل من الأبحاث والدراسـات و هـي تتناول العالم الإسلامي و ظواهر الصحوة التي عمت جوانب المجتمع المختلفة ، إن أصحاب العقول الساذجة ربما يفرحون عندما يـرون العـالم الغربي يهتم بالعالم الإسلامي و قضاياه و ظواهره ومشكلاته ويرصدونها و يحللونها ، أما أولو الألباب فإنهم يقفون أمام هذا الأمر وقفات مـتأنية لمعرفة الدوافع ليكونوا على بينة من الأمر و يأخذوا حذرهم ، وهذه بعض الأسباب التي دفعت الغرب لرصد الصحوة الإسلامية.

---

(١) يوم الله: الأصولية في الأديان الثلاثة/ جيل كيبل. ترجمة: نصير مروة ص (١٩).

أسباب رصد الغرب للصحوة الإسلامية

من أهم أسباب رصد الغرب للحركة الإسلامية ما يأتي :

١) **قدرة الإسلام على الذيوع و الانتشار :** إن الغرب يدرك من قديم قـــدرة الإسلام على الانتشار ، و تلاقي أفكاره مع العقل و الفطرة السليمين، ولهذا يتلقاه كثير من الناس بالقبول ، فعمَل الغرب جاهدًا على الحيلولة دون انتشار الإسلام في بلاد الغرب ، و البلاد التي لا تدين بالإسلام، وعملوا على تشويه حقائق الإسلام عند المسلمين ليبعدوهم عن مصدر قوتهم حتى لا يعود المسلمون إلى ريادة و سيادة العالم ، و لا شك أن الغرب ينفق في سبيل ذلك كل غال و نفيس .

يقـــول الدكـــتور عبد العظيم المطعنى : " أدركت أوربا منذ زمن بعيد عظمـــة الإســـلام و قدرتـــه الفائقة على الذيوع و الانتشار ، كما أدركت أن الإســـلام إذا أحسن المسلمون العمل به صاروا قوة من طراز فريد ، و أنهم بالإســـلام يكونـــون مؤهـــلين ــ بحق ــ لريادة العالم أجمع ، و أن ما عدا الإســـلام مـــن النظم و الأيديولوجيات سوف تتهاوى و تذوب أمام الإسلام.. لذلك لم تأل" أوربا الحديثة جهدًا في محاربة الإسلام بكل وسيلة متاحة، وكان هدفهـــا ومـــا يزال من محاربة الإسلام إما القضاء التام عليه إن أمكن و إما محاصرته ووضع السدود أمامه حتى لا يتسرب إلى معاقلهم و أوطانهم، وإما تشـــويه حقائقه لدى المسلمين أنفسهم و الحيلولة بينهم و بين الإسلام ليسلبوه

مصادر قوتهم و عزتهم و كرامتهم "[١].

٢- **السيطرة على العالم الإسلامي** : إن الغرب ينتفع بطرق شتى بخيرات العالم الإسلامي و ثرواته ، بل إن مصير الغرب ووجوده يرتبط ارتباطًا وثيقًــا بما يستنزفه من ثروات العالم الإسلامي ، و لا أدل على ذلك من الشــلل الــذي أصـــاب الغرب حينما منع الملك فيصل بن عبد العزيز ــ رحمه الله ــ تدفق البترول إليهم إبان حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ م ، لذلك كـــان لـــزامًا على الغرب أن يكثف دراساته على الحركات الإسلامية و العالم الإسلامي عامة، ليحكم سيطرته و يستمر في استنزاف الثروات ما استطاع إلى ذلك سبيلا وليقف حائلاً دون يقظة الأمة و صحوتها ، يقول الدكتور مازن المطبقانى : "إن اهتمام أمريكا بالعالم الإسلامي و بالحركة الإســلامية بصـــفة خاصة يرجع إلى اهتمام القوى الاستعمارية بما تحت أيديهـــا مـــن شعوب وأوطان ، تدرسها دراسة تخطيط ومكر لتطيل قوة سيطرتها عليها لتستمر في استنزاف خيراتها و ثرواتها ولتمنع يقظتها أو لتؤخر هذه اليقظة ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً [٢] .

٣- **احتواء الصحوة** : إن الدبلوماسية السياسية تتطلب دراسة الصحوة بمعرفة كيفيـــة التعامل مع الحركات الإسلامية بما يتفق مع مصلحة الغرب لذلك نجـــد أن (دراســـات المستشـــرقين و الأمريكان و الأوروبيين تتعمق في دراسة الخلفيات الاجتماعية لأعضاء هذه الحركات لأهداف منها ، لتعرف كيف تتعامل معها أو لتحاصرها و تقضى عليها)[٣] .

---

(١) إفتراءات المستشرقين على الإسلام / عرض.. ونقد الدكتور عبد العظيم المطعني ص (٣).

(٢) الغرب في مواجهة الإسلام.. معالم ووثائق جديدة / د. مازن المطبقاني ص (٣) بتصرف.

(٣) السابق ص (١٣).

أحداث زادت اهتمام الغرب بالحركات الإسلامية

عــندما ظهــرت البوادر الأولى للافاقة بين المسلمين في النصف الــثاني مــن القــرن التاسع عشر لم يعرها الأعداء اهتمامًا ، اغترارًا بتمام سيطرتهم على مقدرات العالم الإسلامي [1] و بعد مرور قرن فوجئ الأعداء بانتشــار حركات الإحياء في كل مكان و اتخذ بعضها شكل جماعات منظمة قوية مستعدة للنضال في سبيل إنقاذ المسلمين من المصير المخيف [2] ، حتى ظهــرت فــي العالم الإسلامي عدة أحداث حركت الخوف والقلق في عقول وقــلوب الغــرب، عندئذ تعالت الأصوات تنادى بدراسة هذه الجماعات التي تستتر خلف الدين و أنه حان الوقت لمعرفة حقائق هذه الجماعات التي تهدد مصـــالح و مخططات الغرب في بلاد الشرق الأوسط و قد وقعت أحداث في العـــالم الإسلامي ألهبت حماس الغرب لتتبع رصد الحركات الإسلامية ومن أهم هذه الأحداث :-

١- حرب فلسطين . و دور "الإخوان المسلمون "

عــندما شــارك الاخوان المسلمون في حرب فلسطين بدور فعال أدرك اليهــود ما ينطوى عليه نشاط الاخوان حتى قبل بدء حرب ١٩٤٨ م وليس أدل عــلى ذلــك من مقال لكاتبة يهودية تدعى ــ روث كاريف ــ نشرته الصــنداي ميرور في مطلع عام ١٩٤٨م. و نقلته جريدة المصري في حينه حيــث قــالت : " إن الإخــوان المسلمين يحاولون إقناع الغرب بأنهم أسمى

(١) كان العالم الإسلامي في هذا الوقت يرزح تحت الاستعمار الغربي هذا إلى جانب الفرقة والجهل.

(٢) الأصولية في العالم العربي / ريتشارد هرير دكمجيان، ترجمة: عبد الوارث سعيد ص (٩ ــ ١٠) من تمهيد المترجم.

الشعوب على وجه البسيطة و أن الإسلام هو خير الاديان جميعًا والآن و قد أصـــبح الإخوان ينادون بالاستعداد للمعركة الفاصلة التي توجه ضد التدخل المـــادي لـــلولايات المتحدة في الشرق الأوسط ، و أصبحوا يطلبون من كل مسلم ألا يتعاون مع هيئة الأمم المتحدة ، فقد حان الوقت للشعب الأمريكي أن يعـــرف أي حـــركة هي و أي رجال يستترون وراء هذا الاسم الرومانتيكي الجذاب ــ الإخوان المسلمون ــ [1].

٢- انتصار أكتوبر :

و كان لانتصار العرب على إسرائيل عام ١٩٧٣ م أثر كبير في ازدياد اهتمام الغرب بالصحوة الإسلامية .

٣- سلاح البترول :

و فـــي أثـــناء حرب أكتوبر قام العرب باستخدام سلاح البترول بشكل مؤثـــر و فعـــال ، و معـــروف مـــا أحدثه من زلزال اقتصادي هز أركان المجتمعات الغربية .

٤- قيام الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ م :

كـــان من أكثر الأحداث إلهابًا لحماس الغرب لرصد الحركات الإسلامية قيـــام الـــثورة الإيـــرانية ، و عودة الخميني زعيمها و محركها إلى طهران وإعلان الجمهورية الإسلامية .

٥- حادث المسجد الحرام عام ١٩٧٩ م :

وواكـــب الثورة الإيرانية وقوع حادث الحرم ، حيث قامت مجموعة

(١) مجلة المجتمع الكويتية عدد ــ ١٠٤١ / ٩ــ٣ــ١٩٩٣م.

مسـلحة بـالهجوم عـلى المسجد الحرام في مكة لرغبتهم في عودة الخلافة الإسلامية و لعدة دوافع دينية أخرى .

٦- اغتيال الرئيس السادات :

و مـن الأحداث التي استحوذت على اهتمام الإعلام العالمي و المحللين والساسـة، وجـذب الأنظار بشدة إلى العالم الإسلامي ، قيام جماعة الجهاد باغتيال الرئيس المصري السادات عام ١٩٨١ م[١] ، عندئذ ازدادت اهتمامات أعـداء الإسـلام بدراسة الحركات الإسلامية و اتجه الغرب " بكل إمكانياته وتقنياته الهائلة يدرس هذه الظاهرة المفزعة له : يرصدها و يجمع المعلومات و يحلـلها و يفسـرها و يسـتنطقها بالتنبؤات عن المستقبل و يضع الخطط المضـادة ليقضـي عـلى هذه الصحوة ، و تدفق سيل هائل من الدراسات والمقالات و التحقيقات و المؤتمرات تقف وراءها مئات الجامعات والمراكز والمعـاهد و الأقسام و المؤسسات العلمية ، والعديد من المكاتب والإدارات والـلجان المتخصصـة التي نشطتها أو أنشأتها وزارات الخارجية و الدفاع وأجهزة الأمن القومي و الاستخبارات ، و كثيرًا ما تشابك الخطان الأكاديمي والحكومـي كما كشفت بعض الوقائع مثل واقعة (د. نداف سفران)[٢] ، مدير مركـز دراسـات الشرق الأوسط في (هارفارد) حين كشفت إحدى الصحف الطلابية هناك عن تلقيه سرًا مبلغ (٤٥) ألف دولار من " وكالة الاستخبارات المركـزية " (C.I.A) لعقـد مؤتمر دولي عن " الأصولية الإسلامية " وكان

---

(١) الأصولية في العالَم العربي/ دكمجيان ترجمة : عبد الوارث سعيد (ص ٩ ــ ١٠)، وانظر يوم الله: الأصولية في الأديان الثلاثة/ جيل كيـبل ترجمة: نصير مروة ص (١٥)، ص (٣٢).

(٢) يهودي من أصل مصري يحمل الجنسية الأمريكية..

سيقال عنه ــ كالعادة أنه مؤتمر للبحث العلمي النزيه[1] .

إحصائية تثبت تزايد الاهتمام:

لقــد انتشرت مراكز الرصد و التحليل و الدراسة للحركات الإسلامية ، أيضًــا زاد عــدد الباحــثين فـــي شئون العالم الإسلامي و كثرت الدوريات والأبحاث و المؤتمرات ، يقول الأستاذ / عبد الوارث سعيد : " إن موضوع (دراسات الشرق الأوسط) هو أبرز (العناوين في الغرب الآن التي تتم تحتها عملية الرصد و الدرس و التحليل للعالم الإسلامي .. و قد تطورت وتوسعت بشكل هائل منذ الحرب العالمية الثانية خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، ويكفـــي أن نعــرف أن عــدد المتفرغين للبحث في هذا المجال في جامعات أمريكا و كندا كان (٣٦٣) عام ١٩٦٣ م فأصبح (٦٧٠) عام ١٩٨٦م ، وأن عــدد أعضاء " رابطة دراسات الشرق الأوسط " في أمريكا عام ١٩٧٧ م كــان (٨٢٣) عضوًا موزعين على (١٩) مجالاً تخصصيًا ، ثم وصل عام ١٩٨٦ م إلى (١٥٨٢) عضــوًا موزعين على (٣٩) مجالاً أهمها : مجالات الــتاريخ و السياســة و الأدب و اللغة و الدين و الاقتصاد و علوم الإنسان والاجــتماع و التعليم و القانون ، التي استأثرت باهتمامات ٨٠% من هؤلاء الأعضاء ، و أن في الغرب حوالي (٢٦٢) دورية جادة غير حكومية باللغة الإنجــليزية وحدها تصدر منها نحو (٤٠) في الولايات المتحدة و مثلها في بــريطانيا ، و إن كــثيرًا منها ظهر بعد صدمة البترول عام ١٩٧٣ م و إن قائمة العناوين المنشورة في الدوريات عن الشرق الأوسط وصلت في نشرة أوائل ١٩٨٧ م نحو (٧١) ألف مادة .

---

(١) ر . هـ. دكمجيان / المصدر السابق ص (١٠) من مقدمة المترجم.

لم يقف الأمر عند هذا الحد بل حرصت دول الغرب خاصة أمريكا على إنشاء عشرات المراكز في داخل البلاد الإسلامية ــ تحت مسميات مختلفة ــ لتـــتولى عمـــلية الرصد و جمع المعلومات لإمداد مراكز التخطيط و القرار هـــناك ، هـــذا فضلاً عن المؤسسات التقليدية الاديمة من جامعات و مدارس أجنبية تسهم كذلك في المهمة نفسها "[١].

---

(١) ر ـــ هـــ . دكمجيان / السابق مقدمة المترجم ص (١٠ ـــ ١١).

الفصل الثالث
تقييم المستشرقين للصحوة
أسبابها و خصائصها



تقييم المستشرقين للصحوة : أسبابها و خصائصها

أولاً : المستشرقون و أسباب الصحوة :

تـــنوعت الـــرؤية حول أسباب الصحوة الإسلامية ، و اختلفت المدارس الاستشـــراقية فـــي تحديدهـــا ، و قـــد اتفقوا على عدة أسباب و اختلفوا في الأخـــرى، و المستشـــرقون فـــي دراساتهم عن أسباب الصحوة يلمحون أو يصـــرحون بـــأن الصـــحوة الإســـلامية وليدة الأزمات التي تعصف بالعالم الإســـلامي و ربمـــا يكون اختلافهم في تحديد أسباب الصحوة يرجع لتنوع مدارس المستشرقين الفكرية ، أو يرجع لانتشار الصحوة في أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي و غير الإسلامي .

و ســـنقوم بعرض أسباب الصحوة كما يراها بعض المستشرقين و كما تراها بعض المدارس الفكرية المناهضة للإسلام .

أولاً : أسباب الصحوة كما يراها دكتور ريتشارد ميتشل [1].

يـــرى ريتشـــارد ميتشـــل أن الســـلبيات التي أصابت العالم الإسلامي والمجـــتمعات الإسلامية والإخفاقات التي أصابت مؤسساته، وتمزق الوحدة الإســـلامية ، والآثار السلبية التي تركها الاستعمار الغربي ، وانتشار حركة الاستشـــراق و التبشـــير ، و الانهيـــار الأخلاقـــي الذي أصاب الأمة ، هذه الأســـباب مجـــتمعة جعلت المصلحين يتيقنون أن الحل الأمثل لمشاكل الأمة والذي يجعلها تعود إلى سابق عهدها من قوة ووحدة و تقدم علمي و حضاري هو العودة إلى الإسلام ، وأول هذه الأسباب هي :

---

(١) الدكتور ريتشارد ب ميتشل: أستاذ بجامعة ميتشجان، الولايات المتحدة الأمريكية.

١- حالة الضعف التي أصابت العالم الإسلامي بعد عهد الخلفاء الراشدين :

فيـــرى ريتشارد ميتشل : أن حالة التردي التي يمر بها العالم الإسلامي بعـــد عهـــد الخلفاء الراشدين الأربعة الذين مثلوا الإسلام بحق كعقيدة ونظام وقـــاموا بخدمـــة الإسلام و المسلمين ولم يزل الحاكم على عهدهم ورعًا تقيًا عالمًـــا بـــروح الإسلام و شريعته ، و بيت المال يقوم بالنفقة على المسلمين خاصـــة أصـــحاب الحاجـــات منهم ، فلما انتقلت الخلافة إلى أيدي بني أمية وصـــارت مـــلكاً عضوداً و أهدرت حاجات الناس و مصالح الأمة و أيقظت العصـــبية الجاهـــلية و انتشرت الفرق ، و لم يظهر الإسلام في قوته و نقائه طيلة عهد الأمويين إلا في عهد عمر بن عبد العزيز .

وانـــتزع العباسيون الخلافة وتمرغ خلفاؤه في الترف والأبهة والبذخ ، وغفـــلوا عـــن رسالتهم كقادة للدعوة الإسلامية ، وزادت النزاعات السياسية والطائفية، وأهملت العلوم التطبيقية ، ثم انتقلت الخلافة إلى غير العرب الذين لـــم يســـتوعبوا روح الإســـلام وحقائقه بسبب اللغة على الأرجح ، وواصل الأعداء حملتهم على الأمة الصليبيون ثم التتار حتى كان الاستعمار الغربي، والطفـــرة العلمية والاستكشافات التي زادت من الهوة بين المسلمين والغرب حـــتى ســـقطت الخلافة وتمزقت الأمة شر ممزق ، وبرغم حماس الأتراك وعاطفـــتهم الجياشـــة تجـــاه الإسلام إلا أن السلبيات التي ظهرت من بعض الخـــلفاء والتـــنازع على السلطة وحياة الترف جعل الامبراطورية العثمانية فريســـة لأوربـــا الناهضة [١] وبنهاية الحرب العالمية الأولى تحطمت الدولة

([١]) لم يكن حال الخلافة الإسلامية بعد عهد الخلفاء الراشدين بهذا السوء، بل كانت هناك فترات قوة وحيوية وتماسك وانتشار و لم يكـــن الأتـــراك يجهلون الإسلام بهذه الصورة بسبب اللغة كما يقول: "فاللغة ليست عائقًا من فهم الإسلام ومن المعلوم أن كثيرًا من عـــلماء الـــلغة العربية والحديث والتفسير كانوا من الأعاجم ولكن الإسلام عربهم، والدليل على أنهم فهموا روح الإسلام أنهم قاموا

الإسلامية وفعل المستعمرون ما أرادوا في أرض الإسلام [١] .

٣- ضعف جهات الدعوة الرسمية في الدفاع عن الإسلام:

ويــرى أيضًا من ضمن أسباب الصحوة ضعف الجهات الرسمية للدعوة فــي الدفــاع عــن الإسلام ضد الهجمات الشرسة من الأعداء ، و فشل هذه الجهات في الدعوة إلى إسلام حي متطور ، و ضعف هذه الجهات في الدفاع عــن الــتراث الإســلامي ضد طغيان الأفكار و القيم الغربية[٢] ، و بسقوط العــلماء فقــد ســقط المجتمع الإسلامي ، لأنهم-أي المسلمين- نظروا إلى الإســلام نظــرة عــفى عليها الزمن فأصبح جافًا ميتًا متعلقًا بالطقوس غير متصــل و لا متعلق بحاجات الناس في الدنيا، وقد فشل العلماء في النهوض بالإســلام ليجاري العصر، ظهر ذلك في طريقة التدريس القديمة التي انعدم فيها البحث والاستحداث، والاعتماد على الاستظهار دون الاستدلال، ودراسة النصــوص القديمة دون الرجوع إلى النظم الحديثة والفنون الجديدة للتعليم ، ففشل العلماء في فهم روح الإسلام فهمًا صحيحًا والدعوة إليه لإصلاح حال الــناس فــي الدنيا والآخرة، وفشلوا مرة أخرى في الدفاع عن الإسلام ضد أعداء الدين.

و لــم يكن هناك بالتالي من يحسن الدعوة إلى الإسلام كجماعة أو جهة رسمية أو غير رسمية إلا الطرق الصوفية التي كان عليها اعتراضات على

بنشــره في أوربا بالجهاد والدعوة، و لم تكن الخلافة العثمانية فريسة سهلة لأوربا كما يقول إلا في آخر عهدها حيث اجتمعت عوامل كثيرة يضيق المقام لذكرها تسببت في سقوط الخلافة العثمانية.

(١) الاخوان المسلمون ريتشارد ميتشل ترجمة د. محمود أبو السعود ص ٣٥٦ ـــ ٣٥٨ نقلاً عن الإسلام والإستبداد السياسي للشيخ محمد الغزالي ـــ العدالة الاجتماعية في الإسلام للأستاذ سيد قطب .

(٢) الاخوان المسلمون. ريتشارد ميتشل ص ٢٥٨ ـــ ٢٦١ نقلاً عن (في موكب الدعوة) للشيخ محمد الغزالي.

الـناحية التكوينية و الدينية : (فتعاليمها قد أدت إلى تقسيم المجتمع إلى فرق تقـوم على نزاع أهوج بين مشايخها حول الحصول على السلطة والجاه كما سـمحت بانتشـار كـثير مـن البدع والخرافات والتعاويذ والشعوذة وعبادة الصالحين مخالفين بذلك شرائع الإسلام)[١] .

٣- الاستعمار و دوره في تمزيق الأمة و إشاعة الهزيمة :

و يـرى ريتشـارد ميتشل : أن للاستعمار و أذنابه في الداخل أثرًا في تمـزيق الأمة و إذاعة الاستكانة و الانهزام المعنوي و المسالمة و الصغار الممـتهن و قـبول الوضـع القـائم ، هذه الأمور تسببت في خضوع العالم الإسلامي للاستعمار الغربي و ثقافته [٢] .

٤- الفساد السياسي و الحزبي :

و من جملة أسباب الصحوة الفساد السياسي و فساد الأحزاب ، فقد كانت المصـالح الشخصـية هي التي توجه الأحزاب حيث لم يكن لها برامج و لا أهداف واتبعت الأحزاب الأنماط الغربية في نظمها و أفكارها[٣].

٥- الأزمة الاقتصادية :

يـرى ريتشـارد ميتشـل أن تـلك الأزمة الاقتصادية تمثلت في عاملين رئيسين:

١- سوء توزيع الثروة و الأرض الزراعية .

٢- الاستغلال الاقتصادي الأجنبي المستمد من المستعمر الأجنبي في مصر

([١]) المصدر السابق ص ٣٦٣ نقلاً عن (الإسلام والاستبداد السياسي) للشيخ محمد الغزالي.

([٢]) المصدر السابق. ص ٣٦٣ نقلاً عن (من هنا نعلم) للشيخ محمد الغزالي.

([٣]) المصدر السابق ص ٣٦٨ ـــ ٣٦٩ نقلاً عن (تأملات في الدعوة والدين) للشيخ محمد الغزالي.

ومـــن أتـــباعه في الداخل. فقد كان المال اللازم للمشروعات الإنتاجية بيد الرأســـماليين الذين تخلوا عن مسئولياتهم وواجباتهم نحو الدولة و الشعب ، وذلـــك بســـبب أن الحكومة كانت تمثلهم و لا تمثل الشعب الفقير ، لقد كان الفقـــراء هـــم الذين يدفعون الضرائب أما الرأسمالي فقد كانت مصلحته فوق مصـــلحة الأمـــة . و لهذا عاش كثير من الناس في أزمة اقتصادية مستمرة وأدنى مستوى معيشي ، وترتب على هذا :-

١) شلل القوة العاملة في البلاد .

٢) تحطيم الكرامة و الحقوق الإنسانية .

٣) إفساد الخلق و الضمائر .

٤) سلب الطمأنينة للفردية .

٥) دفع الناس إلى أحضان الشيوعية .

٦) مخالفة روح الدين .

(و باختصـــار كـــان لا يمكن لهذا الوضع أن يستمر و لا مناص من أن يتـــبدل إذ أنه يتنافى مع جميع مبادئ الإنسانية و المبادئ العصرية و طبيعة الأشياء و أبسط مبادئ الاقتصاد) [١] .

٦- الاستعمار و استقدام القيم و القوانين الغربية :

وأضـــاف ريتشارد ميتشل إلى هذه الأسباب : ما صاحب الاستعمار من عـــادات و تقاليد و قوانين غربية تخالف أخلاقنا وشريعتنا الإسلامية فعندما

---

(١) المصدر السابق ص ٣٦٩- ٣٧٠ نقلاً عن الإسلام المفترى عليه بين الشيوعية والرأسمالية. للشيخ محمد الغزالي.

حــلت الجيــوش الأوربيـــة بمصر جلبت معها قوانينها و مدارسها و لغاتها وعلومها ، علاوة على ذلك جلبت معها خمرها و نساءها و فسقها ، و هكذا أفسد قدوم التقاليد و القيم الغربية المجتمع ، وأفشى الفسق و قضى على القيم الموروثـــة و المــتعارف عــليها فـــي المجتمع المسلم ، كما أفسدت السينما "الرخيصـــة" و المسرح والإذاعة.. .. الحياة الاجتماعية و العائلية ، وعزيت مشـــاكل الشباب الخلقية و الجنسية إلى النساء "العاريات" في الطرق ، و إلى الأفـــلام القـــذرة وإلى الموســـيقى الشـــعبية المثيرة و إلى الصحافة الشاردة وصورها الخليعة و إلى الخمر المباح "[١].

وممـــا ساعد على الانهيار الأخلاقي أيضًا الاختلاط بين الجنسين بدون حـــدود ، و تخـــلي النساء عن الفضائل الإسلامية بالمشاركات الفاضحة في الحفـــلات و المراقص ، و السبب في ذلك محاكاة المرأة الغربية بدعوى أن الوصـــول إلى الحضارة الأوربية يقتضي تقليدهم في كل شيء وقد أدى ذلك إلى تمـــزق الأمـــة بيـــن هذه الثنائية المتمثلة في الأخلاق الإسلامية و المثل الأوروبية ، و قد تسللت هذه الثنائية إلى مجالين خطرين (التعليم والتشريع) ، فقد أصبح هناك نوعان من التعليم : التعليم الديني الذي يوصل إلى الأزهر ، والتعـــليم المدني المؤدي إلى الجامعة و كلاهما منفصل عن الآخر مما أدى إلى حدوث تأخر فكري واضطراب و فوضى و إلحاد .

أمـــا المجال التشريعي : فقد استقدم المستعمرون القوانين الأجنبية و لم تحـــدث مقاومـــة مـــن أحد بسبب الجهل بطبيعة الشريعة و الخضوع لآراء الأوروبييـــن فـــي الأمـــور القانونيـــة ، فأصبحت القوانين مقطوعة الصلة

---

(١) الاخوان المسلمون / ريتشارد ميتشل/ ت : محمود أبو السعود ص (٣٧١ ــ ٣٧٢) نقلاً عن مجلة الدعوة ١٧/ ٨/ ١٩٥٤.

بالمواطنين لا تستند إلى عقائدهم ولا نابعة من شريعتهم[١] .

إن سلبيات الحضارة الغربية التي صاحبت الاستعمار كانت سببًا رئيسيًا لظهـور الصـحوة الإسلامية تمثل ذلك في ظهور الإخوان المسلمين ، يقول ريتشـارد ميتشل : " غالبية ما تميزت به حركة الإخوان روحًا و لفظًا إنما كان رد فعل لما صاحب زحف القوى الغربية على الشرق من إغراء القيم و الآراء الغربية و اجتذابها للناس"[٢].

٧- سلبيات الحضارة الغربية :

ربمـا يكـون للحضارة الغربية إيجابياتها مثل احترام الحرية الفردية ، وحفظ حقوق و مصالح العمال ، ووجود الديمقراطية و الحياة البرلمانية التي تمـثل رأى الشعب ، و شعور الحكام بمسئوليتهم تجاه شعوبهم و العمل على نشر العدالة و المساواة .

أما العالم الشيوعي فهناك عدة صفات مظهرية أكثر من كونها جوهرية مـثل : الاهتمام بالفقراء و المساواة و الأخوة والإنسانية مما أدى إلى عدالة اجـتماعية وافـرة ، غير أن هذه المميزات مادية فأشبعت الحاجات المادية للجسـم وأهملت الروح [٣] ، غير أن الحضارة الغربية ليست معصومة من الخطـأ ، فالديموقـراطية الغـربية ابتكرت نظمًا سياسية مرضية ، و أدت الديمقـراطية إلى فساد الأفراد و بالتالي إلى فساد المجتمعات ، لأن الإفراط في الفردية يؤدي إلى التحلل ونصب العداء بين الناس و الطبقات ، كما أدى

---

(١) المصدر السابق ص (٣٧٢) نقلاً عن مجلة الدعوة: ٢٧/ ٧/ ١٩٥٨، ١٧ / ٨/ ١٩٥٤.

(٢) المصدر السابق ص (٢٧٣).

(٣) المصدر السابق ص (٣٧٤) نقلاً عن الإسلام والاستبداد السياسي للشيخ محمد الغزالي.

إلى عدم المسئولية الأدبية و السقوط الأخلاقي و الفوضى الاجتماعية ، كما فشلت الديمقراطية في إشاعة المساواة و العدل ببقاء التفرقة العنصرية بين الناس هناك .

و لا يسلم العالم الشيوعي أو الديمقراطية الشعبية من الأخطاء ففي طابعها الإلحاد و الاستبداد السياسي و الدكتاتورية العالمية و لا مجال فيها لحرية العمل و القول و الفكر ، و المساواة عندهم بلغت حدًا ماديًا أفقدها معناها ، إلى جانب أنه فكر يدعو إلى الثورة [1].

إن المادية هي العامل المشترك بين النظم الغربية ، و قد أدى ذلك إلى قتل الشعور و العاطفة الإنسانية و إلى انقراض الرسالات الإلهية و القيم الروحية، إن القيم الغربية محدودة وقاصرة في أهدافها و غاياتها لأنها من صنع البشر و ليست وحياً إلهياً [2].

٨- المواقف السلبية للغرب تجاه القضايا العربية و الإسلامية :

لقد كان للمواقف السيئة للاستعمار الغربي تجاه القضايا العربية و الإسلامية أثرها الذي لا ينكر في إيجاد صحوة إسلامية و إيقاظ الحماس الديني ، لقد شغل الإخوان بوصفهم حركة عالمية بالاستعمار الذي أصاب كل الدول المسلمة فالاستعمار الروسي شديد العداوة للإسلام و المسلمين ، ثم جاءت أمريكا لتشارك روسيا و الدول الغربية المستعمرة في إيجاد دولة إسرائيل ، و أيدوا الاستعمار حيثما احتل المسلمون ، لقد تنكرت أمريكا للمبادئ التي تؤمن بها كحقوق الإنسان و العدالة الاجتماعية ، و ميثاق هيئة

---

(١) المصدر السابق ص (٣٧٥) نقلاً عن رسالة بين الأمس واليوم.

(٢) المصدر السابق ص (٣٧٥ ــ ٣٧٦). نقلاً عن رسالة دعوتنا في طور جديد.

الأمم المتحدة ، لقد شاركت انجلترا في تأييد اليهود و إعطائهم فلسطين [١] ، و ممـــا ألهب الرأي العام موقف أجهزة الإعلام الغربية الواقعة تحت سطوة اليهود في تدمير سمعة كل ما هو مسلم و شرقي .

٩- الاستعمار و استغلال ثروات الشعوب :

لــم يكــتف الاســتعمار بالاحــتلال العسكري بل قام باستغلال ثروات الشــعوب المســتعمرة ، و إذا كان هناك استقلال عسكري الآن فإن الغرب يحــاول من خلال برامج المساعدات التقنية و الاقتصادية أن يسيء استغلال الاســتقلال السياســي للبلاد المعانة و أن يوطد سيطرته التجارية عليها عن طــريق إغراق الأسواق المحلية بمنتجاته ، وكانت إسرائيل تعد لإيجاد هذه السيطرة الاقتصادية في الشرق الأوسط[٢].

١٠- الغزو الثقافي :

هناك استعمار يتوجه إلى الجانب الثقافي في الأمة فيتسرب إلى عقول الناس بتعاليمه و أفكاره في محاولة لتغيير الأوضاع الاجتماعية[٣].

١١- دور الاستشراق و التبشير :-

لقــد قــام المستشــرقون بمسخ التاريخ الإسلامي أريد به تحطيم قداسة الإســلام ممـــا يدل على أن البحث الأوروبي لا يتسم بالموضوعية ، و إلى جانب هذا الفريق يعمل المبشرون كعميل رئيسي للاستعمار ليوطد مصالحه و كــل هؤلاء يعملون جنباً إلى جنب لخدمة مصالح الغرب ، و هذه الأسباب

---

(١) الاخوان المسلمون/ ريتشارد ميتشل ص (٣٧٧ : ٣٧٨) نقلاً عن معركة الإسلام والرأسمالية للأستاذ/ سيد قطب.

(٢) المصدر السابق ص (٣٧٩ ــ ٣٧٨) نقلاً عن السلام العالمي والإسلام ودراسات إسلامية: سيد قطب.

(٣) المصدر السابق.

و هي تصور لنا حالة الانحلال و المهانة ، و فساد العقيدة ، و الحط من قدر الإسـلام و تعاليمه بل و إحلال القيم الغربية محل القيم الإسلامية ، أدت إلى ظهور أكثر الحركات الإسلامية اعتدالاً و هي جماعة الإخوان المسلمين[١].

ثانيًا : الصحوة الإسلامية نتيجة لأزمتنا الاجتماعية :

على أن هناك مستشرقًا آخر هو -ريتشارد هرير دكمجيان-[٢] يرى أن الصـحوة الإسـلامية ظاهرة تقع نتيجة للأزمات و المشاكل الاجتماعية فـ "يـنظر للأصـولية الإسـلامية على أنها ظاهرة دورية تقع استجابة لمشكلة اجتماعية منتشرة وحادة "[٣].

ويرى بعض مفكرو الغرب أن مشكلة الفقر و الأزمات الاجتماعية تؤدي إلى التمسك بالتعاليم الدينية فيرى (ماركي و فيبر و دور كايم و برجر): "أن الحرمان الاقتصادي و الاجتماعي يؤدي إلى زيادة الالتزام الديني"[٤] ، غير أن ـ دكمجيـان ـ يجعـل ارتباط الصحوة الإسلامية بالأزمات الاجتماعية أمـراً واجباً لا يتخلف كارتباط العلة مع معلولها فيقول : "من المعالم البارزة للحركات الدينية الأصولية توجهها الدوري ، الذي يتكون من فترات متتابعة مـن الإغفـاء والانبعاث ، و من الممكن أن نكشف بوضوح نمطًا عليًا من خلالـه تتساوق مظاهر الانبعاث الديني مع فترات الأزمات الحادة الروحية والاجتماعية و السياسية .

---

(١) المصدر السابق ص (٢٠٣) نقلاً عن رسالة: دعوتنا في طور جديد بتصرف.

(٢) استاذ العلوم السياسية، جامعة نيويورك، في منهاتن، ومحاضر في شئون الشرق الأوسط في معهد الخدمات الخارجية في الولايات المتحدة، تخرج من جامعة كولومبيا وعمل مستشارًا في وكالة التطور الدولي في وزارة الخارجية، له العديد من المقالات والكتب.

(٣) الأصولية في العالم العربي: ريتشارد دكمجيان/ ترجمة: عبد الوارث سعيد ص (٢٤).

(٤) المصدر السابق ص (٢٦ ـ ٢٧).

فالواقع أنه على امتداد التاريخ الإسلامي كان حدوث الانبعاث الإسلامي وثيـق الارتـباط بفترات الاضطراب الشديد عندما كان الخطر يتهدد وجود الأمـة الإسلامية ذاته و تماسكها الروحي أو أيـًا منها [١]، ويرى : "أن ما درج عليه أصوليو العصر الحاضر من النظر إلى التاريخ الإسلامي على أنه دورات مـن الانحطـاط و الانبعاث له نصيب كبير من الصدق ، فالحق أن العلاقـة العلية بين الاضطرابات الروحية و الاجتماعية والسياسية والانبعاث الأصولي كانت نمطًا يتكرر عبر التاريخ الإسلامي ، و هذه الحركة الدورية من الأزمات و الانبعاثات أمر ظاهر في مختلف الفترات التاريخية[٢].

فعـلى سـبيل المثال يرى دكمجيان أن تدهور الدولة الأموية أدى إلى ظهـور حركة إحياء قوية على يد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز الذي قـام بحركة شاملة لإصلاح الحكومة على أسس إسلامية ، و سار على دربه بعد ذلك الإمام أبو حنيفة والإمام مالك و حملا عبء الإصلاح و التجديد .

وضـعف الدولة العباسية و التزامها بمذهب المعتزلة و دفاعها عنه بل وفرض آرائه على الأمة، ولد معارضة شعبية و موجة أصولية جديدة قادها الإمـام أحمد بن حنبل الذي تمسك بالمعتقدات الإسلامية الأصيلة و نبذ آراء وتوجهـات المعـتزلة [٣] ، و هكذا فإن ضعف الأمة أو انهيارها يؤدي إلى ظهـور حـركات الإحياء و العودة إلى الإسلام عن طريق إمام مجدد، يقول دكمجيـان : " كـل مرحـلة من الضعف تؤدي إلى إطلاق استجابة إحيائية

([١]) الأصولية في العالم العربي/ دكمجيان ترجمة: عبد الوارث سعيد ص (٢٨).

([٢]) المصدر السابق ص (٣٠).

([٣]) المصدر السابق بتصرف ص (٤١ ، ٢٨).

وحركة عودة إلى الجذور الإسلامية بقيادة شخصية آسرة "[١].

إن دكمجيـــان يصر على أن العلاقة بين الأزمات الاجتماعية و ظهور الحـــركات الدينية هي علاقة العلة بالمعلول و السبب بالنتيجة ، و يجعل من تـــلك البيـــئة المـــتأزمة ســـببًا لنمو المعتقدات الدينية و السلوك المرتبط بها "تســـتوجب أي دراسة مستوعبة للأصولية الإسلامية المعاصرة بالبحث عن الجذور الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية و الروحية و النفسية ــ أي عن البيـــئة الـــتي تعمـــل بمثابة محضن للمعتقدات و السلوكيات الأصولية ــ ، والظاهـــرة المـــتكررة في التاريخ هي علاقة السبب و النتيجة بين الأزمات الاجتماعية و ظهور الحركات الدينية ثورية أو إحيائية"[٢].

ويـــرى أنه بفحص البيئة الإسلامية العربية المعاصرة تتكشف الأزمات الاجـــتماعية المتعددة الأبعاد ومن أبرزها الضعف العام الذي حل بالخلافة العثمانية والفشل في تحقيق العدالة الاجتماعية وحماية حقوق الإنسان وظهور سياسة التتريك و معاداة اللغة العربية و هي لغة الوحي الإلهي للنبي ﷺ مما أدى إلى ظهـــور العداوة بين المسلمين العرب و حكومة "تركيا الفتاة" وبتأثير الأيدولوجية الغربية بدأت القومية العربية في الانتشار ، و قد كان لقيام الثورة العـــربية عـــام ١٩١٦م و دعـــم بريطانيا لها أثرها الكبير في سقوط الدولة العـــثمانية ، و تجـــزئة العـــالم العـــربي تحت سيطرة الاستعمار الغربي[٣] وبتفصيل هذه الأزمات يتبين أن أبرزها :

([١]) المصدر السابق ص (٣١ ، ٣٢).

([٢]) المصدر السابق ص (٤٨).

([٣]) المصدر السابق ص (٤٩: ٥٠).

١- أزمة الهوية .. الإسلام و القوميات البديلة :

تسببت حالة الضعف العام الذي ألم بالعالم الإسلامي في حدوث عدة أزمـــات منها أزمة الهوية بين المسلمين ، فالإسلام يشكل نظامًا شاملاً للحياة يضـــم الديــن و الدولة و من ثم كان العثور على إطار بديل للشخصية أمراً صـــعباً بل مستحيلاً ، و من هنا ظهرت القوميات المختلفة في محاولة لملء الفـــراغ الـــناتج عـــن سقوط الدولة الإسلامية فقد " ظهرت في بيئة الشرق الأوســط ثــلاث قوميـــات محـــلية كبديل للأمة الإسلامية : القومية التركية والإيرانية و العربية المصرية "[١].

و لم تفلح هذه القوميات جميعها في ملء الفراغ الذي أحدثه سقوط الدولة الإسلامية برغم تنامي هذه القوميات وتطورها لا سيما القومية العربية ، حتى كـــانت هـــزيمة ١٩٦٧ م الـــتي "حطمت حلم الوحدة العربية و حطمت معه صـــرح الشخصـــية العربية الفردية والجماعية ، وهكذا عادت أزمة الهوية العربية النفسية و الروحية إلى الظهور من جديد ولكن بحدة لم يسبق لها مثيل و تركـــز الـــبحث اليـــائس عن البدائل حول الاشتراكية الثورية و التحررية الغربية و الأصولية الإسلامية ، و ظهر الخط الإسلامي في السبعينات بديلاً مسيطراً"[٢].

و تتمـــثل أزمة الهوية في الشعور الحاد بالاغتراب مع احساسات بعدم السوية و بالعجز و عدم الأمن وغربة النفس[٣].

---

(١) المصدر السابق ص (٥٢).

(٢) المصدر السابق ص (٥٣).

(٣) الأصولية / ريتشارد دكمجيان، ت : عبد الوارث سعيد بتصرف ص (٥٣).

٢-أزمة الشرعية :

تسـببت أزمـة الهوية في الإسراع بانهيار شرعية النخبة و المؤسسات الحاكمـة " وحتى قبل كارثة ١٩٦٧ م كانت النخبة العربية تعاني أزمة حادة فـي الشرعية و الاستثناء الوحيد كان عبد الناصر ذا الشخصية الآسرة.. .. وقـد ضـاعف من أزمة الشرعية هذه فشل الزعماء في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية(١).

٣- الفساد و القهر في حكم النخبة :

كان الفشل الذي لازم النخبة الحاكمة داعيا كبيراً لهم لاستخدام القوة ضد الشعوب حتى لا يفقدوا سلطتهم يقول (دكمجيان) : " إن الفشل المتكرر للنخب فـي أن ينموا أو يطبقوا سياسات مفيدة اجتماعيًا قد أدى إلى شرعيتهم الهشة ونتج عن ذلك أن زاد استخدامهم للقوة لاستدامة السيطرة "(٢).

٤-غياب العدالة الاجتماعية و صراع الطبقات :

و قـد ترتب على نقض كفاءة و خبرة النخبة الحاكمة أن غابت العدالة الاجـتماعية و تـزايد سوء توزيع الثروة في كل بلد عربي تقريبًا ، كما أن وجود ثروات البترول و تأثير قوى السوق العالمية قد وسع كثيرًا من الفجوة الاقتصادية بين الطبقات الاجتماعية(٣).

٥- العجز العسكري أمام إسرائيل :

خـامس العوامـل المؤثـرة في وضع الأزمة العربية هو تتابع الهزائم

---

(١) المصدر السابق ص (٥٤).

(٢) المصدر السابق ص (٥٤).

(٣) المصدر السابق ص (٥٤).

العســـكرية فـــــ " قد أدت الهزائم العسكرية المتوالية أمام إسرائيل إلى خلق إحساســـات عميقـــة بالخوف و عدم الشعور بالأمن و بالغضب بين العرب والمســـلمين ، و كذلـــك فـــإن عجز القادة العرب الواضح عن إنهاء احتلال إســـرائيل للأراضـــي العربية قد استنزف ما فضل من شرعيتهم و زاد من الشعور السائد بالحقيقة المرة و بالكرب و باليأس "[١].

٦- الأزمة الثقافية :

استشرت الأزمة الثقافية في العالم العربي بسبب تفاعل المؤثرات السابقة أزمـــة الهويـــة و الشـــرعية وفساد حكم النخبة و صراع الطبقات و العجز العســـكري ، " و لكـــن أقوى المؤثرات في خلق الأزمة الثقافية العربية هو الآثـــار الممـــزقة للتحديث " [٢] ، و كان الدافع إلى التحديث الرغبة في تقليد الغـــرب للحصـــول عـــلى القوة العسكرية والنمو الاقتصادي، وقد أنشأ هذا الـــتحديث اضـــطرابات فـــي المجـــتمع وأحـــدث هوة سحيقة بين التقليديين والتحديـــثيين " لأن التحديث ينطوي على استيراد القيمة و الأنماط السلوكية الوافـــدة، فبيـــنما يميـــل التحديثيون إلى التقليد الشامل للمجتمع الغربي في مفاهيمـــه و ممارســـاته ، يدعو التقليديون إلى أن ينتقي من التجربة الغربية جوانـــبها التي يعتقد أنها تتلاءم مع الإسلام ، و هي العلم و التقنيات ، تتكون قطاعات التحديثيين من جماعات النخبة التي يغلب عليها الانغماس في التقليد الأعـــمى للأنماط الغربية في الأزياء و الممارسات التي تعتبر مناقضة للقيم والســـلوكيات الإســـلامية المحافظة ، هذا التغريب السطحي للنخب السياسية والاقتصـــادية ومعهـــم ســـلوكهم الخارج عن العرف و بذخهم الاستهلاكي ،

---
(١) المصدر السابق ص (٥٦ ــ ٥٧).
(٢) المصدر السابق ص (٥٧).

تســبب فــي عزلهم عن رعيتهم الأقل نصيبًا ، و المتمسكة بالتقاليد ، و هذا أحــدث فجوة ثقافية ذات خطر سياسي بين الحكام و المحكومين " [١] ، تلك هــي رؤية دكميجيان لأسباب الصحوة الإسلامية حيث يراها وليدة الأزمات التي تعصف بالمجتمع.

ثالثاً : أسباب الصحوة كما يراها جيل كيبل :

يرجع أسباب الصحوة إلى سببين أساسيين :

١- انتشار العلمانية :

يــرى جيــل كيبل [٢] أن التقدم التكنولوجي المجرد من الإيمان و القيم والمبادئ ، و العلمانية التي ساعدت على انهيار الإيمان و الأخلاق وانفراط عقْــد المجتمع وانتشار الفوضى ، مع افتقاد المنهج أو المذهب المتكامل الذي يؤمــن بــه و يعلن انتسابه إليه كانت السبب في الصحوة و العودة إلى تأكيد الهويــة ، و لــم تكن هذه الأسباب عاملاً مؤديًا للصحوة الإسلامية فقط بل للصحوة في الأديان السماوية عمومًا.

يقــول- جيل كيبل - : " ظهر لي بعد عشر سنوات أمضيتها في مراقبة الإســلام اليــوم عــلى الأرض محــاولاً رصد وتحديد الممثلين و النزعات والمــناحي فــي معاودة تأكيده المدوية لذاته ، أن هذه الظاهرة لا تعود إلى أســباب خاصــة بالعــالم الإسلامي وحده ، حتى و لو كانت هي ما يعطيها تلاويــنها الخاصــة بهــا ، و حين لاحظت أن بعض الحركات المسيحية أو

---

(١) المصدر السابق ص (٥٧).

(٢)خبير في الشئون الإسلامية ويعمل استاذًا في المركز القومي للأبحــاث العلمية في فرنسا نقلاً عن جريــدة الوطــن الكويتية عدد (٦٨٣٢ / ١٢٧٨) بتاريخ : ١٩٩٥/٢/١٥.

اليهوديـــة تـــبدي وجوه شبه تصعق النظر مع الحركات الإسلامية التي كنت أعـــرفها مـــنهجية مضـــطردة مع الأشكال و الصيغ المتنوعة للتجدد الديني المسيحي أو اليهودي الذي كنت بدأت أتابع مظاهره و تجلياته وإن أدرج ذلك في سياق واحد هو سياق فقدان الحداثة الخاصة بالسبعينات لمصداقيتها "[١].

٣- افتقاد الهوية :

ويشير في موضع آخر إلى افتقاد الهوية ، فقد استبدلت الهوية الإسلامية بغيـــرها من الأيديولوجيات ، فغفل الناس عن رسالة الإسلام وواجبهم نحوها فيقول : " و تأخذ هذه الحركات كافة على المجتمع تفتته و فوضاه و بعده عن الجـــادة و افـــتقاده لمشروع متكامل يؤمن به و ينتسب إليه ، و هي لا تقاتل خلفية علمانية تعتبرها غير موجودة و لكنها تعتبر أن حداثة ينتجها عقل بدون الله هي حداثة لم تستطع في النهاية أن تولد قيماً[٢].

أسباب الصحوة كما يراها اليهود :

إن الاستشـــراق قديمًا حفل بآراء يهودية ، فقد أسهموا إسهاماً كبيراً مع المستشرقين الأوائل في إثارة الشبهات على الإسلام ، و كان طبيعيًا أن يكون لهـــم رؤية يفسرون بها موقفهم من الصحوة الإسلامية فهم يرون أن أسباب الصحوة الإسلامية تتمثل في أمرين :

١- تصاعد المد العلماني و التغريب :

فهم يرون أن من أهم الأسباب انتشار المد العلماني و حالة التغريب التي يعيشـــها العـــالم العربي و الإسلامي فـــ " التعصب الديني الإسلامي " يمثل

(١) يوم الله: الأصولية في الأديان الثلاثة / جيل كيبل، ترجمة: نصير مروة ص (١١).
(٢) المصدر السابق ص (١٢).

وجهة نظر شاملة يتوسطها التطلع نحو إعادة وإقامة ما فهم على أنه الإسلام الطاهر ، ليقام على أساسه المجتمع الإسلامي المتحد القوي العادل المتحضر إزاء تصارع التعصب الديني ضد التيار العلماني و التطبع بالطابع الغربي ، و أن التنظيمات السياسية ذات الأيديولوجية الدينية المتعصبة .. ظهرت في مصر كنموذج إسلامي خلال السبعينات فكانت هي الإطار الأساسي للرفض من أجل التغيير و المعارضة للنظام الحاكم.. و يجب النظر لهذا التطور على أنــــه رد فعــل للخطوات العلمانية و التنمية المدنية و التغييرات الاجتماعية والثقافية في عهدي عبد الناصر و السادات[١].

٣- الانتكاسات التي أحاطت بالأمة :

و هـــم يرون أيضاً أن الصحـــوة الإسلامية تعد " انعكاسًا لخيبة الأمل الـــتي سادت العالم العـــربي و الإســـلامي في نهاية الستينات نتيجة لحرب ١٩٦٧م"[٢].

رابعاً : أسباب الصحوة الإسلامية كما تراها المدرسة الماركسية :

ترجع الصحوة الإسلامية عند المدرسة الماركسية إلى ثلاثة أسباب :

١- **تدهور الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية :** فيـــرون " أنـــه بداخـــل الأوضـــاع الاقتصـــادية يمكـــن اكتشاف أن تخلف هذه البلاد [٣] هو من أحد جوانـــبه ، تجســـيد لإخفـــاق الـــنظم الحاكمة فيها في حل مشكلات التنمية والتحديث.. .. ولقد قادت البرجوازية الحاكمة في هذه البلاد عملية التنمية بها

---

(١) الحركات الإسلامية في مصر وإيران/ د. رفعت سيد أحمد ص (٣٤، ٣٥) نقلاً عن عمى أيلون وآخرون: النظام الحاكم والمعارضة في مصر في عهد السادات ترجمة الهيئة العامة للإستعلامات، القاهرة ١٩٨٥ ص (١٠١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) يشير إلى تردي الأوضاع الاقتصادية في كثير من بلاد العالم الإسلامي.

منذ حصولها على الاستقلال في عقدي الخمسينات و الستينات ، وكان باستطاعة هذه البرجوازية القائدة أن تحدث تحولات عديدة في مجتمعاتها طوال تلك الفترة ولكنها .. لم تفعل .. .. وفي ضوء أزمة قوى المعارضة غير الدينية واليسارية بالذات ، من المنطقي أن تشهد هذه البلاد مثل هذا المد للحركات الإسلامية "[١].

٢- **إخفاق قوى المعارضة غير الدينية**[٢] :

و من أكبر أسباب الصحوة كما ترى المدرسة الماركسية إخفاق قوى المعارضة غير الدينية و اليسارية بصفة خاصة في البلاد الإسلامية ، وإخفاقها متعددة الجهات : " فأخفقت أولاً : في حل مشكلة (الطريق المحلي) لمعالجة معضلات التخلف و التنمية في هذه البلاد ، و أخفقت ثانيًا في تمثيل استيعاب الثقافة الإسلامية و التعامل معها ، و أخفقت ثالثاً : في اكتساب قواعد جماهيرية واسعة ، و في ظل وضعية الإخفاق هذه من السهل التوقع أن تفقد الجماهير ثقتها في مثل هذه القوى ، الأمر الذي يفسح الطريق بلا شك أمام نهوض الحركات الإسلامية .

٣- تأثير الثورة الإيرانية :

كان للثورة الإيرانية آثار مباشرة لها أكثر من بُعد فقد :

أ- " أثبتت الثورة الإيرانية بشكل عملي أنه يمكن في ظل أوضاع العصر الراهن إمكانية قيام حكومة وفقاً لأسس إسلامية سياسية، وأجابت عن

([١]) الحركات الإسلامية في مصر وإيران / د. رفعت سيد أحمد ص (٣٦).

([٢]) المعارضة الإسلامية موجودة دائمًا غير أنه لم يتح لها المشاركة السياسية ولا يفهم أن المعارضة الأخرى هي الموجودة فقط حتى إذا غابت ظهر الإسلاميون.

كيفيـــة اســـتخدام المقولات الإسلامية في بناء حركة سياسية قادرة على النضـــال الفعال ضد السلطة القائمة، و قادرة على إسقاط هذه السلطة في النهاية ، و إقامة نظام حكم وفقاً للتصورات الإسلامية "[1].

ب- " قدمـــت الثورة الإيرانية للحركات الإسلامية رصيداً هائلاً لكيفية صياغة أدوات صـــنع حـــركة جماهيـــرية إسلامية ، و كيف يمكن استخدام هذه الأدوات للحشد الجماهيري في اتجاه إسقاط النظام القائم[2].

" فالـــثورة الإيـــرانية قدمـــت لـــلحركات الإسلامية مثالاً عملياً للثورة الإســـلامية الـــنموذجية [3]فـــي العصر الراهن و أعطت دفعة هائلة لحركة الإحياء الإسلامي في البلاد الإسلامية[4].

و نستخلص مما سبق أن أهم أسباب الصحوة كما يراها المستشرقون ، تتركز في عدة أسباب اتفقوا في بعضها و اختلفوا في الباقي ، أما الأسباب التي اتفقت نظرتهم فيها فهي :

١- الأزمـــات الاقتصادية ، و سوء توزيع الثروات مما أدى إلى تفاقم

([1]) المصدر السابق ص (٣٦، ٣٧) نقلاً عن السيد زهرة: حركة الإحياء الإسلامي مؤشراتها ودوافعها السياسية والدولية عدد ٦ يوليو ١٩٨٠ ص (٨٥، ٨٨).

([2]) المصدر السابق ص (٣٧). نقلاً عن نفس المصدر.

([3]) دائمًا نردد ونقول إن الإسلام لا يعرف ثورات نموذجية أو غير نموذجية فالثورة بمفهومها الشائع، خاصة لدى الماركسيين أو كما ظهر في ثورة إيران، ليست هي الأسلوب الأمثل للتغيير في الإسلام، كما قد يفهم من هذه العبارة، لأن منهج التغيير في الإسلام يقوم أساسًا على الأسلوب السلمي والتغيير من داخل النفوس ومن القواعد الشعبية عبر التربية السليمة "إن الله لا يغر ما بالقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" (الرعد: ١١) " أما الخروج على الحكام وقتالهم وما يسببه ذلك من فتن وهتك للحرمات وإهدار للدماء فليس من هدى أهـــل الســـنة والجماعـــة سلفًا وخلفًا" يقول الإمام أبو جعفر الطحاوي: ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا ولا ندعـــوا عـــليهم، ولانترع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة (شرح العقيدة الطحاوية ص (٣٧٩) ط: المكتب الإسلامي: بيروت) والنصوص من الكتاب والسنة وأقوال العلماء والفقهاء كـــثيرة، لذلـــك أقول: ليس من أهداف الصحوة الإسلامية قلب أنظمة الحكم، وإلا رأينا أقطار العالم الإسلامي كله بل وغير العالم الإســـلامي تظهر فيه القلاقل والفتن والاغتيالات وأعمال العنف وهو ما يكذبه الواقع، ذلك لأن الإسلام يقدم المصلحة العامة على الخاصة ويقدم درء المفاسد على جلب المنافع.

([4]) المصدر السابق.

مشكلة الفقر .

٢- الفساد السياسي و الحزبي ، و إخفاق قوى المعارضة غير الإسلامية.

٣- الأزمة الثقافية و الصراع بين التقليديين و التحديثيين ، و ما تبع ذلك من غزو ثقافي .

٤- انتشار التيار العلماني ، و حالة التغريب ، لا سيما في مجالي التعليم و التشريع .

٥- أزمـــة الهويـــة ، أي افـــتقاد المنهج المتكامل اللازم لإيمان المجتمع وتحقيق هويته .

٦- العجز العسكري ، و ما نتج عنه من هزائم متتالية أمام إسرائيل .

أما الأسباب التي انفرد بعضهم بها :

١- حالة الضعف العام الذي ساد الأمة بعد عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

٢- ضعف جهات الدعوة الرسمية في الدفاع عن الإسلام ، من ناحية ، و الدعوة إلى المفاهيم الصحيحة و الحقائق الصافية للإسلام من ناحية أخرى.

٣- الفساد و القهر في حكم النخبة .

٤- المواقف السلبية للغرب تجاه القضايا العربية و الإسلامية .

٥- حـــركة الاستشـــراق و التبشير و العمل على تشويه الإسلام لخدمة مصالح الغرب .

٦- تأثير الثورة الإيرانية .

ثانيا : المستشرقون و خصائص الصحوة :

يـــرى المستشرقون أن للصحوة الإسلامية خصائص بارزة تميزت بها وتتمثل في :

١- **خاصية الانتشار :** فمــن أبــرز خصائص الصحوة انتشارها بين طــبقات المجتمع المختلفة لا سيما المثقفين و الدارسين للتخصصات المختلفة خاصة العلمية و التجريبية ، و الإحصائيات المختلفة زماناً و مكاناً تثبت ذلك فــ : " توجد بعض البيانات الإحصائية القليلة.. .. تشير إلى أن أعضاء هذه الجمعيــة (يقصد جماعة الإخوان المسلمين) كانوا من كل الطبقات تقريباً ، فمــثلاً اتضح في قضية (الجيب) [١] أنه كان من بين ٣٢ متهمًا من الإخوان ثمانيــة من موظفي الحكومة ، و ٥ مدرسين و ٧ كتبة في محال تجارية أو صــناعية خاصــة ، و٧ أصــحاب أعمال حرة صغيرة ، و طالبان و ثلاثة أحدهم يشتغل بالفلاحة و ثان بالطب و ثالث بالوعظ .

أما الخمسة عشر المتهمون في قضية النقراشى فإن ٦ من الطلبة ، و٥ من موظفي الحكومة و مهندس واحد ، و ثلاثة من رجال الأعمال"[٢].

" كما تضمنت قائمة " المطلوبين " التي أصدرتها الحكومة عام ١٩٥٤ م ثلاثــة محــامين ، و ثلاثة ضباط بالجيش و ضابط بالشرطة ، و اثنى عشر موظفــاً حكوميــاً ، و ثلاثــة عشر مدرساً ، وطبيباً واحداً ، و تسعة عمال، وتاجرين اثنين ، و ٣٨ تلميذاً ، ١٥ طالباً بالأزهر ، و جندياً واحداً و٥كتبة، و٨عمــال في متاجر أو مصانع خاصة ، و حارس باب و خياط و عطارين

(١) كانت السيارة الجيب تحمل كمية من السلاح والمتفجرات وبعض الدراسات الخاصة بهذه الأسلحة وكيفية استخدامها، وأرادوا نقــلها مــن مكان إلى مكان وأثناء تفريغهت رآهم أحد المخبرين فسارع بإبلاغ البوليس السياسي، وقام هذا المخبر بمساعدة بعض الــناس بإلقــاء القــبض على قائد السيارة ومن معه، وكان الإخوان يتدربون على استخدام السلاح والمتفجرات للتأهل للجهاد في فلسطين ومصر ضد الاحتلال الأجنبي، وكان ذلك عام ١٩٤٨، "وكان الاتهام الذي يوجه عادة هو محاولة قلب نظام الحكم" ولمعرفة تفاصيل هذا الحادث يمكن الرجوع إلى : النقط فوق الحروف: الإخوان المسلمون والنظام الخاص / أحمد عادل كمال ص (١٩٣ ـ ٣١٩) ط الزهراء للإعلام العربي.

(٢) الإخوان المسلمون/ ريتشارد ب ميتشل ترجمة: محمد أبو السعود ص (٥٠١).

اثـنين و مهندساً معمارياً و مهندساً آلياً و محاسباً و عامل آلات (ميكانيكي) وصحفياً و فلاحاً ، و ١٢ عاطلاً.. .. و حتى بعد سنين عديدة أظهرت قائمة أعضاء الهيئة التأسيسية التي ضمت ١٥٠ عضواً ، أن من بينهم ١٢ عالماً ، وعشرة آخرين إما من الأعيان أو العمد ، و هؤلاء جميعاً من أصل ريفي ، أما بقية الأعضاء فكانوا من الأفندية.

أمـا مكـتب الإرشـاد العام حسب آخر تكوين له فقد اشتمل على ١١ عضـوًا: واعظـان و أسـتاذ في الأزهر و ٤ من كبار الموظفين (مفتشين ومديرين) ومحاميان و صيدلي وأستاذ جامعي .

ويشـير جيل كيبل إلى هذه الخاصية قائلاً : " فمريدو الحركات الدينية المعاصـرة و العامـلون فـي صفوفها مثلاً لا يتجندون أساساً من الطبقات "الظلامية" من السكان (الأميون ــ العجزة ــ الريفيين أو سواهم ..) بل نجد بيـنهم نسـبة مهمة من أصحاب الشهادات الذين درسوا في النظام المدرسي العـلماني الدنيوي ، الشبان والراشدين من ذوي الميل الملحوظ إلى الفروع التقنية و الطريقة التي يصفون بها المجتمع أو يشخصون بها أزمته و العلاج الـذي يصفونه لها ترتهن لأنماط تفكير اكتسبها هؤلاء على مقاعد المدرسة الـتي تشـكل هي نفسها ثمرة أو نتاج الحداثة التي يريدون تغيير مجراها ، وطريقتهم في الاستحواذ على النصوص المقدسة سنداً لأطروحاتهم[1].

أمـا هرير دكمجيان : فيضيف بعدًا آخر إلى خاصية الانتشار ، ويبرز صفات أخرى للصحوة الإسلامية : فيرى أن الأصولية الإسلامية المعاصرة تتسم بثلاث صفات عامة : الانتشار على مستوى بلاد العالم كله شرقاً وغرباً

(١) الحركات الأصولية في الأديان الثلاثة ص (١٢).

وعلى مستوى الطبقات المختلفة للمجتمع ، و تعدد المراكز القيادية والتنظيمية للحركات الإسلامية ، هذا إلى جانب الإصرار – الاستمرار و الثبات والصمود و التماسك – أمام التيارات العلمانية و الفكرية الأخرى .

يقول دكمجيان عن خاصية الانتشار : " أما أنها منتشرة فواضح من انبعاث الجماعات و الحركات الإسلامية في كل مجتمع مسلم تقريباً بغض النظر عن حجمه أو وضعه السياسي و الاقتصادي و الثقافي كما أن الصحوة لا تنحصر في طبقات معينة اجتماعية أو اقتصادية ، و بينما تستمد تأييدها الأكبر من أبناء الطبقات الدنيا و الدنيا – الوسطى و الوسطى ، نجد دلائل تتزايد وضوحاً على انتشار الأخذ بالمناهج الإسلامية في الحياة بين أبناء الطبقتين العليا – الوسطى و العليا[١].

٢- **خاصية تعدد المراكز :** و يقول دكمجيان عن تعدد المراكز : " إن حركة الميلاد الإسلامي الجديد متعددة المراكز من حيث إنها لا تمتلك قيادة ثورية واحدة أو مركزاً تنظيمياً واحداً ، إن العودة إلى الأصول الإسلامية قد اتخذت إلى حد كبير طابعاً محلياً باعتبارها رد فعل لتأزمات خاصة بكل بلد .. و مع ذلك فإن الحركة الإسلامية يمكن أن تتخذ مستقبلاً طابعاً يتجاوز النطاق القومي حقيقة و ذلك طبقاً لدرجة التشابه في أوضاع الأزمات في المجتمعات المختلفة[٢].

٣- **خاصية الإصرار :** أما السمة الثالثة و هي الإصرار فيقول عنها : " إن الأصولية الإسلامية قد أظهرت درجة غير عادية من الإصرار خلال القرن

---

(١) الأصولية في العالم العربي / دكمجيان ص (٢٠).

(٢) المصدر السابق.

الأخير و في العصور السابقة مع توجه يتخذ شكل دورات تفرض نفسها على العملية السياسية الاجتماعية لتشكل تطورها[١].

و يرى فرانسوا بورجا [٢] أن تيار الإسلام السياسي ــ على حد تعبيره ــ ليس حكرًا على طبقة معينة بل ينساب في سائر طبقات المجتمع ، وبخاصة المتعــلمين وأصــحاب الوظائف مما يعطي انطباعًا بأن الصحوة الإسلامية وشــبابها منخرطون في المجتمع ، و يتعاملون مع الحداثة والتطور.. بل إن أكثر المنتمين إلى التيار الإسلامي هم طلبة الكليات العملية التجريبية ، يقول فرنســوا بورجــا : " و فيمــا يتعلق بنشاط التيار خارج إطار الجامعة يمثل المدرســون أكبر نسبة من كوادره ، و يمثل طلبة الكليات العملية أكبر نسبة في الحركة الإسلامية الطلابية"[٣].

ويقول أيضاً : " تؤكد جميع التقديرات المتاحة أن المناضلين ينتمون إلى شــرائح مجــتمعية حديثة الطابع (في الجامعات و الوظائف العامة الصغيرة والتعــليم) و إلى فئة الشباب أكثر بكثير مما ينتمون إلى جزر بالية مفترضة تظل ــ نظراً لانغلاقها ــ بعيدة عن الحداثة دون اندماج فيها ، أما الأعضاء الدائمــون فــي هذه الحركات فيندرجون بوجه عام (و في تونس على سبيل المــثال) فــي الحياة المهنية : فهم مدرسون في المدارس بل "محاسبون" أو "موظفــون فــي القطاع العام" أو "تجار" أو سائقون أو "حرفيون" في القطاع الخــاص ــ فهم مندمجون إلى حد ما في النظام ، و ينتمون في الغالب إلى

(١) المصدر السابق.

(٢) الدكتور فرانسوا بورجا/ باحث فرنسي معروف أمضى أكثر من (١٠) سنوات في الجزائر وتونس ومصر ثم استقر في باريس منذ سنتين، وأصبح شخصية مثيرة للجدل في أوساطها الثقافية : نقلاً عن جريدة الوطن ٧١٨٨ / ١٦٣٤ـ ١٣/٢/١٩٩٦م.

(٣) الإسلام السياسي / فرانسوا بورجا، ترجمة : د. لورين ذكرى ص (١١٢).

أوســـاط تعيش في المدن منذ مدة قصيرة و هي أكثر الأوساط معاناة ـــ من الناحية الاقتصادية و الثقافية ـــ بسبب هذا الاقتلاع من الجذور[١].

إن انتشار التيار الإسلامي في سائر طبقات المجتمع أمر لا يقبل الجدل ولا يحتاج إلى دليل مما يدفع إلى افتراض أن ظاهرة الإسلام السياسي تميل إلى عـــدم الانحصار في وسط اجتماعي بعينة[٢]. و فيما يلي إحصائية تبين انتشار التيار الإسلامي بين الكوادر المختلفة للمجتمعين التونسي و المصري على سبيل المثال :

وظائف التونسيين الذين صدرت أحكام ضدهم في سبتمبر ١٩٨٧[٣].

أساتذة	١٤ من بينهم ٢ في الجامعة و ٢ في التعليم الديني
مهندسون	٧
موظفون إداريون	٧
طلبة	٧
فنيون	٥
تجار	٢ (فني كمبيوتر ومدرب فني)
أطباء	٣
حرفيون	٣
محامون	٣
موظف في المجال الطبي	١ (موظف في المعامل الطبية)
مزارعون	١

(١) المصدر السابق ص (١١٦ ـــ ١١٧).

(٢) الإسلام السياسي، فرانسوا بورجا: ترجمة د. لورين زكرى ص (١١٩).

(٣) المصدر السابق ص (١١٨). نقلاً عن مجلة "لابرس" التونسية (LA PRESSE).

مدرسون	١
عسكريون	١ (الحرس الوطني)
بدون عمل	٣
غير محددين	٢٦ (من بينهم ٤ حملة الدكتوراه)

وهذه إحصائية لمن قدموا للمحاكمة العسكرية في مصر[١] قبل انتخابات عام ١٩٩٥م

أطباء	١٦	مهندسون	١٠
مدرسون جامعيون	١٠	مدراء	١٠
مدرسون بالمراحل المختلفة	٨	محاسبون	٤
رجال أعمال	٢	باحث	١
وكلاء وزارة	٢	عامل	١
صحفيون	٢	موظف	١
موجهون	١	رئيس قسم	١
رئيس قطاع	١	مشرف فني	١
محامي		مهندس زراعي	٧

(١) قضايا دولية عدد ٣٠٩ بتاريخ: ٤/١٢/ ١٩٩٥ ومجلة المجتمع الكويتية عدد (١١٧٧) : ٤/ ١٢/١٩٩٥م.

الفصل الرابع

المستشرقون و صور
تشويه الصحوة الإسلامية

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

ســلك معظــم المستشــرقين كــل سبيل للإساءة إلى الإسلام و المسلمين والصــحوة الإســلامية و مظاهرها فعندما يضعون صفات لشخصية المسلم "المــتدين الملتزم" بشعائر دينه ، يجمعون له صفات غاية في السوء ، تكون صــورة ظالمة أقرب ما تكون لمريض نفسي أو عضو في أحد العصابات ، كأن الشخصية الإسلامية غصت بالسلبيات و القبائح ، و خلت من الإيجابيات والصفات الجميلة .

و قاموا بصبغ ظاهرة الصحوة الإسلامية بصفات لا تمت للحقيقة بصلة، و الواقــع يكذبها و تكون المحصلة في النهاية تكوين صورة مزورة للشباب المــتدين ، و لظاهــرة الصحوة الإسلامية بأكملها ، كأنها هي الشر بعينه ، يتهدد الناس من كل مكان ، و لا رجاء في الصحوة الإسلامية أن تساعد على نشر الخير و الرحمة و السلام و الحب و التآلف بين الناس .

و فــي هــذا الفصل جمعنا صوراً و نماذج لتشويه الصحوة الإسلامية سواء على مستوى الفرد أو الظاهرة كلها لمعرفة ما يتعرض له الإسلام من تشويه و تزوير لحقائقه حتى لا يتعرف العالم على حقائق الإسلام .

و حتى لا نتجنى على المستشرقين ــ كما تجنوا هم على أبناء الإسلام ــ ســوف نسند كل نص فيه تشويه أو اتهام للصحوة و أبنائها إلى قائله و إلى المصــدر الــذي أخذنــاه عنه ، فنحن أمة الإسناد التي علمها ربها أن تتبين وتتثبت في تلقي الأخبار .

وأخـذًا بحديـث رسول الله ﷺ الصحيح : " من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقًا على الله أن يعتقه من النار " (أحمد و الطبراني في الكبير ، صحيح الجامع الألباني ، حديث رقم ٦٢٤٠) سوف نتناول تلك التهم بالتقييم والتفسير أو التفنيد ، و ما كان منها ثابتاً قبلناه بملابساته . و ربما يتبادر إلى الأذهـان أن المستشـرقين اتخذوا موقفاً موحداً وهو الإساءة و التشويه تجاه الإسـلام و قضـاياه ، و الصـحوة الإسلامية . و الحق أن بعضهم أنصف الإسـلام و نـاقش فكره بموضوعية ، غير أني آثرت أن أستشهد بكلامهم ، وأسـتأنس في بآرائهم في الردود . أما ما جمعناه هنا من آراء المستشرقين وكلامهم الذي تميز بالإساءة و التشويه فذلك على سبيل أنه الأغلب الأعم أما المنصفون منهم فهم قلة .

المصطلحات التي أطلقت على الصحوة الإسلامية :

كـثرت المصـطلحات التي أُطلقت على الصحوة الإسلامية ، منها ما يتناسـب و الظاهـرة ، و منها ما يغمطها حقها ، مع العلم أن هناك بعض المصـطلحات غربية النشأة و الدلالة و مع ذلك أطلقت على ظاهرة الصحوة الإسلامية و سنعرض لأبرز المصطلحات التي أطلقها الغرب على الصحوة ، يقول ريتشارد هرير دكمجيان : (إن تزايد الوعي الإسلامي قد حددت معالمه بصـيغ مختلفة مثل : الإحياء و إعادة الميلاد و التزمت و الأصولية و قوة الإصرار و الصحوة و الإصلاح و الانبعاث و التجديد و النهضة و استعادة الحيوية و النضالية و الحركية و الثقة بعودة جديدة للعصر الذهبي و المهدية و العودة إلى الإسلام و الزحف الإسلامي) هذه المصطلحات في جملتها ذات فائدة في وصف تعقد الظاهرة الإسلامية ، لكنها تعني أن الإسلام في حال من

الغفــوة ، و هــو مـــا لا يتطابق مع الحقيقة . لقد قاوم الإسلام بنجاح عملية التغــليف (العزل) التي فرضت على النصرانية في الغرب ، و هي المقاومة الــتي تشــكل مــبعث الصراع القائم بين الدولة والدين في العالم الإسلامي فالأنصار و المتعاطفون يستخدمون غالباً التعبيرات التالية : [البعث الإسلامي و الصحوة الإسلامية و الإحياء الديني و الأصولية الإسلامية] (١).

ترك ر . هرير دكمجيان كل هذه المصطلحات و اختار الأخير لأنه يراه هو الأنسب ؟

فيقول " أنسب المصطلحات هو الأصولية الإسلامية من حيث إنه يشير إلى الــبحث عــن أصول العقيدة وعن أسس الدولة الإسلامية و قواعد نظام الحكــم الشــرعي . هذا التركيب يؤكد على البعد السياسي للحركة الإسلامية أكثر من جانبها الديني"(٢).

ثــم يشــير ر . هرير دكمجيان إلى بعض المصطلحات التي يستخدمها أنصــار الصــحوة الإســلامية و معارضــوها فيقول : " فمؤيدو الأصولية الإســلامية يشــيرون إلى أنفسهم عادة باسم الإسلاميين أو الأصليين بمعنى الحقيقيين . كذلك يستخدم المصطلح متدين / متدينون بمعنى تقي أو مخلص و ذلــك هو النقيض لمتعصب ، متعصبون بمعنى المتحمسين أو المتشددين ،

---

(١) لا يوجد أحد من أنصار الصحوة يستخدم مصطلح الأصولية الإسلامية فيما أعلم لأنه مصطلح غريب عن لغتنا وفكرنا ربما يعبر هــذا المصطلح عن غاية الحركة الإسلامية (العودة إلى الأصول) ولكن مشكلة هذا المصطلح ما حمله في الغرب من معان سيئة مرتبطة بالنصــرانية يقــول الاســتاذ عبد الوارث سعيد: هذا المصطلح وإن شاع مؤخرًا في الكتابات العربية عن الحركة الإسلامية فإنه غير أصيل.بل حاء ترجمة للمصطلح الغربي fundamentalism ومازال معناه لذلك مشوبًا بالغموض، وليس محل رضا من المسلمين الواعــين لمــا يحف به من ظلال مفاهيم غير اسلامية تلازم المصطلح الأجنبي. راجع الأصولية. دكمجيان هامش، ص ٢١ من تعليق المترجم.

(٢) الأصولية في العالم العربي ص ٢٠ ــ ٢١.

وكــلمة متعصـــب يغــلب أن يستخدمها غير الأصوليين لوصف النضاليين الإسلاميين الذين يميلون إلى استخدام العنف .

و قريب من هذا مصطلح متطرف و لمصطلح متدين معنيان أساسيان : معـــنى عـــام يشير إلى المسلم المخلص ، و معنى خاص يشير إلى أنفسهم ، رغبة في التميز عن سواهم من المسلمين [١] و يميل دكمجيان إلى أن يساوي بين مصطلح أصولي و إسلامي فيقول : " و في هذه الدراسة سوف نستخدم المصـــطلحين : الأصولي : Fundamentalist و الإسلامي Islamist بمعنى واحد [٢] .

السمات الشخصية للمؤمنين :

رســـم المستشرقون صورة قاتمة ومنفرة لأفراد الحركات الإسلامية مع محاولـــة إيجاد أسس نفسية و اجتماعية لهذه الصفات ، زاعمين أنهم أرادوا جمع صفات المتدينين هذه ليتسنى لهم فهم الظاهرة الإسلامية فهماً صحيحاً ؛ و فيما يلي عرض لهذه الصفات المختلفة :

يقول دكمجيان : من المستحيل أن نفهم فهماً صحيحاً الظاهرة الإسلامية دون أن نحـــدد تـــركيب شخصية الفرد الأصولي كما تشكلها بيئة الأزمة ، وعـــلى أســـاس مـــن النظرية النفسية ــ الاجتماعية ، و بمساعدة الملاحظة التجريـــبية ، يمكـــن أن نكـــون صورة عن تركيب شخصية المؤمن الحق ، وتفيدنـــا كـــثيراً فـــي هذا السياق الصيغ التي قدمها اريكسون ، و لاسويل ، وإنكلز، ودور كايم، وأدورنو، وهوفر، وريسمان على الرغم من أنها ليست

(١) المرجع السابق ص ٢٢.
(٢) المرجع السابق ص ٥٨ ــ ٥٩.

متلائمة تمامًا لتفسير الملامح الخاصة للأصولي المتطرف المتعصب[١] ومن الجلي أن المحيط الثقافي الإسلامي ذو خواص بنائية فريدة تؤثر على تطور شخصية الفرد الأصولي، لهذا سوف نحاول هنا التعرف على الشخصية الشكلية للأصولي المسلم من النوع المتطرف استنادًا إلى ملامح معينة في الشخصية تتكرر في الناس ويبدو أنها تكون النمط النموذجي للتعبير النفسي وتتضمن هذه الملامح : -

١- **العزلة** : الأصولي قبل كل شيء فرد يميل إلى العزلة وهذه العزلة التي هي نتيجة مباشرة لبيئة الأزمة العربية الإسلامية تتضمن رفض الناصرية والبعثية والتحررية الرأسمالية والاشتراكية وشرعية النخب العربية الحاكمة، وعزلة المتعصب عن البيئة العربية الأكبر يتبعها غالبًا انفصال عن المجتمع يفرضه على نفسه ويعوضه عن طريق الانضمام إلى نظام العقيدة الإسلامية، وهذا يمنحه هوية جديدة، وربما عضوية في المنظمة الأصولية[٢].

٣- الاكتمال قبل الأوان . التعصب :

ما أن يكتشف المهتدي الجديد العقيدة الجديدة حتى يلتزم بها التزامًا تامًا كالمؤمن الحق. وفي حالة الشباب المهتدين يؤدي الالتزام الحاد إلى اكتمال قبل الأوان في سن مبكرة، يتميز بتشدد متطرف في المعتقدات ورفض لإدخال قيم جديدة إلى إطارهم المذهبي الأيديولوجي [٣].

---

(١) كيف يستعين بعلماء النفس والاجتماع الغربيين ويعترف أن كلامهم غير ملائم لتفسير الملامح الخاصة للأصولى المتطرف؟ لاسيما أن هذه النظرية مطبقة في بيئة تختلف عن بيئتنا وتصورها للإنسان والكون والحياة والمبدأ والمصير وهو نفسه يعترف بأنها غير ملائمة لتفسير ملامح الأصولية

(٢) المصدر السابق ٥٨- ٥٩

(٣) المصدر السابق ص ٥٩.

١- الدونية ـ الاستعلاء:

الشـــعور بالدونيـــة بين الأصوليين هو نتيجة لعزلتهم وعجزهم عن أن يجـــدوا البيئة الملائمة في المجتمع، ومشاعر الدونية هذه تتحول إلى مظاهر من الاستعلاء العدواني بمجرد أن يضم إلى العقيدة الإسلامية [١].

٢- الحركية العدوانية :

يميـــل الأصوليون إلى العدوان في تعاملهم مع الكفار، وغالبًا مع النمط السائد من المسلمين، كتعويض لحرمانهم في المجتمع، ولاعتقادهم بأن كل من ليـــس فـــي جماعـــتهم إنمـــا هو ضال، والأصوليون في سعيهم إلى فرض معـــتقداتهم وقواعدهـــم الســـلوكية على المجتمع، يظهرون درجة عالية من الحـــركية سواء كدعاة مذهبية أو كأصحاب استعداد ثوري، وهذا يقف على طـــرف نقيض مع الصوفية الاستبطانيين الذين يغلب عليهم الاستغناء بالتأمل الصوفي عن الحركة السياسية [٢].

٥ـ الفاشية :

تنطوي شخصية الأصوليين على كثير من الملامح التي تميز الشخصية الفاشـــية، وهـــذه الفاشـــــية تفيض مباشـــرة من الشخصـــية الاستبداديـــة للـــتعاليـــم والتوصيات المستـــمرة لإحداث تحـــول جـــذري في المجتمـــع ومن هـــنا كان أهتمامهـــم الشديـــد بالقـــوة وسعيهم إلى السيطرة السياسية الاقتصادية [٣].

---

(١) الأصولية في العالم العربي ص ٦٠.

(٢) المصدر السابق ٦٠.

(٣) الأصولية في العالم العربي ص ٦٠.

٦- عدم التسامح:

ينـــبع عدم التسامح عند المتطرفين الإسلاميين من المحتوى المسلم بـــه لعقيدتهم والتزامهم التام بمبادئها المتشددة، ويتصل بهذا من قريب موقفهم غير المتسامح تجاه (المنحرفين) مما يعكس اعتقادهم أن الله لا يغفر الذنوب[١].

٧- الارتيابية - الإسقاط:

التعصـــب ميال إلى رؤية القوى الشريرة تعمل في بيئة معادية، ويظهر عليه ارتياب عميق في الناس وفي المؤسسات الحكومية التي ينسب إليها نوايا حاقدة، إنه يميل إلى تقسيم العالم إلى أصناف جامدة طبقًا لقوالب محددة[٢].

٨- نظرة تآمرية :

إن الـــتزام المـــتطرفين الإســـلاميين بالـــتغيير الـــثوري بالإضافة إلى تصـــوراتهم الســـلبية عـــن المجتمع، يغري بإنشاء تنظيمات سرية لمقاومة الأعداء وقلب السلطة الشرعية كذلك يأتي الاتجاه التآمري كنتيجة لقمع الدولة للجماعات والمنظمات الإسلامية [٣].

٩- المثالية - الإحساس بالواجب :

يظهـــر الأصوليون الإسلاميون، كمؤمنين مخلصين، أرفع معنى للمثالية والإخـــلاص لقضيتهم ومن منطلق قناعتهم بأن الإسلام هو الحق المطلق في

---

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) نفس المرجع السابق ص ٦٠ ـــ ٦١.

(٣) نفس المرجع السابق.

رسالته ومنهجه، يصبح تحطيم الدولة والمجتمع الآثمين أعظم الفضائل[١].

١٠ـ القسوة – الجرأة:

يـــرفض الأصـــوليون، انطلاقًا من تفسيرهم المتشدد للإسلام، الطريق السـهل في أنشطتهم الاجتماعية والجنسية (sexual) والسياسية يبدو عليهم تصلب في الطاعة وتشدد في طريقة الحياة واستعداد للكفاح والتضحية[٢].

١١ـ الطاعة ـ والالتزام:

يـــتعهد الأصولي عن طريق البيعة بالطاعة المطلقة لله وللرسول ولقائد الحـــركة الآسر وهو يكيف سلوكه بالمطابقة الدقيقة مع معايير الجماعة التي يعلنها القائد[٣].

ويعقب د. هرير دكمجيان على هذه الصفات قائلاً: يبدو أن الخصائص السابقة تشكل الشخصية الخارجية للأصولي المتطرف ومن الواجب أن نؤكد عـــلى أن هـــذه الصورة المجمعة نموذجية بدائية. أما الأصوليون كأفراد في الحياة الواقعية فإنه قد يتصفون بهذه الصفات بدرجة متفاوتة من حيث الحدة، والواقـــع أن بعـــض الأصـــوليين قد يتصفون بهذه الملامح في أشد صورها تطرفًا.

وهناك آخرون قد يمليون عن هذا المقياس سعيًا وراء شكل مخفف من الأصولية، وذلك بالابتعاد عن الأفعال المعارضة بوضوح للدولة أمثال هؤلاء الأفراد يبقون عادة على هامش الجماعات الإسلامية كمتعاطفين أو رفقة سفر

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٦٢.

(٢) الأصولية في العالم العربي ص ٦٢ — ٦٣.

(٣) نفس المرجع السابق.

وهناك مجموعة أخرى من الأصوليين تضم المجموعة الغامضة من الأفراد شديدي التدين الذين يشاركون المتعصبين في خصائصهم باستثناء الولاء لقادة حـــركيين بأعيـــانهم والانضمام الى الجماعات النضالية [١] وبعد ٠٠٠ فهكذا يقدم هذا المستشرق تلك الصورة القاتمة التي تبث الخوف والرعب في قلوب مفكري الغرب ومثقفيه فضلاً عن عامة الناس، فكيف يتصور الغرب صورة المســلمين المتديـــنين الملـــتزمين بعد ذلك إلا أناسًا جهلة معقدين ومصابين باضطرابات نفسية، سفاكين للدماء مصابين بالعدوانية، في حالة استعداء تام لكـــل ما سواهم وكأن التوسط والاعتدال والتدين الحق والفهم السليم ليس له مكان في عالمنا الإسلامي٠

تشبيه الحركات الإسلامية بالشيوعية :

نظـــرًا للصــــراع الطويل بين الغرب والاتحاد السوفيتي، وما ترك من رواســـب ســـيئة على شعوب الغرب من كره وعداء للشيوعية ولكل ما يمت لـــلفكر الإشتراكي بصلة فإن المستشرقين وساسة الغرب استغلوا هذا الوضع خاصـــة بعـــد انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي، وقاموا بتشبيه الإســـلام بالشيوعية والنازية والحركات الاسلامية بالحركات الثورية، ولهذه الأمـــور وقعها السيء على مسامع وعقول الغرب [٢] ولم يجد ساسة الغرب غضاضــــة في التحدث عن الإسلام بهذه الأوصاف فعلى سبيل المثال يتحدث دان كويل نائب الرئيس الأمريكي عن خطر الأصولية الإسلامية الراديكالية، مساويًا إياها بالنازية والشيوعية ٠

([١]) نفس المرجع السابق.

([٢]) مجلة المجتمع الكويتية عدد ١٠٣٣ ص ٢٠ مقالات للمفكر الأمريكي حون اسبزيتو.

بـــل يذهب هرير دكمجيان إلى القول بأن الإسلام متأثر بالأيديولوجيات المعاصـــرة مثل الاشتراكية فيقول: فإن التوجه المذهبي للحركات الإسلامية المعاصرة قد تأثر بمذهبيات التطور الحديث مثل الاشتراكية والرأسمالية[١].

أبو ذر والشيوعية :

وعـــندما تحـــدث دكمجيـــان عن مفهوم العدالة الاجتماعية في الإسلام، وأســـس المعاملات المالية فوصفها بالاشتراكية ووصف صحابيًا جليلاً بأنه شيوعي فيقول: يقر الإسلام الملكية الخاصة لكنه يحد منها تبعًا للصالح العام للمجتمع، ومن المحرم جمع الثروات عن طريق الخيانة أو الاحتكار أو الربا، ونظـــام الزكاة ومعه سياسة الدولة كفيلان بمنع انقسام المجتمع إلى طبقات، وكـــثيرًا ما يطلق على هذه الممارسات عنوان "اشتراكية الإسلام" والشخصية الـــتاريخية التي تمثل بقوة الموقف الشيوعي تجاه العدالة الاجتماعية هي عند معظم الإسلاميين الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري[٢].

التواصل الثوري بين الماركسيين والمسلمين :

ويصر مستشرق آخر على وصف الحركات الإسلامية بأنها ثورية، بل أنهـــا ســـتحمل المشـــعل الثوري خلفًا للماركسيين، وستكون وارثة المبادئ الـــثورية عن الماركسيين، والسبب في هذا الإطلاق هو حدوث بعض أعمال العنف في العالم الإسلامي يقول جيل كيبل : وهذا البترو _ إسلام الذي كان المنتصـــر الحقيقي في حرب ١٩٧٣ لا يؤيد في ظاهر الأمر أية إعادة نظر بالنظام الاجتماعي بتاتًا، وحتى لو جاءت هذه المراجعة باسم مبادىء القرآن

---

(١) الأصولية في العالم العربي د هرير كمجيان ت / عبد الوارث سعيد ص ٧٣.

(٢) نفس المصدر السابق ص ٧٩.

.. فالـــناطقون باسمه يُصنَّفون على وجه العموم ضمن المعسكر (المحافظ) ومـــع هذا فإنهم سيغذون الحركات الإسلامية الثورية التي تستلهم سيد قطب ويســـاعدون عـــلى تـــناميها بدون أن يعرفوا في البداية مدى دلالتها، وهذه المفارقة التي ستتم مع انتقال المشعل الثوري من الماركسيين إلى الإسلاميين تشـــكل أحـــد المفاتيح التي ستسمح بتناول وإدراك آفاق حركات العودة إلى الإســـلام أو معاودة تحنيف المجتمع في مسارها من منتصف السبعينات إلى بدايـــة التسعينات فبعد عشرية (ثورية) بلغت ذروتها مع استرهان الرهائن والإرهاب الإسلامي بين ١٩٨٥ سترتسم متتالية تاريخية ستتنامى فيها العودة إلى الإسلام من تحت أساسًا وذلك بتطويق المجتمع المدني بشبكة من المساجد والجمعيات التقوية[١].

إسلام متعدد :

من قديم والعالم يعلم أن الإسلام دين واحد، وليس أديانًا متعددة غير أن بعـــض المستشـــرقين أظهر للفكر الغربي أن هناك عدة إسلامات لا إسلامًا واحـــدًا كما يتصور الناس، فالمستشرق ر ٠هرير دكمجيان عندما تحدث عن الصـــراع بيـــن الإسلام وبيئته السياسية والاقتصادية والاجتماعية قدم للناس إســـلامات مختـــلفة فعـــلى سبيل المثال يرى أن هناك صراعًا بين "الإسلام الرســـمي ضد الإسلام الأصولي" وآخر بين "الإسلام الصوفي ضد النضالية الأصـــولية" وثالث بين "الإسلام التقليدي ضد الإسلام الأصولي"[٢] ولسنا في حاجـــة إلى دليل لإثبات أن هذه الإسلامات ستجعل الغرب ينظر إلى الإسلام والمسلمين نظرة يملؤها الشك والريب والحيرة ٠

---

(١) يوم الله الحركات الأصولية في الأديان الثلاثة جيل كيبل ت/ نصير مروة ص ٣٢ ويقصد بالجمعيات التقوية الجمعيات الخيرية.

(٢) الأصولية في العالم العربي د. هرير دكمجيان ت/ عبد الوارث سعيد ص ٤٤ : ٤٦.

تأثر الأصوليين بالخوارج :

عندما تحدث دكمجيان عن مصادر الحركات الإسلامية، والتي تتمثل في القرآن الكريم وكتب السنة الستة، أشار إلى أن الحركات الإسلامية المعاصرة تستمد فكرها من الحركات الثورية السابقة والجماعات ذات التوجهات الخاصة، ومن هنا كان هناك تأثير حركي ثوري على الحركات المعاصرة. تبدأ سلسلة الفكر الإسلامي بالقرآن الكريم والكتب الستة التي هي أصح مصادر السنة وبعد هذه المصادر الأولى الموثقة، يعتمد الفكر الأصولي المعاصر على سوابق تاريخية أرستها حركات ووقائع ثورية٠٠ وبهذا المعنى فإن الجماعات الإسلامية الحاضرة تقلد نمط المجموعات المتمردة في استخدام الإسلام المسيس كمذهبية احتجاج ضد النخبة الحاكمة التي تهتم بالانحراف عن العقيدة الحق[١] ثم تحدث عن بعض الجماعات ذات الاجتهادات الفكرية مثل الخوارج والشيعة ويقول: "هذه الحركات المتمردة، وما جاء بعدها مما يشبهها، تشكل نماذج هامة أمام إسلامي اليوم، ليس فقط من حيث توجههم المذهبي بل أيضًا بسبب أساليبهم الثورية [٢].

حب الحروب :

دأب الغرب على وصف المسلمين بالاعتداء والعنف والولع بالحروب، أما الغرب بحروبه الصليبية إنما كان يدافع عن نفسه ويحاول استرداد ما سلب منه من المسلمين المعتدين .

(١) نفس المرجع السابق ص ٦٥.

(٢) نفس المرجع السابق.

يـــتحدث جون إسبوزيتو عن انتشار هذا المفهوم في الغرب فيقول : "إن الإســـلام و المســـلمين قـــد عرفوا لدى الغرب كمثيري وقادة حروب خلال الصــــراعات التي حدثت في الأربعة عشر قرنًا الماضية فالإسلام هو البادئ بـــالعدوان.. .. فـــإن الإســـلام و تصـــرفات المسلمين توصف بأنها عدائية ومســـئولة عن الاعتداءات و الجهاد و الغزوات . بينما يوصف الغرب بأنه يقـــف موقـــف الدفـــاع ، يتصرف من منطلق الرد على العدوان، والحروب الصـــليبية واسترداد ما سلب منه ، و رغم تصوير الأربعة عشر قرنًا بأنها حفـــلت بالمواجهـــات المستمرة فإن القارئ يكتشف أن أمريكا أصبحت فجأة العـــدو الأكبر و مصدر الشرور الخ .. و إذا كان التهديد الحالي مفاجئاً فإن القـــارئ سيصل إلى خاتمة منطقية بأن المسلمين لديهم ولع تاريخي بالعنف والكـــراهية نحو الغرب ، أو أن المسلمين عاطفيون ينقصهم الوعي و محبو حروب "[١].

التطـرف :

إذا كـــان الإســـلام و المسلمون طبقاً لتلك الاتهامات يوصفون بالاعتداء والعـــنف و حب الحروب و كراهية الغرب فهم إذاً متطرفون و هذا التطرف يدفعهم إلى الوقوف أمام مصالح الغرب في بلاد الشرق الإسلامي، وهم أيضاً عاطفيون لا يتصرفون في شئون حياتهم بناء على معطيات العقل و مقدماته.

يقول جيمس بيسكاتورى[٢] فيما نقله عنه جون اسبوزيتو : " سواء كانت جهود العثمانيين لقمع الوطنيين المسيحيين أو جهود المسلمين للحصول على

---

(١) مجلة المجتمع عدد ١٠٣٥ ص ٣١ ــ ٣٢.

(٢) مدرس بجامعة ويلز ومعهد الشئون الملكي بلندن. مؤلف كتاب "الإسلام في عالم الدولة القومية" ومحرر "الإسلام في العملية السياسية" وغيرهما. نقلاً عن: الحركات الأصولية الإسلامية وأزمة الخليج ص ٢٥.

استقلالهم من الغرب ، فإن الإسلام كان متطرفًا لأنه كان يقف ضد المصالح الامبريالية و لكن الشيء الذي شاع و أصبح قاعدة مألوفة في تفسير التوجه الإســلامي هــو : أن الإسلام كان معاديًا للغرب بسبب تطرفه ، ومن ثم بدأ يــنظر إلى المسلمين باعتبارهم أنهم جميعاً عاطفيون و أحياناً بأنهم عنصر يفتقر إلى المنطق و يتحرك كجسم واحد و يتحدث بصوت واحد [١] .

أخلاق متغيرة :

وصــف الغرب المسلمين بأن أخلاقهم متغيرة فمثلاً إذا مرت بالمسلمين اضطرابات هزت كيانهم و هددت هويتهم فإن أخلاقهم الحميدة ستذوب ويحل محــلها مــزيج مــن الغضب و الحقد و الكراهية؛ هكذا يرى الغرب أخلاق المســلمين، يصــور جون اسبوزيتو هذا الفهم المنتشر في الغرب فيقول: إن المســلمين رغم تحليهم بآداب اللياقة وامتلاكهم تراث ديني [٢] ثري لحضارة كبيرة، يوصفون اليوم بأنهم ينزعون نحو الحقد والكراهية عندما يدفعون إلى الغضب [٣] و يقول أيضاً: و كذلك في أوقات الهزات و الاضطرابات وعندما تســتثار العواطف العميقة و الجياشة يمكن لتلك السماحة و اللياقة في معاملة الآخــرين أن تخــتفي و يحل محلها مزيج من الغضب المشتعل و الحقد إلى درجة تدفع بحكومة دولة ذات تاريخ طويل و حضارة مثل إيران .. وبزعيم مــثل آيــة الله الخميــني بخلفيته الروحية و الدينية العريضة إلى أن يسمح

([١]) مجلة المجتمع عدد ١٠٣٥ ص ٣٣.

([٢]) الصحيح: تراثًا دينيًا وهو خطأ لغوي في النص لأن امتلاكهم من إضافة المصدر إلى فاعله وتراثا مفعولاً به.

([٣]) نفس المرجع السابق.

باختطاف الرهائن و بالاغتيالات [١] و أن يحاول إيجاد شواهد وأدلة و سوابق من حياة نبيهم لتبرير تلك المواقف[٢] .

الكثرة و التباين :

ذكر ر.هرير دكمجيان أن الجماعات الأصولية متواجدة بكثرة في أنحاء العالم الإسلامي و أنه كان هناك منظمات أصولية تعمل علانية، فمنها أيضاً منظمات تعمل في السر مما يجعل الحصول عن معلومات حول هذه الجماعات أمراً صعباً : " و نظراً للسرية الموجودة عند كثير من المنظمات الإسلامية فإن من الصعب، إن لم يكن من المستحيل غالباً جمع معلومات دقيقة عن صفاتهم [٣] " و قال أيضاً [٤] : " يوجد في كل بلد عربي عشرات من المنظمات الأصولية العاملة علانية أو سراً سعياً وراء تحقيق أهدافها السياسية و الاجتماعية و الروحية " .

طابع السرية :

بذل المستشرقون جهداً كبيراً للحصول على أكبر معلومات عن الحركات الإسلامية فقد أشار دكمجيان إلى أن الصورة لم تكتمل بعد، و هذا ما دفعه إلى الاستعانة بالمطبوعات السرية الكثيرة لهذه الجماعات: "ويجب أن نؤكد أن المعلومات المقدمة هنا بعيدة جدًا عن الكمال، و أن من

---

(١) الثورة الإيرانية نموذج تطبيقي انطلق من فهم خاص للإسلام، ويمكن أن يخطيء ويصيب في لتنفيذ فلا يحمل فهمها ولا أخطاؤها على الإسلام أو المسلمين ككل، وكذلك كل تجربة واقعية يحكم عليها بالإسلام لا العكس.

(٢) نفس المرجع السابق

(٣) الأصولية في العالم العربي ص ٩٤.

(٤) نفس المرجع السابق.

الضـــروري أن يســـتمر الـــبحث حـــتى نحصل على صورة مكتملة للواقع الإســـلامي فـــي المـــنطقة العربية "[١] [٢] ثم يقول:"كانت المعلومات السرية مصدراً لا يقدر"[٣].

معاداة أنماط الحياة الغربية :

يصور المستشرقون الصحوة الإسلامية بأنها تعادي التقدم و الرأسمالية الغـــربية و الديمقـــراطية و تـــرفض الحياة العصرية بعامة و قد نقل جون اســـبوزيتو هـــذا التصور عنهم فقال: " إن الأصولية تشن حرباً شعواء ضد الـــتقدم و العلمانية و الرأسمالية الغربية و الديمقراطية. و تتعزز هنا القوالب الفكـــرية المسطحة بالمقارنة بين النقيضين : الإسلام ضد الغرب، الأصولية ضد التقدم، التقاليد الجامدة ضد التحولات الديناميكية، و الرغبة في العودة أو المحافظـــة على الماضي ضد التأقلم و التكيف مع الحياة العصرية " [٤] فهم يصورون المسلمون على أنهم محافظون يعيشون في الماضي، و بالتالي فهم يعادون التقدم الحضاري و التكنولوجيا، و يرفضون التقدم و الحداثة .

السعي للاستيلاء علي السلطة :

و من المزاعم التي نسجها المستشرقون أن الجماعات الإسلامية تسعى

([١]) الأصولية في العالم العربي ص ٩٤.

([٢]) بعـــد كـــل ما كتبه المستشرقون عن الاسلام والمسلمين يعترف أحدهم وهو دكمجيان ـــ بأن المعلومات المقدمة هنا بعيدة جدًا عـــن الكمال وطالب باستمرار البحث لتكتمل الصورة للواقع الإسلامي في البلاد العربية. وهو أيضًا الذي اعترف في الفقرة السابقة بـــأن مـــن المســـتحيل جمع معلومات دقيقة عن صفات الحركات الإسلامية ونتساءل: إذا كان الأمر كذلك فعلى أي أساس وجّه المستشـــرقون شبهاتهم على الإسلام والمسلمين.. وعلى أي أساس يعرضون صورة الإسلام والمسلمين في الغرب هناك وهي ثورة ظالمة كما نرى من سياق شبهاتهم، ألا يدل ذلك على أنهم يتعمدون الإساءة إلى الإسلام والمسلمين ولو كانت الأدلة قليلة أو لا وجود لها.

[٣]- نفس المرجع السابق.

[٤]- مجلة المجتمع عدد ١٠٣٥ ص ٣٢.

للاسـتيلاء عـلى السلطة و هذا يؤدي إلى إظهار الحركات بعدم نبل القصد والهـدف أمـام العالم لا سيما الغربي، ويؤدي أيضاً إلى إحداث وقيعة بين الحكومـات العـربية الإسـلامية من جهة و الجماعات الإسلامية من جهة أخـرى. يقـول جيل كيبل:"كان قوام النزعة الغالبة بين حركات العودة إلى الإسـلام أو معـاودة تحـنيف المجتمع من منتصف السبعينات إلى منتصف الثمانيـنات، و الاعتقاد بأن الاستيلاء على السلطة هو أمر بات على جدول الأعمـال و يمكن لهذا التأويل الثوري لترسيمه سيد قطب أن يكتسي أشكالاً عدة تتراوح بين العمل العنيف و بين المشاركة التكتيكية في اللعبة السياسية، إلا أنهـا تـندرج جميعاً في استراتيجية عودة إلى الإسلام أو معاودة تحنيف المجتمع من فوق "[١].

عصابات نهب وسرقة :

و إذا كانت الحركات الإسلامية غايتها الوصول إلى سدة الحكم و التمكن مـن السـلطة، فلابد أن تسلك السبل الموصلة إليها خبيثة كانت أم طيبة بناء عـلى القاعدة الغربية المعروفة " الغاية تبرر الوسيلة " لذلك فهي تسلك سبل الأعمـال الإرهابية و السرقة و الخطف و النهب ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، يتحدث جون اسبوزيتو عن هذا الفهم الشائع في الغرب قائلاً : " إن اليهود في فلسطين الآن هم أعنف خصوم الإخوان ولذلك كانوا الهدف الأساسي لعدوان الإخـوان فقـد قـام أتـباعهم بنهب أملاك اليهود في كثير من مدن الشرق الأوسـط[٢] و يعـدون العـدة للأعتداء على اليهود في عدن و البحرين وقد

---

[١]- يوم الله: الحركات الأصولية في الأديان الثلاثة. جيل كيبل ت: نصير مروة ص ٣٣.

([٢]) متى وقع هذا وأين؟ وما الدليل؟ بل إن التاريخ أثبت عكس هذا الكلام وسيأتي في الردود أدلة كثيرة على أن الحركات الإسلامية ليست حركات للنهب والسرقة وأنهم كانوا حريصين على حقن دماء وأموال أهل الكتاب الذين يعيشون بينهم.

هاجموا القنصليات الأمريكية و طالبوا العرب علناً بالانسحاب من هيئة الأمم المتحدة "[١].

بـــل يتجاوز بعضهم الحد فيصبغ السرقة و النهب بصبغة دينية فيصف السرقة بأنها سرقة إسلامية؛ فيرى جيل كيبل أن فشل الحركات الإسلامية في الوصـــول لســدة الحكم في حوض البحر المتوسط مع نجاح الثورة الإيرانية فقــط، و اشـتعال الحرب بين إيران و العراق ، أفضى كل هذا إلى ظهور الإرهاب و النهب و الخطف الإسلامي . إن :" فشل الحركات الإسلامية في حـــوض البحر المتوسط جعل من إيران الغارقة في حرب مكلفة مع العراق الـــنجاح الوحيد " للعودة على الإسلام من فوق " لكن هذه العملية اضطرمت فـــي أواســط الثمانيـــنات لتفضي إلى الإرهاب الدولي الذي كان حزب الله محطته الرئيسية و إيران الموحي الأكبر عليه . فاسترهان الرهائن الغربيين و العمـــليات الإرهابيـــة فـــي أوربـــا بدت حين كان ينظر إليها من طهران كالوسيلة الأكثر عقلانية للضغوط على حلفاء العراق و ممونيه العسكريين . إنهـــا مواصلة الدبلوماسية ثم مواصلة الحرب بوسائل أخرى غير أن طهران خسرت، برغم الضربات القاسية التي هددت أمن أوربا، معركة الإرهاب في ذات الحيـــن الذي نكلت فيه مواصلة الاشتباكات مع العراق . و الجهاد الذي كـــان يفـــترض فيـــه أن يضرم نار المسلمين المقهورين في العالم فيهاجموا ســـلطات الكفـــر، و الـــذي شغل نشرات الأخبار المتلفزة على امتداد بضع ســـنوات لـــم يستطع أن يعبئ سوى بضع عصابات بيروتية متخصصة في

[١] مجلة المجتمع ١٠٤١ — ٩/ ٣— ١٩٩٣.

النهب و الخطف الإسلاميين" [١][٢] هكذا نهب وسرقة و خطف إسلامي، وإذا كـــانت هذه هى أوصاف الحركات و الجماعات الإسلامية، فهل يرى الغرب نفسه إلا أمام عصابات مافيا لكنها مافيا عربية إسلامية .

خطر الأصولية :

و إذا كـــانت الحـــركات الإسلامية تتسم بهذه الأخلاق السيئة، فهي إذاً تشـــكل خطـــراً كبيراً على الأنظمة العربية و مصالح الغرب، بل على بلاد الغـــرب ذاتهـــا بمـــا تشكله من هجرات متتابعة إلى بلاد الغرب طلباً لسعة الـــرزق، و مـــن المستشـــرقين من يرى هذا الخطر الذي تشكله الأصولية الإســـلامية أمـــرًا لا يقـــبل الجدل يقول ر.هرير دكمجيان بعد أن استعرض الأحوال في مصر حتى موت الرئيس السادات و تولي الرئيس مبارك الحكم: " إنـــه مـــن الصـــعب و الجو هكذا ألا ننتهي إلى القول بأن من المحتمل أن تصبح الأصولية الإسلامية تهديداً متنامياً لاستقرار النظام المصري[٣].

وعـــندما تحـــدث عـــن المملكة العربية السعودية و استعرض بعض الأحـــداث التاريخية قال: وفي مطلع هذا القرن حذر عبد الله بن جلوي حاكم ابـــن ســـعود على الإحساء سيده من مخاطر حركة الإخوان [٤] " إنها كالنار التي تأكل كل شيء " و ليس هناك شك اليوم في صحة هذا الإنذار[٥] و بعد

---

(١) سبق الإشارة إلى أن هذه الصورة التي يتحدث عنها بخصوص الثورة الإيرانية وما ارتبط من جماعات لا تمثل الإسلام عامة ولا جمهوره أو جماعات صحوته فضلاً عما يمكن أن يكون فيها من تزيد أو تعميم حتى بالنسبة لإيران نفسها.

(٢) يوم الله : ص ٤٢.

(٣) الأصولية في العالم العربي ص ١٥٩.

(٤) الإخـــوان هم مجموعة من البدو أسس منهم الملك عبد العزيز بن سعود فيلقًا إسلاميًا بنظام حديد "إخوانية" عسكرية أي إخوة مـــن المحـــاربين في ذات الله تعاهدوا مع الملك عبد العزيز على أن يكون جيشهم هذا في خدمة الدين وقد كان مركز إقامتهم بمنطقة الأرطاوية الواقعة بين نجد والإحساء نقلاً عن ابن مسعود: ولداة مملكة بنو ميشان ص ٢٧٦ بتصرف طبعة دار الأسود. بيروت.

(٥) نفس المرجع السابق ص ١٩٥ ـــ ٢١٨.

أن قـــام هـــذا المستشرق بعملية مسح للحركات الإسلامية بالخليج قال: " قد يصـــبح انـــبعاث الإســـلام بين الجماهير مصدراً رئيسياً لعدم الاستقرار في الخليج على الرغم من طابعه غير النضالي بوجه عام " [١] تلك هي توقعات دكمجيـــان حول خطر الحركات الإسلامية على الدول العربية و الإسلامية و أنظمـــتها ومـــن ثـــم كان هناك من الأكاديميين و المحللين من يتحدث عن انتفاضـــة عالميـــة يقوم بها المسلمون و عن استعدادهم للقيام بثورة، يتحدث جـــون اســـبوزيتو عـــن هـــؤلاء فيقول :" و مراقبون آخرون مثل تشارلس كـــراوثامار.. تحدثـــوا عـــن الانتفاضة الإسلامية العالمية، و نظرتهم إلى المسلمين في قلب و أطراف العالم الإسلامي وهم يتحركون استعداداً للثورة : و قالوا :" بظهور قوس أزمات جديد " و إن حركة ضخمة أخرى تستمر في الـــتفاعل و التبـــلور دون أن ينتبه إليها الآخرون و لكنها تلقى بظلالها على الأحداث . إنها انتفاضة عالمية "[٢].

ويرى بعض مفكرى الغرب أن خطورة الحركات الإسلامية تمتد لأكثر مـــن هـــذا إذ يمـــتد تهديدها للدول الغربية و لا بد أن يقع الصدام يوماً بين الإســـلام و الغرب، و قد حكى جون اسبوزيتو: انتشار هذا الفهم عند بعض مفكـــرى الغـــرب فقـــال : في تقدير عدد من المعلقين الغربيين فإن الإسلام والغـــرب فـــي طـــريقهما للاصطدام. فالإسلام يمثل خطراً ذا ثلاثة أبعاد : سياسي- و سكاني- و ديني و اجتماعي[٣].

---

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) مجلة المجتمع عدد ١٠٣٤ ص ٣٢.

(٣) نفس الرجع السابق.

الزيادة السكانية :

إن زيــادة التعداد السكاني للمسلمين و ما يترتب عليه من هجرات إلى أوربا و أمريكا أمراً أصبح يشكل خطراً في هذه الدول يقول جون اسبوزيتو: وبالنسبة للبعض فإن طبيعة الخطر الإسلامي تزداد كثافة بارتباطها بالعاملين السياســي و الديمغــرافى الســكاني[١] . فمع تزايد التعداد السكاني للمسلمين والهجــرة لــلدول الغربية أصبح خطر الأصولية الإسلامية لا يتهدد الأنظمة العــربية فقط بل العالم كله هذا ما يراه بعض مفكرى الغرب، كما ينقل عنهم جــون اســبوزيتو فيقول:" إن الخطر الإسلامي له بعد عالمي مع تزايد عدد المسلمين و ازدهارهم في أوربا و الاتحاد السوفيتي وأمريكا[٢].

كراهية الغرب :

تحــاول بعــض الإدارات السياسية الغربية إظهار الحركات الإسلامية بأنهــا تكــره الغرب لا سيما أمريكا و توجيه الإعلام لنشر هذا الفكر وذلك لغرس بذور الكراهية للإسلام و المسلمين في نفوس الغربيين، مما يؤثر على عقولهــم ســلباً و يمزق جسور التفاهم و التحاور، ينقد جون اسبوزيتو هذه الأوضــاع قــائلاً" إن توجه الإدارة الأمريكية و أجهزة الإعلام نحو مساواة الإســلام و النشاط الإسلامي بالقذافى و الخوميني و الراديكالية و الإرهاب والعــداء لأمــريكا قــد عــرقل بصــورة خطيرة فهمنا وأثر على تحركاتنا وأعمالنا"[٣].

(١) مجلة المجتمع عدد/ ١٠٣٢ ص ٤٠.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) مجلة المجتمع عدد ١٠٣٣.

أسباب الكراهية لأمريكا :

يذهــب بعض المستشرقين إلى أن كراهية الحركات الأصولية لأمريكا يعود إلى عدة أسباب و هي :

١- عدم صدق الولايات المتحدة في ادعاءاتها بأنها نصيرة للحرية ولحقوق الإنسان، وذلك أنها لا تختلف عن الاستعمار الأوربي من قريب أو بعيد.

٢- سياســة التوفيق الإسلامي الأمريكي مع الأصوليين لا تصلح أبداً لأنها ضد قيمهم و مسؤلياتهم .

٣- إدراك الأصــوليين بأن الولايات المتحدة تؤيد تماماً كل أهداف إسرائيل التوسعية .

٤- إدراك الأصــوليين لــدور المخابــرات الأمــريكية في كل ما تقوم به الحكومات الإسلامية من قمع للحركات الإسلامية .

٥- الولايــات المــتحدة فــي نظر الأصوليين هي أكبر الدول الغربية التي تصدر كل أشكال المدنية الغربية الفارغة من القيم الروحية .

٦- نظــرة الأمــريكان المتعالية للثقافات الأخرى بأن كل ثقافة عدا ثقافتهم متأخرة و عتيقة .

٧- معاملة الأمريكان للإسلاميين معاملة فيها شيء من التظاهر[1].

٨- الوجــود الرسمي و غير الرسمي للأمريكيين في الدول الإسلامية "سبب لنشر الأمراض الاجتماعية و الاقتصادية".

---

(١) ربما يقصد الخداع.

٩- إدراك الأصـــوليين أن أهمية بلادهم و شعوبهم بالنسبة للأمريكان تتحدد فـــي حدود قضية الصراع بين القوى العظمى[١] هذه الأسباب كما يراها السـفير الأمريكي السابق هيرمان إيبلتس، ويلتقي معه في بعض النقاط مستشرق آخر هو دكمجيان الذي يرى أن أسباب الكراهية هي :

أ- دعم الأنظمة العربية ذات التوجه العلماني بسبب توجهها الموالي لأمريكا.

ب- الدعـم الفعــلي غيــر المشــروط لإسرائيل، و هذا يطيل أمد الضعف العســكري العربي الذي يتزايد نتيجة الحضور العسكري الأمريكي في عدد من الدول العربية .

ج- الإصرار على سياسات اقتصادية تزيد من سوء توزيع الدخل في البلاد العربية .

د- انتشـــار القيـــم و طـــرائق الحياة الغربية الأمريكية التي تعتبر مخالفة للإسلام[٢].

و لا غـــرو فـــي تشـــابه التقريرين، فإن ريتشارد هرير دكمجيان كان يعرض كتابه و هو مخطوط على هيرمان ايلتس الذي قرأ الكتاب وعلق عليه و أسدى نصحه و إرشاد. لـــ دكمجيان[٣].

---

(١) الغرب في مواجهة الإسلام: معالم ووثائق حديدة ـــ مازن المطبقاني ص ٢٧.

(٢) الأصولية في العالم العربي ـــ ريتشارد هرير دكمجيان ترجمة / عبد الوارث سعيد ص ٢٣٩.

(٣) نفس المرجع السابق ص ١٤.

الفصل الخامس

دحض ونقل شبهات المستشرقين

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨) ﴾ (الأنبياء : ١٨)

حول أسباب الصحوة

تعـددت رؤى المستشرقين حول أسباب الصحوة، مما يدل على اهتمام الغرب بالصحوة الإسلامية، و قد تركزت رؤيتهم حول الأزمات الاقتصادية والثقافية و الفساد السياسي و العجز العسكري و حالة الضعف العام التي تبدو عـلى العـالم الإسلامي و مؤسساته المختلفة، هذه الأسباب و غيرها تشارك بشكل أو بآخر في انبعاث الصحوة .

فالأزمـات إذا أحـاطت بالإنسان و لو كان مشركًا تجعله يستغيث بربه ويـرجع إليـه، يقول دكتور يوسف القرضاوى:" وقد بيَّن لنا القرآن موقف الإنسـان و- لـو كان مشركاً -إذا مسه الضر و نابه الكرب فهو يدعو ربه منيـباً إليه . كما صور موقف ركاب الفلك، إذا عصفت بهم الريح، و أحاط بهـم المـوج مـن كل مكان، و ظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين"[1].

و لا يسـتبعد أن يكـون العجز العسكري للأمة أمام إسرائيل سبباً من أسـباب الصـحوة، ولا يستبعد أن تهز النكبة الثانية-بعد نكبة ١٩٤٨م-نكبة ١٩٦٧م كيان الإنسان المسلم و ترده إلى ساحة الله تعالى، و لاغرو أن توقظ النكبات الكبرى الناس ما داموا على بقية سلامة الفطرة[2].

أمـا القـول بأن الفقر سبب من أسباب الصحوة أو الأزمة الاقتصادية وسـوء توزيـع الثروات فهذا أمر مردود، فإن هذا ديدن الماديين في تفسير

---

(١) الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي ص ٢٨.
(٢) المصدر السابق ص ٢٨.

وقـــائع المجتمع و تغيراته حتى ظهور النبوات و الرسالات السماوية أسباب اقتصادية عندهم [١] إن الصحوة الإسلامية لم تقم للبحث عن الخبز و الطعام، بل للبحث عن الذات و الالتزام بالهوية الصحيحة للأمة. ثم هل ينكر أحد أن كـــثيراً مـــن الأغنياء من الملتزمين بشعائر الإسلام وآدابه و من المستظلين بظلال الصحوة الوارف؟ ومن يقل من الناس إن الالتزام بالشعائر الإسلامية هـــو ديـــدن الفقـــراء و المساكين؟ أو أن الفسق و التحلل هو حال الأغنياء وحدهم؟

ثم ماذا يقول أصحاب التفسير المادي عن انتشار الصحوة الإسلامية في دول الخليج مثلاً وهي دول لا تعاني فقراً أو مشكلة اقتصادية تدفع الناس إلى الـــتدين بســـببها، بل دخل الفرد فيها من أعلى معدلات الدخول على مستوى العـــالم . و كذلـــك ظهـــور الصـــحوة الإســـلامية في الدول الأوروبية أو الأمريكيتين حيث تعيش الجاليات المسلمة في أوضاع اقتصادية حسنة[٢].

لمـــاذا يصر المستشرقون على أن أسباب الصحوة الإسلامية أمر خارج عـــن الإســـلام ذاتـــه مـــع أن بعـــض المفكـــرين كـــانوا يثبتون للمذاهب والأيديولوجيات الوضعية قدرتها على تعبئة الشعوب وشحذ هممهم، فإذا كان هذا صحيحاً فإن الإسلام هو الأولى بذلك لأنه النور الإلهي و الرباني للناس، وهـــو بالنسبة لأمتنا كالروح بالنسبة للجسد لا حياة للأمة بدونه، و به تكون الحيـــاة الحقيقيـــة للأمة قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا ﴾[٣]. و قال

---

(١) المصدر السابق بتصرف.

(٢) سبق الإشارة في الفصل الثاني إلى إحصاءات واقعية عن المهن والمستويات الوظيفية لأبناء الصحوة مما يؤكد أن الفقر ليس دافعٌ إلى الالتزام بالدين.

(٣) سورة الشورى آية ٥٢.

تعالى ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾[١].

إن السـبب الرئيسـي و الأهـم لانبعاث الصحوة الإسلامية هو طبيعة الإسـلام و قدرته على إيقاظ الضمائر و العقول من سباتها العميق، لكن هذا السبب لم يحظ باهتمام المستشرقين إلا ما ندر، فطبيعة الإسلام أن يوقظ في الأمـة عوامـل التنبه، و بواعث التحرك مادام قرآنها محفوظاً في الصدور، متلوّا بالألسنة، مسطوراً في المصاحف لأن الله تكفل بحفظه قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ(٩) ﴾[٢]. ومـا دامت سيرة نبيها بين أيديها تضيء مصباح التأسي، و توقد جذوة الحماس في القلوب[٣].

ومـن أسـباب الصحوة الإسلامية وجود القرآن غضاً طرياً كما نزل، محفوظاً عن التحريف يحرك فيهم نوازع الخير و يوقظ عقولهم إلى ما يصلح الأمة و الناس أجمعين، و يوقظ عواطفهم و يقوي الرباط المقدس بينهم يقول المستشرق الألماني باول شمتز في كتابه (الإسلام قوة الغد العالمية) متحدثـاً عـن قـوة القـرآن في إصلاح حال الأمة :" إن قوة القرآن في جمع شمل المسلمين لم يصبها الوهن، و لم تفلح الأحداث الكثيرة في زعزعة ثقتهم به، وإن الـروح الإسلامية لا تزال تسيطر على تفكير القادة وعواطفهم، وستظل هكـذا مـا دامـت الشـعوب الإسلامية قد ربطت مصيرها بتعاليم الإسلام واعتقدت أنه الرباط الجامع بين أجناسها المختلفة[٤] .

---

(١) سورة النحل آية ٢.

(٢) سورة الحجر آية ٩.

(٣) الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي. د/ يوسف القرضاوي ص ١٢.

(٤) مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي ص ١٤٥ مقال لفضيلة الشيخ محمد الغزالي.

و من طبيعة الأمة أنها لا تجتمع على ضلالة كما قال النبي ﷺ:"لا تجتمع أمتي على ضلالة"[١]. و أن يبقى في الأمة أوقات النوازل و النكبات و المحن والاستضـــعاف طائفة مستمسكة بالحق تحافظ عليه و تدعوا إليه، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه الطائفة فقال: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله و هم ظاهرون"[٢].

كما أن الله تعالى يهئ لهذه الأمة من يوقظها من رقودها ويجدد لها الدين كمـــا جاء في الحديث: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجـــدد لها أمر دينها"[٣] ، فيظهر مفاهيم الدين الصحيحة، و يصلح ما ينبغي مـــن مفاهيم، و ينتقل من طور الفكر إلى العمل و الإصلاح، فالإسلام يدعو هـــذه الأمـــة إلى العلم و العمل و يرغبها في الفكر والنظر ويحرضها على الكفـــاح و الجهـــاد، و يعدهـــا بالنصر وعلو الكلمة، و يؤكد لها أن الله مع المؤمـــنين و أن العاقبة للتقوى، وأن النصر مع الحق، وأن الباطل زاهق لا محالة:﴿جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧)﴾.[٤]

و لا غرو أن يبقى الإسلام شامخاً متماسكاً برغم الحروب الدامية التي استهدفته منذ أمد بعيد، و برغم المكائد و المخططات التي تدبر له بُغْيه وأده وإلغائـــه مـــن الوجـــود، فالله تعـــالى أخـــبر أنه سيظهر الإسلام على سائر المـــلل والـــنحـــل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)﴾[٥] ، لقـــد ظـــن الغرب أن الإسلام قد انتهى لكن " الإسلام الذي

---

(١) أصول الفقه للإمام أبي زهرة ص ١٨٦ دار الفكر العربي.

(٢) الحركات الإسلامية في مصر وإيران د/ رفعت سيد أحمد ص ٤٠.

(٣) الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي د. يوسف القرضاوي ص ١٣ والحديث رواه أبو داود وغيره.

(٤) سورة الرعد آية ١٧.

(٥) سورة الصف آية ٩.

زلزلته الكوارث الدامية و الأزمات الطامية لم يقض نحبه و لم يقبر، بل على العكـس انطـلق زاخراً بالحياة و النشاط أقوى ما تكون الحياة، حتى لقد بدأ الـبعض في الغرب يعتقد أنه لا بد مرة أخرى أن يحسب للإسلام حسابًا وان يخشى بأسه ".[١]

(حول خاصية الانتشار)

تحـدث بعض المستشرقين حول خاصية الانتشار للصحوة الإسلامية، هذا الانتشار يبدو على وجهين :

الأول : الانتشار الطبقي :

الانتشـار على المستوى الطبقي، فلا تنتشر بين فئة معينة دون أخرى، فعلي المستوى الثقافي مثلاً : تنتشر الصحوة بين الأميين وأصحاب الشهادات المتوسطة و العليا من أصحاب التخصصات المختلفة الأدبية و العلمية ، مما يدل على أن الصحوة الإسلامية و المنتمين إليها ليسوا انعزاليين ولا يدعون إلى العـزلة بل منخرطين في ثنايا المجتمع يعملون و يعمرون، و يدل أيضاً علي أن الصحوة لا تعادى الحداثة أو التقدم و التطور فكثير من المنتمين إلى الصحوة التمسوا طلب العلم في الكليات العملية و التجريبية كالطب والهندسة و العلوم والتكنولوجيا .

الثاني : الانتشار المكاني :

لقد انتشرت الصحوة في كثير من بلاد العالم شرقاً و غرباً، فهي ليست حكراً على قطر دون آخر، و لا غرو في ذلك فإن الصحوة تستمد انتشارها

(١) الإسلام كبديل د/ مراد هوفمان ص ٢٧.

و امــتدادها مــن طبيعة هذا الدين فالإسلام دعوة عالمية لا تعرف العصبية لعــرق فتحتكر الرسالة له ، و لا تقر العنصرية و لا تفرق بين البشر، فتقبل بعضهم و ترفض الآخرين ، كما نرى من بعض النحل و الملل المحرفة[١].

خاصية تعدد المراكز :

فــإذا نظرنا إلى تعدد المراكز القيادية التي وصفها بعض المستشرقين بأنهــا قيــادات ثورية فهي ليست كما يزعم، بل هي قيادات دعوية وإدارية، فبطبيعة الحال تترامى أطراف الدول الإسلامية، و تكثر حاجة المسلمين إلى موجهين ودعاة .

وبــناء عليه لا يلزم من تعدد هذه المراكز القيادية و الدعوية أن تكون رد فعل الأزمات الخاصة بكل بلد، كما يرى بعض المستشرقين الذين جعلوا ظهور الصحوة الإسلامية مرتبطاً بالأزمات التي تعصف بالمجتمع والحق أن الإســلام بطبيعــته يحمل عوامل الصحوة في منهجه و فكره البناء و دعوته للإصلاح .([٢])..

([١]) ربمــا يقول قائل: هذه الخاصية لا تحتاج إلى رد، لأن المستشرقين أثبتوها فيعتبر هذا التقييم توثيقًا وبيانيًا لما ذكروه والحقيقة أننا لا نقصد من وراء هذا التقييم الوقوف على السلبيات فقط، بل وإبراز الإيجابيات وأحسب هذا من الأمانة العلمية حتى لا يظن أحد أننا نتجنى على المستشرقين.

([٢]) إن تعــدد المراكز ليس ضعفًا أو عيبًا يؤخذ على الصحوة، وإنما هو ميزة لها من مختلف النواحي، فهو من ناحية دليل على حيوية الإسلام ومرونته وتفاعله مع واقع شعوبه، كما أنه يجنب الصحوة عيوب المركزية القاتلة ــ وهي أحد المعاول التي أسقطت الشيوعية ــ خاصــة مع تباين ظروف الشعوب الإسلامية نتيجة لقرون التمزق والإستعمار من كل لون، مع ضعف ــ أو إنعدام ــ العلاقات بــين حكومــات تلك الشعوب، كما أن اتحاد المقولات الأساسية لجماعات الصحوة في مختلف البلدان يجعل تعدد المراكز تنوعًا في الأساليب والتفاصيل يعود بالغنى والخصوبة على التجربة ككل ولا يجعل منه تضاربًا ولا تنافيًا. ولئن ظن المستشرقون أن تعدد المراكز يجعل من السهل على الغرب ضرب الصحوة، فذلك قد يصح في مدى معين أو ف فترة معينة، لكنه في الوقت ذاته يمثل امتدادًا عميقًا للصحوة ككل يجعل من الصعب جدًا على العدو ضربها على العكس ما لو كانت مسيرة كلها من مركز واحد.

خاصية الإصرار :

أما الإصرار وما تبديه الصحوة من صمود و تماسك و ثبات و استمرار أمـــام المذاهب الفكرية الأخرى فذلك دليل على حقيقة أن الإسلام على مدار الـــتاريخ يثـــبت قدرته على التواصل مهما كانت الأيديولوجيات التي تواجهه وتـــتحداه أو تناصـــبه العـــداء، و ذلـــك لمـــا يتمتع به الإسلام من الربانية، والشـــمولية في نظرته للكون والحياة والإنسان وما يعرض له من مشكلات، فهـــو وحـــده القادر عـــلى حل المشكلات الإنسانية، والبقاء بحيويته و قوته المتجددة، كم من بلد فرض على أبنائه أيديولوجيات مختلفة قسراً ، فذابت كما يذوب الجليد تحت حرارة الشمس، و عاد الإسلام بفكره الذي لم يبل، وتلقفه الـــناس كما يتلقف الغريق حبل النجاة، و هذا ما حدث في الاتحاد السوفيتي ســـابقاً وغيره من دول الكتلة الشرقية بعد سبعة عقود فرضت فيها الشيوعية عـــلى الـــناس، فمحيت كأن لم تكن و بقى الإسلام لأنه هو الحق الذي ينفع الـــناس، و هـــذه آيـــة مـــن آيـــات الله أن تسقط المذاهب الوضعية و الملل المحـــــرفة صـــريعـــة أمام الإسلام و تلك سنة إلهية للصراع بين الحق و الـــباطل ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾[1].

وقفة مع السمات الشخصية للمؤمنين كما يراها المستشرقون:

العزلـــة:

مـــن أبرز الاتهامات الموجهة لشباب الصحوة الإسلامية الاتهام بالعزلة وهـــو اتهام واضح البطلان لأن الإسلام دين اجتماعي يدعو إلى التعاون في

(١) سورة الرعد آية ١٧.

شـــتى ميادين الحياة الاجتماعية من مساعدة الفقراء و المساكين و الضعفاء والقيـــام بـــالدعوة إلى الله و الأمـــر بالمعروف و النهي عن المنكر يستلزم مخالطـــة الـــناس، و الإمـــام الـــنووي المحدث المعروف ذكر باباً في كتابه المشهور (رياض الصالحين) تحت عنوان :"فضل الاختلاط بالناس و حضور جمعهـــم وجماعـــاتهم و مشـــاهدة الخيـــر، و مجالس الذكر معهم، و عيادة مريضهم، وحضور جنائزهم، و مواساة محتاجهم، و إرشاد جاهلهم، و غير ذلك من مصالحهم لمن قدر على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، وقمع نفسه عن الإيذاء و صبر على الأذى ". ثم قال تحت هذا العنوان :" اعلم أن الاخـــتلاط بالناس على الوجه الذي ذكرته هو المختار الذي كان عليه رسول الله ﷺ وســـائر الأنـــبياء ـــ صلوات الله وسلامه عليهم ـــ و كذلك الخلفاء الراشـــدون و مـــن بعدهـــم من الصحابة و التابعين و من بعدهم من علماء المســـلمين و أخيـــارهم و هو مذهب أكثر التابعين، و من بعدهم، و به قال الشافعي و أحمد وأكثر الفقهاء ـــ رضي الله عنهم ـــ أجمعين قال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾[١]؛ وقـــد اســـتدل بحديث أخرجه أحمد والترمذى و غيـــرهما:" المؤمن الذي يخالط الناس و يصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس و لا يصبر على أذاهم " .

أمـــا عزلة المسلم لسائر الأيديولوجيات المناهضة للإسلام و رفضه لها بمعـــنى عـــدم اعتناقها بل مناهضتها فهذا أمر لا يلام عليه لكن لا يخاصمه كمفكـــر يلزم مدارسته ليفرق بين الحق و الباطل، هذا إلى جانب " أن إنشاء اليقيـــن الاعـــتقادى بالحق والخير يقتضي رؤية الجانب المضاد من الباطل والشر" .[٢]

---

(١) سورة المائدة آية ٢.

(٢) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ص ١١٠٥ جـ٢ دار الشروق.

عدم النضج و التعصب :

ويــبرز أيضــا اتهام المتدين و الملتزم بكونه غير ناضج و متعصب، والمستشرقون يصورون الإسلام كأنه يفسد أخلاق الناس و نفوسهم، والأمر عــلى الــنقيض من هذا فالإسلام يقوم فكر الإنسان وسلوكه ويهذب طبائعه، والمســلم أبعــد ما يكون عن التشدد و التعصب والتطرف لأن الإسلام جاء بالوسطية و الاعتدال قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾(١).

و قــال تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (٢)، فالتيسير من سمات هذا الديــن و مــن هــدي النبي ﷺ و في الحديث(إن الدين يسر)(٣)، أما إذا كان الالتزام بالإسلام كفكر وسلوك و شعائر، و عدم استقدام قيم جديدة وإلصاقها بالإســلام ، يعتبر عند المستشرقين تشدداً وتطرفاً، ففيه من التحامل ما فيه، لأن أصحاب العقائد المختلفة يلتزمون بها و ينفون عنها ما سواها .

أمــا الوصف بالاكتمال قبل الأوان أو عدم النضج بسبب التزام الشباب المــبكر بالكتاب و السنة ، فهو مخالف للحقيقة، لأن المسلم يكون فكره عن الكــون والحياة و ما بعد الحياة من خلال القرآن و السنة، بل يصحح سلوكه وعلاقاتــه الاجــتماعية، فالدراسة الأكاديمية و العمل الوظيفي أو الحرفي لا تكفي لسد حاجة الإنسان في هذه النواحي، فالمسلم الملتزم إذًا يسبق أقرانه إذا صــح التعبير في شخصيته العامة و فهمه للأشياء حوله، فالوصف الحقيقي اللائق بهم أنهم عقلانيون وأنهم ناضجون، لا أن يتهموا بعكس هذه الصفات .

---

(١) سورة البقرة آية ٤٣.

(٢) سورة البقرة آية ١٨٥.

(٣) فتح الباري ١/١١٦ كتاب الإيمان.

الدونية و الاستعلاء:

ثــم يأتي وصفهم بالدونية و الاستعلاء على كل من سواهم، و الحق أن أهل الإيمان أعزة بهذا الدين ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

وقــال تعــالى ﴿ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٢)، و الواقع المشاهد يثبت أن كثيراً من شباب الصحوة لهم مكانة علمية و ثقافية ، بل ويترقى بعضهم السلم الوظيفي بدرجات مختلفة، فكيف يشعر هؤلاء بالدونية، و يزعم المستشرق ــ دكمجيــان ــ أن الدونيـــة تقودهـــم إلى الاعتداء على الناس ، فالمستشرقون يـــريدون إظهار المسلمين للغرب على أنهم معتدون موتورون مصابون بعقد وأمـــراض نفسية وعصبية، يعيثون في الأرض فساداً و هذا مخالف للحقيقة فرسولنا جاء بالرحمة للناس فالإسلام رسالة خير وسلام ورحمة للبشر جميعاً وقــد قــال الله تعــالى لرسوله ﷺ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٣). والإسلام يوصـــي بالرحمة العامة لا يستثني منها إنساناً و ل ادابة و لا طيراً، و هذه بعــض النصـــوص التي تثبت ذلك مثل قوله ﷺ :"لن تؤمنوا حتى ترحموا، قـــالوا: يارسول الله كلنا رحيم، قال: إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، و لكنها رحمة العامة)(٤)؛ و قال ﷺ : (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله)(٥) وقال ﷺ: (من لا يرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء)(٦).

ولا يســعى الشـــباب المســلم لفرض معتقداتهم على الناس كما يدعى

---

(١) سورة المنافقون آية ٨.

(٢) سورة آل عمران آية ١٣٩.

(٣) سورة الأنبياء آية ١٠٧.

(٤) الطبراني.

(٥) البخاري

(٦) الطبراني نقلاً من كتاب خلق المسلم لفضيلة الشيخ محمد الغزالي ص ٢٢٥ ــ ٢٢٦. دار الكتب الحديثة..

المستشــرقون، فــالواقع يكذب هذه الفرية، و معلوم أن القرآن كفل الحرية للــناس لاخــتيار معتقداتهم فقال تعالى: ﴿ لَاإِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾[١] ويرسي قواعد الدعــوة وآدابها فيقول تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.[٢]

عدم التسامح :

و من الصفات التي أطلقها المستشرقون على شباب الصحوة الإسلامية عدم التسامح بسبب التزامهم بمبادئ دينهم المتشدد؟! و اتهامهم أنهم يعتقدون أن الله لا يغفر الذنوب؟

فعــدم التسامح عند المسلمين نابع من دينهم المتشدد! مع أن أكبر سمات الإســلام التيسير في أحكامه و شرائعه فهو دين التوسط و الاعتدال، فيه من التيسير ما ليس في الأديان السماوية قبله، و لا في النحل الوضعية، فالإسلام جــاء لإســعاد البشرية في الدنيا قبل الآخرة ، لا ليكبلها بالأحكام و يفرض عــليها العــبادات الشاقة تعذيباً وإيلاماً ، قال تعالى: ﴿طه(١) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢)﴾[٣]، فــإذا كان اتهام الإسلام بالتشدد افتراء واضحًا ، فكذلك اتهام المســلمين بعــدم التســامح افــتراء مبين ، لأن التسامح و العفو من أخلاق المؤمــنين ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(١٣٤)﴾[٤] و قال تعالى ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦.
(٢) سورة النحل آية ١٢٥.
(٣) سورة طه آية ١ ، ٢.
(٤) سورة آل عمران آية ١٣٤.

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠)﴾[١].

ثـــم مـــن يستطيع إقامة الأدلة على أن المؤمنين يعتقدون أن الله لا يغفر الذنـــوب ، إنهم يؤمنون أن الله تعالى هو الغفور و الغفار، وأنه يدعو عباده للتوبة و يأمرهم بطلب المغفرة ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾[٢] . و قـــال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾[٣] .

و نصـــوص كثيرة تثبت أن الله يحب التوابين و يفرح بتوبتهم و يقبلها مـــنهم ليـــلاً و نهاراً ، و هذا من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة لدى المؤمنين، فالله لا يريد من العصاة و المنحرفين أن يتسرب اليأس إلى قلوبهم فيصدهم ذلك عن التوبة و الإقلاع عن المعصية، بل يقذف في قلوبهم الأمل والـــرجاء في رحمة الله و مغفرته ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)﴾[٤] وتلك هي عقيدة أهل الإيمان، فلماذا الافتراء عليهم و تزوير الحقائق ؟

لمـــاذا يعيـــب المستشـــرقون عـــلى المسلمين إخلاصهم لقضيتهم، فكل أصحاب المبادئ و المعتقدات يخلصون لها و يدافعون عنها، و هذا لا يعني أن التيار الإسلامي يقوم بتحطيم الدولة أو تدمير مجتمع الآثمين إخلاصاً لدينه كمـــا يـــزعم المستشـــرقون ، بل إن المسلمين يسلكون السبل السلمية لإزالة المـــنكر بالدعوة بالحكمة و الموعظة الحسنة أو الإنكار القلبي،" ومما لا شك فيه أن إزالة الفساد فضيلة، و إلا لأصبحت المحافظة عليه هي الفضيلة ، لكن

---

(١) سورة الشورى آية ٤٠.
(٢) سورة هود آية ٣.
(٣) سورة التحريم آية ٨.
(٤) سورة الزمر آية ٥٣.

كيـــف تكون الإزالة؟ هنا يكون الخلاف : في عرف الإسلام و من يفهمونه بحق تكون الإزالة عن طريق التربية و الدعوة بالحكمة و الموعظة الحسنة، وإزالـــة المـــنكر بما لا يؤدي إلى منكر مثله أو أشد و تقديم أخف الضررين والمصـــلحة على المفسدة ، والمصلحة العامة على الخاصة، والبعد عن انـــتهاك حرمة النفس إلا بحقها . أما ما قاله المستشرق ـــ دكمجيان ـــ بأن هدف الأصوليين الإسلاميين هو " تحطيم الدولة و المجتمع الآثمين " واعتبار ذلـــك أعظـــم الفضـــائل، فذلك نقيض ما يقرره الإسلام و يعمل على أساسه الإسلاميون و هدفه منه التشويه و التخويف و التحريض .[١]

الطاعة للقيادة الآسرة :

أما الطاعة فهي أولاً و أخيراً لله تعالى ثم لرسوله ـــ ﷺ ـــ و لا طاعة لقـــائد ســـواء أكان آسرًا أو غير آسر إلا إذا كان أمره أو نهيه في إطار ما شـــرع الله تعـــالى، و قـــد نـــبه النبي ﷺ إلى ذلك بقوله :" إنما الطاعة في المعروف"[٢]. و في حديث آخر : "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق "[٣].

و جعـــل سبحانه الطاعة في كتابه مقيدة بطاعة الكتاب و طاعة السنة ، بـــتقديم طاعة الله و رسوله على طاعة أولي الأمر و إسقاط لفـــظ الطاعة قبل "أولي الأمر" قـــال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٤].

و قـــد جســـد هـــذا المعنى الخليفة الأول لرسول الله ﷺ حينما قال في

([١]) الأصولية في العالم العربي ص ٦٢ هامش تعليق الأستاذ/ عبد الوارث سعيد ، مترجم الكتاب.

([٢]) أخرجه مسلم.

([٣]) الترمذي.

([٤]) سورة النساء آية ٥٩.

خطابه الأول إلى الأمة :" أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم ".[١]

و مع هذه الطاعة المقيدة هناك الإطار الشرعي لمعارضة الحاكم المتمثل في مبدأ الشـــورى الذي أرسى قواعـــده القـــرآن فقال تعالى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [٢] بل أمر الله رسوله ﷺ أن يلتزم منهج الشورى فقال : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾،[٣] و قـــد طبق النبي ﷺ هذا المنهج يوم بدر حين قال :" أشيروا علي أيهـــا الناس". وعندما أشار أحد الجنود بالنزول عند الماء، و يوم أحد عندما أشار شباب الصحابة بالخروج لمقابلة المشركين، وكان ﷺ يرى أن يتحصنوا بالمدينة ، وغير ذلك من المواقف التي أبدوا فيها آراءهم .

بقـــي فـــي نهاية الحديث عن الصفات السلبية التي ألصقها المستشرقون لشـــباب الصحوة أن نشير إلى هذا الخطأ المنهجي في دراسات الغربيين عن الإســـلام و الحركات الإسلامية ، بصرف النظر عن تعمدهم أو عدم تعمدهم لذلـــك، ألا و هو التعميم، إن هناك فروقاً جوهرية في تكوين الشخصية بين المســـلم و غيـــر المسلم، المؤمن وغير المؤمن، بين من ينتسب إلى الإسلام اســـماً أو شـــكلاً، ومـــن يدين به عن علم ويقين، بين من تربي على الكتب وحدهـــا، ومن تربى على أيدي مربين محنكين طبقاً لمنهج إسلامي واضح، ومـــن الخطـــأ الـــبيّن التسوية بين كل هؤلاء و إصدار أحكام موحدة عليهم، ومعظـــم هـــذه الســـمات المذكـــورة لا توجد في الإسلاميين الحقيقيين ، بل يتصفون بأضدادها فالمسلم الحق العامل للإسلام يختلط بالناس و يتربى على

---

(١) نقلاً عن الغرب في مواجهة الإسلام معالم ووثائق/ مازن المطبقاني ص ٢٣ — ٢٤.

(٢) سورة الشورى آية ١٣٨.

(٣) سورة آل عمران آية : ١٥٩.

غيــر تعصــب أو دونية أو استعلاء أو عدوانية أو فاشية أو عدم تسامح أو ارتيابية أو تآمر أو قسوة، حقاً هناك درجة من المثالية و الإحساس بالواجب، والجرأة لكن في الحق، والطاعة لكن عن بصيرة، ومن أخطاء هذه الدراسات أيضاً تعميم ما يصدق على أفراد أو قلة على جمهور المسلمين [١].

تشبيه الحركات الإسلامية بالشيوعية :

لا شــك أن الغــرب يكــره الشــيوعية فكراً و تطبيقاً ، فالغرب يؤمن بالرأســمالية وتوابعهــا من الديمقراطية و الملكية الفردية، و هذه الأمور لا مكــان لها في المعسكر الشيوعي ، فلا مجال للديمقراطية أو الملكية الفردية، وكــان المعسكران الشرقي و الغربي يسعى كل منهما لنشر مبادئه و أفكاره بشتى الطرق ، و استمرت المواجهة بينهما ردحاً من الزمن اصطلحوا على تسميتها بالحرب الباردة .

ولقد عمل الإعلام الغربي و المفكرون هناك على إظهار سوءات الفكر الشيوعي و سلبياته ، فرسّخوا في عقول الغربيين كره وعداء الشيوعية التي تهدد كيانهم .

مــن هــنا ســارع مفكرو الغرب بعد ما سقط المعسكر الشرقي بتشبيه الحــركات الإسلامية بالشيوعية لاستغلال هذا المخزون الهائل من الكراهية وتوجيهــه إلى الإســلام و المسلمين و إلا فليس بين الإسلام و الشيوعية أي تشــابه في العقائد أو المنهج . أما أن يوصف أحد الصحابة بأنه شيوعي أو يــنادي بالشــيوعية ، فهو ظلم و افتراء ، لأن الصحابة ما كانوا ليعدلوا عن القــرآن و الســنة ، أمــا الصحابي الذي يلصق به هذا الوصف فهو أبو ذر

(١) الأصولية في العالم العربي ترجمة/ عبد الوارث سعيد ص ٥٩ هامش تعليق المترجم.

الغفـــاري و كـــل مـــا فعله أنه تشدد في الزهد و التقشف و مال إلى خشونة العيش ، و كان يعتبر أن ما زاد عن الحاجة من المال كنز يجب أن يتصدق به صاحبه وإلا استحق العذاب عليه يوم القيامة .

قال الإمام ابن كثير :" كان من مذهب أبي ذر –رضي الله عنه– تحريم ادخـــار ما زاد على نفقة العيال و كان يفتي بذلك و يحثهم عليه و يأمرهم به ويغـــلظ فـــي خلافه ، فنهاه معاوية فلم ينته فخشى أن يضر بالناس في هذا، فكـــتب يشكو إلى أمير المؤمنين عثمان و أن يأخذه إليه فاستقدمه عثمان إلى المدينة و أنزله بالربذة وحده و بها مات رضي الله عنه في خلافة عثمان"[١] فكـــان أبـــو ذر يرى أن الكنز كل ما فاض عن حاجة الإنسان ، و الصحيح الـــذي عـــليه الجمهور أن الكنز هو المال الذي لم تؤد زكاته ، فأما إذا أديت زكاته فليس بكنز سواء كثر أو قل[٢] وفي الصحيح أن الرسول ﷺ قال لأبي ذر:" مـــا يســـرني أن عندي مثل أحد ذهباً يمر علي ثلاثة أيام و عندي منه شـــيء إلا دينار أرصده لدين" . فهذا و الله أعلم هو الذي حدا بأبي ذر على القول بهذا[٣] .

و لا يوجد بين الإسلام و الفكر الشيوعي تشابه أو تقارب ، و إذا كان كلا الفكـــرين الشيوعي و الإسلامي له وجهة نظر للمال فالبون شاسع بينهما فالإسلام– يدعو للعطاء و الثورة (الاشتراكية) تدعو إلى الأخذ ، و قد تكون النتيجة الظاهرية واحدة ، و لكن النتيجة الباطنية مختلفة كل الاختلاف .

و ليـــس معنى هذا أن الإسلام يسعى لمساواة الناس في الأموال، أو ينادي

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٥٢.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج٧ ص ٧٧.
(٣) ابن كثير ج ٢ ص ٣٥٢.

بالتأميم و إلغاء الملكية الفردية ، بل إنه يفتح الباب للعمل و الكسب و التملك، ثم يدعوهم للزكاة و الصدقة لفقراء المجتمع و ضعفائهم، و لا يحسبن أحد أن مـــن أهــداف الإسلام السياسية الاجتماعية المساواة بين الناس في الأموال، والكسوب أو الدخول[1].

و بهذه الطريقة الحكيمة في الاقتصاد حقق الإسلام قبل ألف و أربعمائة عـــام في المدينة المنورة ، قدراً من العدالة الاجتماعية و الاقتصادية، أقصى ما يطمح إليه ماركس أن يحلم بمثله[2] . و ماذا قدمت الشيوعية لمعتنقيها إلا الفقـــر و الذل و الهوان إن أحد الكتاب الذين كانوا متحمسين للشيوعية عندما ذهـــب إلى روسيا وشاهد ما خفي من أحوالها عاد رافضاً للشيوعية و منددا بسياستها الاجتماعية. فقد احتفوا بزيارته و أكرموا وفادته ، و أحاط به كبار الموظفين فلم يستطع فإن يرى المساواة التي تتحدث عنها الشيوعية، و حين هرب من كبار الموظفين و اختلط بالعمال تبين أن أكثرهم يعيشون في أبشع صـــنوف الفاقة في الوقت الذي كان يجلس فيه إلى مأدُبة فاخرة كل ليلة، في حيـــن أن معظـــم أفراد الطبقة الكادحة يعيشون تحت مستوي الفقر، و غياب الرأســـمالية لـــم يعـــد عـــلى العمال في روسية بخير كما أنه لم يسق إليهم الحرية[3].

إن محاولة المستشرقين تشبيه الحركات الإسلامية بالشيوعية تهدف إلى تحويـــل كـــراهية الغـــرب إلى الإسلام و المسلمين بدلاً من الشيوعية التي انهـــارت ، و تهـــدف أيضاً إلى إقناع العقل الغربي بأن الحركات الإسلامية

(١) الإسلام كبديل. د/ مراد هوفمان سفير ألمانيا بالرباط ص ١٥٣.

(٢) المرجع السابق ص ١٥٤.

(٣) الإسلام في وجه الزحف الأحمر لفضيلة الشيخ محمد الغزالي ص ٩١ ــ ٩٤ . بتصرف.

تنتهج نهج الشيوعية في التغيير في الأصول أو الجذور بنسف الواقع من جذوره لإقامة نظام جديد عن طريق الثورات و إراقة الدماء ، و من المعلوم أن الإسلام لا يدعو إلى إقامة ثورات أو إحداث انقلابات لتدمير المخالفين وسفك دمائهم ، و إلا ما وجد مخالف على قيد الحياة في أي قطر إسلامي؛ إذاً فمحاولة تشبيه الحركات الإسلامية بالشيوعية أمر مستحيل لوجود الفارق الكبير بينهما في الفكر و المنهج .

إسلام متعدد :

و يصف المستشرقون الإسلام بعدة أوصاف متباينة فهناك الإسلام الأصولي والإسلام التقليدي، والإسلام الصوفي،والإسلام الرسمي، و هذه الأوصاف تجعل الإسلام أكثر غموضاً عند الغرب، و تجعل الناس يعتقدون أن الإسلام ليس ديناً واحداً بل هو أديان كثيرة .

و الحقيقة أن الإسلام دين واحد و كل ما ألصق به من أوصاف زور وبهتان قال تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾[1] ثم لماذا لم تطلق هذه المسميات على اليهودية أو النصرانية؟ فيقال مثلاً: اليهودية التقليدية أو الصوفية أو اليهودية الرسمية أو الأصولية؟

و هل يقال : النصرانية التقليدية أو الرسمية، أو النصرانية الصوفية أو الأصولية؟ فلماذا تلصق هذه الأوصاف بالإسلام فقط، ألا يتنافى ذلك مع الموضوعية؟ مع العلم بأن الديانتين السابقتين ينتسب إليها الكثير من الفرق والجماعات .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩.

إن الإسلام واحد لا يتعدد ربما تتعدد أفهام الناس و تجاربهم في التطبيق المتأثرة بالظروف الخاصة لكل بيئة، و الإنسان المتجرد يعرف زيف هذه المسميات التي يطلقها المستشرقون و أذنابهم ، يقول الأستاذ عبد الوارث سعيد معلقاً على هذه الأوصاف التي ألصقها ــ دكمجيان ــ بالإسلام : ورد في عدة صفحات من الكتاب "تصنيف الإسلام إلى (إسلامات) "الإسلام الرسمي والإسلام الأصولي، والإسلام الصوفي والإسلام التقليدي والإسلام الجماهيري .. .. إلخ، كذلك فإن بعض غلاة العلمانيين، المناهضين لكل دعوة إلى العودة للإسلام و تطبيق شريعته، نسمعهم يرددون: أي إسلام نتبع؟ إسلام دولة كذا .. أو كذا.. إلخ، و الحق أن هذه كلها مناهج خاطئة مضللة في دراسة الإسلام، فالإسلام واحد لا يتعدد، أما الذي يتعدد فهو أفهام الناس و ما يكونونه من تصورات عن الإسلام و ما يحددونه لأنفسهم فيما يأخذونه منه وما يدعون وسواء أتم ذلك بحسن نية أو لخطأ في الاجتهاد، أو تم بسوء نية وخبث تخطيط، فإن الإسلام الحق يبقى واحداً بعيداً عن كل هذه التخليطات واضحاً في مصادره المحفوظة لمن أراد- بصدق و تجرد- أن يعرفه أو أن يكشف ضروب التشويه و التزييف التي ينسبها إليه المغالطون" [(١)].

الحركات الإسلامية و الخوارج :

ومن افتراءات المستشرق دكمجيان- زعمه أن الحركات الإسلامية تتأسى بالجماعات الإسلامية ذات الاجتهادات الخاصة مثل الخوارج في الفكر والأساليب الثورية، و هو بهذا يتناقض مع نفسه، فقد أثبت أن مصادر الفكر

(١) الأصولية في العالم العربي د/ ريتشارد دهريو دكمجيان ت/ عبد الوارث سعيد، تعليق للمترجم هامش ص ٤٧.

عند الحركات الإسلامية تتمثل القرآن وكتب السنة الستة، والخوارج وغيرها من الجماعات المتمردة لها في فكر يشذ عن الكتاب والسنة[1]، فكيف يجتمع المتضادان كمصدرين للفكر عند الحركات الإسلامية؟. و الحركات الإسلامية لا يوجـد عـلى جـدول أعمالهـا الخروج على الحكام، بدليل أن الحركات الإسـلامية تعيـش في البلاد العربية والإسلامية بل والأقليات في بلاد العالم المختـلفة فـي سـلام وأمان، يمارسون واجبات الدعوة الإسلامية بالحكمة والموعظـة الحسنة، يلتمسون طريق الإصلاح من القاعدة، لا بالخروج عن الحكـام، و إذا وجدت بعض الجماعات تتبنى فكر الخروج على الحكام، فهم قـلة شـاذة لا يقاس عليها، و من الجور أن يعمم فكر رجل أو جماعة على سائر التيار الإسلامي .

مشكلة مصطلح الأصولية :

رأينا كيف كثرت المصطلحات و المسميات التي أطلقت على الحركات الإسـلامية، مـثل الحركات الإرهابية أو المتطرفة أو الأصولية و غيرها، والمصـطلح الأخيـر هو الأكثر انتشاراً لا سيما في بلاد الغرب، فقد جرت عادة المستشرقين و ساسة الغرب إطلاق مصطلح الأصولية على أي ظاهرة دينية لا سيما الحركات الإسلامية، يقول جيل كيبل:" إن العادة جرت على أن نستخلص الأفكار وتصاغ المفاهيم المستخدمة لتفكير[2] ما يحدث في الخارج انطلاقـاً من دراسة الأديان الغربية، فحين ينظر إلى أحداث العالم الإسلامي

(1) الخـوارج هم: الذين خرجوا على الإمام على – رضي الله عنه – حين جرى أمر المحكمين اجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، وهم فرق يجمعهم القول: بالتبري من عثمان وعلى ــ رضي الله عنهما ــ ويقدمون ذلك على كل طاعة، ولا يصححون المناكحات إلا عـلى ذلك، ويكفرون أصحاب الكبائر، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقًا واجبًا. انظر الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ١٤٤ ــ ١١٥ ط عيسى البابي الحلبي.

(2) هكذا بالأصل وأظن أنها لتفسير.

مــن بــاريس أو نيويورك فإنما ترد إلي ما يسمي بالأصولية الإسلامية التي هــي-أي الأصــولية- تــرجمة لمصــطلح:intergrisme الفرنســي أو fundamentalism الإنجليزي[١][٢]

الأصولية ليس لها مقابل عربي :

إن مصطلح الأصولية نشأ في الغرب، و له مفهومه الخاص هناك، ومن الصــعب إيجــاد مقابل عربي له يطابق معناه في لغتهم، يقول دكتور مراد هوفمــان :" المصــطلح الغربي الأصولية.. ليس له مطابق في العربية لأنه مصطلح منحوت من أصل غربي، لكي يطلق على ظاهرة (غربية) معينة : و بمعنى أدق فإن هذا المصطلح (الأصولية)-أدبياً- استعمل أول الأمر لتمييز الأمــريكيين البروتســتانت في القرن التاسع عشر الذين أكدوا على عصمة الإنجيــل خاصة في قصة الخلق (حيث رفضوا النظرية الفجّة التي تطورت عن نظرية داروين في النشوء والارتقاء)[٣] وإذا كان هذا المصطلح ليس له مقــابل فــي الــلغة العربية، فإن إطلاقه على الحركات الإسلامية، لا يصف حقيقة الأمر، بل يعقد و يعوق فهم الغرب للحركات الإسلامية فهماً صحيحاً .

في معنى الأصولية :

وإذا كان المستشرقون يلتزمون مصطلح الأصولية "fundamentalism" في وصف الحركات الإسلامية، بل و يساوي بعضهم بين مصطلح "إسلامي" ومصطلح "أصولي" كما فعل ريتشارد هرير دكمجيان في دراسته "الأصولية في العالم العربي"، فإذا كان الأمر كذلك فكان علينا أن نتعرف على معنى هذا

(١) هكذا بالأصل والصحيح Integrisme.

(٢) يوم الله الحركات الأصولية في الأديان الثلاثة جيل كيبل ت/ نصير مروة ص ١١.

(٣) الإسلام كبديل د/ مراد هوفمان ت/ غريب محمد غريب ط : مجلة النور الكويتية ص : ١٠٧.

المصطلح، و كيف نشأ، وهل استخدام الغرب لهذا المصطلح يجعله يقف على حقيقة الصحوة الإسلامية؟ أما المعنى فإن الأصولية تعني الإيمان بعصمة الكتاب المقدس لأن نصه يعتبر عندهم تعبيراً حرفياً عن الحقيقة الآلهية فالأصولية هي: "مذهب العصمة الحرفية، وقد تبنت البروتستانية هذا المذهب في القرن العشرين، حيث التأكيد على صحة الكتاب المقدس، سواء العهد القديم أو العهد الجديد، وأن كل ما فيه معصوم من الخطأ في قضايا العقيدة و الأخلاق و التاريخ والمسائل الغيبية، بل وحتى الشئون السياسية وبخاصة النبوءات التي تشير إلى أحداث المستقبل "[١].

فالأصولية إذاً تعني أن العهدين القديم و الجديد معصومان من الخطأ والواجب الإيمان بما فيهما ولو كان الأمر يتعلق بالقضايا الدينية أو غيرها .

ومن ثم قام مفكرو الغرب بتطبيق هذا المعنى على الحركات الإسلامية المعاصرة يقول جيمس بيسكاتورى :" إذا ما طبقنا ذلك على الحركة الإسلامية المعاصرة لوجدنا أن المصطلح يتوافق مع المفاهيم التي تتبناها هذه الحركة بتفريعاتها المختلفة، سواء الإيمان بعصمة كل ما ورد في القرآن الكريم و الحتمية التاريخية المنبثقة من الرؤية الدينية الخاصة بالصراع الإسلامي ــ اليهودي وانتصار الجانب الإسلامي، و غير ذلك من النبوءات التي تتصل بشئون المستقبل تصب لصالح الدين الإسلامي "[٢].

هذا هو معنى الأصولية كما يراها المستشرقون، وواضح من النصوص السابقة أن المصطلح نشأ في الغرب، و طبقه المستشرقون على الحركات الإسلامية .

---

(١) الحركات الأصولية الإسلامية وأزمة الخليج ــ جيمس بيسكاتوري ت/ أحمد مبارك البغدادي ص ١٣.

(٢) المصدر السابق ص ١٣ ــ ١٤.

أما عن نشأة المصطلح و تاريخه في الغرب فنقول :

ظهـــر مصـــطلح الأصولية في بداية العقد الثاني من القرن العشرين- ١٩١٠- يقــول جــــيل كيــبل:" يــؤرخ للظهور العمومي لمصطلح سلفية أصولية (fundamentalism) على وجه العموم بسنوات العشرين و قد ظهر أثر نشر سلسلة من ١٢ مجلداً انطلاقاً من عام ١٩١٠ في الولايات المتحدة تحت عــنوان (الأصـــول) تضـــم تســـعين مقالة حررها اللاهوتيون البروتستانت المعارضــــون لكل تسوية أو حل وسط مع الحداثة المخيمة، و قد نشرت هذه السلســـلة التي موّلها شقيقان كلاهما من رجال الأعمال ، ووزعا منها ثلاثة ملايين نسخة مجاناً " (١)

أسباب نشأة مصطلح الأصولية :

إن الأديان السماوية في أصلها الصحيح تثبت الخلق لله الواحد القهار، و لا دخل لغيره سبحانه في الخلق و الإيجاد إلا أن تطور العلم التجريبي، جعل العلماء التجريبيين بعد البحث والتدقيق و الملاحظة و التجربة ينكرون نظرية الخلق الإلهي !

و يقولـــون بـــتطور الأجـــناس، كالتطور عن الخلية البسيطة، و تطور الإنسان عن أصل قرد، و ما دفع اللاهوتيين إلا أنهم رأوا هذا الهراء يدرس لطـــلاب الثانوية، فقدم الأستاذ جون.ت.سكوبس إلى المحاكمة لأن عمله هذا يخـــالف قوانيـــن الولاية التي يعمل بها، يقول جيل كيبل:" إن ما أدخل سلفية (أصولية) في المصطلحات الأمريكية الجارية و أعطاها في ذات الحين دلالة مختـــلفاً عـــليها هو(قضية سكوبس). فقد كان جون .ت.سكوبس ، أستاذ علم

(١) يوم الله الحركات الأصولية في الأديان الثلاثة جيل كيبل ت/ نصير مروة: ص ١١٨ ــ ١١٩.

الحياة ، شاباً يعمل في ثانوية حكومية في ولاية تينس،واستخدم في التدريس كتاباً يرجع و يميل إلى تطورية الأجناس، وهو أمر كان ينتهك قوانين الولاية التي كانت تحظر تعليم (كل نظرية تنكر رواية الخلق الإلهي للإنسان) ،وقدم الأستاذ للمحاكمة عام ١٩٢٥م لكن قضيته أصبحت قضية الثقافة الأصولية الدنيا الأمريكية "[١] .

ويبدوا أن الصحافة حينئذ شنت حملة على اللاهوتيين وأدلتهم ، ووجد سكوبس نخبة من المثقفين والعلماء، تقف معه وتدعم رأيه! يقول جيل كيبل :"وقد وهزها الوصف الذي قدمته الصحافة حينها للحجج الفظة التي استخدمها معارضوا سكوبس، و بالمقابل فإن أعضاء بارزين من النخبة المثقفة و العلمية لتلك الحقبة شهدت لصالح هذا الأخير "[٢]

هكذا فإن الأصولية كمصطلح له مفهومه الخاص نشأ في أمريكا بسبب إنكار الخلق الإلهي للإنسان و القول بتطور الأجناس، مما دفع اللاهوتيين إلى كتابة "الأصول" لإثبات نظرية الخلق الإلهي بالحجج و البراهين، إن استخدام الغرب لمصطلح مثل هذا لا يجعله يقف على ماهية الصحوة الإسلامية خاصة بعد أن عرفنا قصة نشأة هذا المصطلح .

انتشار الإسلام بالسيف :

كان الإسلام متهماً دائماً ولا يزال بأنه فرض بالسيف و أن المسلمين يحبون سفك الدماء مع أن القرآن يفرض على امتداد آياته السلم أو السلام، ولا يسمح بالقتال أو الحروب إلا دفاعاً عن النفس و الأهل و غير ذلك مما لا

([١]) يوم الله الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث. جيل كيبل ت/ نصير مروة ص ١١٩.

([٢]) المرجع السابق ص ١١٩.

يعــد عدواناً، بل رداً لعدوان المعتدي وإن أولى الآيات في هذا الصدد الآية التاســعة و الثلاثون من سورة الحج ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ(٣٩)﴾ ثم تلت ذلك الآية المائة و التسعون من سورة البقرة ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ(١٩٠)﴾ بــل إن القرآن بعد أمره للمؤمــنين ألا يعــتدوا عقب في الآية التالية ١٩١ مواصلاً الحديث عن دفع المعتدين البادئين ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ وحــتى لا تبقى هناك زيادة لمستزيد، نجد أن القرآن يستوصي خيراً بغيــر المسلمين المسالمين، كما نصت الآية الثامنة من سورة الممتحنة ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(٨)﴾ .

مــن الهراء.. أن يزعم زاعم بعد ذلك أن القرآن متعارض مع نصوصه عــن سلوك المؤمنين و معاملاتهم في الحروب، و من الهراء السخيف كذلك تصــور القرآن.. يطلب إلى المسلمين أن يتعقبوا غير المسلمين.. ليذبحوهم ذبحــاً ويقتــلوهم حيث ثقفوهم متعطشين لسفك الدماء،أثناء السلام.. أو يأمر المسلمين بالجهاد ليجبروا الجماهير من غير المسلمين على اعتناق الإسلام، بينما القرآن يرفض أساساً استخدام العنف أو نحوه لإكراه غير المسلمين على اعتناق الإسلام أليس هو القائل في الآية السادسة والخمسين بعد المائتين من سورة البقرة ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[1].

"إن كــلمة مســلم و المؤنث مسلمة أسم فاعل مشتق من الفعل أسلم أما حروفه المجردة هي (س ل م) فتعني السلم والسلامة، وكذلك التسليم لله، الذي

(١) الإسلام كبديل د/ مراد هوفمان ص١٣٣ ــ ١٣٤ من الآية ١٥٦ سورة البقرة.

تفيــده الأفعــال المــزيدة من سلم وسلم.. فالمسلم على هذا يلتمس السلامة والتســليم لله، و القرآن يؤكد هذا المعنى مراراً وتكراراً [١].. ويعرف يوحنا سكولوفســكي إس جي الإسلام تعريفاً صادقاً مثالياً إلى المادة اللغوية بقوله : "إنـــه الإســلام الــذي يدعو إلى السلام و السلامة لا يضار أحد في نفسه أو صحته أو ماله أو غير ذلك.. "[٢].

لذلك كان السلام منتشراً في أرجاء المعمورة في ظل الدولة الإسلامية، إنطلاقــاً من هذه المفاهيم، وبرغم قوة الدولة الإسلامية ــ قديماً ــ لم يحدث مــن المسلمين حروب بربرية أو عدوان أو بغي وظلم للدولة الضعيفة. يقول الدكــتور مــراد هوفمان: إن الإسلام "لم يعرف حتى إبان سطوته واتساعه، الحــروب العدوانيــة البربرية التي شنتها القوى و الدول غير الإسلامية في غزوها للعالم، و أن الفتوحات الإسلامية التي عرفها عصر الرسول وما تلاه مباشرة، لم تتم كما يزعم أعداء الإسلام بحد السيف.. .. هذا وإن النبي ﷺ قد حــرص عــلى التنبيه على أمراء الغزوات و جندهم ألا يغلوا أو يغدروا ول ايمثلوا ولا يقتلوا وليداً أو امرأة ، وذلك في سورة المعركة أو بعدها فقد كانت هــذه الغــزوات و السرايا و غيرها تنطلق من الموقف الدفاعي الذي يبرره القرآن، لا الموقف العدواني .. وإنه لمن الثابت المتواتر تاريخيًا أن مكة هي التي بدأت بشن الحرب على النبى وعلى المسلمين الأوائل[٣].

الغرب لا يفهم معنى الجهاد :

و ممــا ســاعد عــلى اتهام المسلمين بحب الحروب وسفك الدماء، أن

---

(١) المصدر السابق ص ٣٩.

(٢) السابق نقلاً عن السلام والإسلام في مجلة الفكر والحياة عام ١٩٨٣ عدد: ١٤٥/٢.

(٣) المصدر السابق ص ٢٣٥.

الغــرب لا يفهــم الجهاد فهماً صحيحاً بناء على الترجمة الخاطئة للكلمة إلى الحــرب المقدســة، فالجهــاد مصطلح له مفهومه الواسع تقول الدكتورة (أنا مــاري شــمل):"حقــاً إن المرء عدو ما يجهل.. .. ذلك أن المرء إذا حاول الــرجوع إلى جذور الحضارة التي يجهلها، يتكشف له الكثير ويصبح قريباً إلى الفهــم: حينئذ يتبين الغربي أن مصطلح (الحرب المقدسة) الذي استهلك باستخدام وسائل الإعلام له بإلحاح في السنتين الأخريين، مصطلح لا علاقة له بالإسلام، ولا يمت من قريب أو بعيد لمصطلح (الجهاد) بصلة، و إنما هو مصــطلح مــن مخلفات الحروب الصليبية، أما (الجهاد) فكلمة عربية تعني حرفياً لغوياً: النصب و السعي الدائب، ويعني دينياً الجهاد في سبيل الله بالذود عــن الدين دفاعاً لا عدواناً واعتداءً باغياً، و إذا لزم الأمر فالجهاد مشروع لنشر دين الله. و لكن الجهاد يعني أيضًا (جهاد النفس) حيث يسعى المسلم إلى جهاد ضعفه شخصياً أياً كانت صورة هذا الضعف "[1].

مع العلم أن الإسلام كان دائماً كان المعتدى عليه " وشهادة التاريخ أثبتت أن الإســلام كان دائماً هو المعتدى عليه منذ عهد أبي لهب إلى عصرنا هذا فكيف يحق للمعتدي أن يحمل السلاح للعدوان ولا يحق للمعتدى عليه أن يرد العدوان "[2].

حقيقة الفتوحات الإسلامية :

ربمــا يخفى على بعض الناس أن كثيراً من بلاد العالم دخلها المسلمون بغيــر حروب، عن طريق التجار أو سلمياً، يقول دكتور مراد هوفمان:" لابد

---

(١) الإسلام كبديل د/ مراد هوفمان ص ١٥ من مقدمة : أ. د/ أنا ماري شمل.

(٢) الإسلام والغرب ـــ محمد الخير عبد القادر ص ٢٠٤ ـــ ٢٠٥ هامش.

أن نشـــير إلى أن الإســـلام دخل في القرن الحادي عشر، دون حد السيف، الســنغال ومالي وتشاد، ولا يزال ينتشر سلمياً في مناطق أخرى.. .. "[١] إن الســيف لــم يعمل في انتشار هذا الدين إلا القليل مما عمله الإقناع و القدوة الحســنة، فــإن البلاد التي قلت فيها حروب الإسلام هي البلاد التي يقيم فيها اليوم أكثر مسلمي العالم وهي بلاد إندونيسية والهند والصين وسواحل القارة الأفــريقية ومــا يليها من سهول الصحاري الواسعة، فإن عدد المسلمين فيها قريب من ثلاثمائة مليون، ولم يقع فيها من الحروب بين المسلمين وأبناء تلك الــبلاد إلا القــليل الذي لا يجدي في تحويل الآلاف عن دينهم بل الملايين ، ونقارن بين هذه البلاد والبلاد التي اتجهت إليها غزوات المسلمين لأول مرة في صدر الدعوة الإسلامية: وهي بلاد العراق والشام، فإن عدد المسلمين فيها اليوم قلما يزيد على عشرة ملايين يعيش بينهم من اختاروا البقاء على دينهم من المسيحيين واليهود والوثنيين، وإذا قارنا بين البلاد التي قامت فيها الدولة الإسلامية والبلاد التي قامت فيها الدول المسيحية من القارة الأوروبية فلم يبق فــي هذه القارة أحد على دينه الأول قبل دخول المسيحية، وقد أقام المسلمون قروناً في الأندلس وخرجوا منها وأبناؤها اليوم كلهم مسيحيون .."[٢].

سر الانتصار :

لكــن ألــم يسأل الغرب نفسه كيف تمكن المسلمون من فتح بلاد كثيرة شــرقاً وغرباً مع قلة عددهم وعتادهم ؟ إن إسلام شعوب هذه البلاد هو الذي ســاعد على فتحها فما كانت " تلك الفئة المسلمة القليلة العدد والعدة ما كانت لتستطيع فتح تلك الأقطار و الممالك الشاسعة، لو لم تدخل شعوبها في الإسلام

(١) الإسلام كبديل د/ مراد هوفمان ص ٢٢.
(٢) مايقال عن الإسلام. عباس محمود العقاد ص ١٢٨ بتصرف.

أفواجاً، لقد كانت ثمة أسباب أو حوافز مختلفة لاعتناق تلك الشعوب الإسلام، لكــن واحــدًا منها بعينه على جانب عظيم الأهمية، وإن لم يتفق مع مفاهيم الغــرب المسيحي ولم يناسبها أو يتملقها: ألا وهو اعتناق كثير من النصارى أنفســهم للإسلام ، نعني الهراطقة الخارجين على إجماع الكنيسة الغربي من نصــارى المغــرب و المشــرق العــربيين، ومــنهم النصارى المعروفون بالإريسيين والدوناتيين، فقد اعتنقوا الإسلام لأنه يتفق مع اعتقادهم في رفض الطبيعة الإلهية للمسيح ورفض التثليث [١].

المسلمون يخلصون الشعوب من الظلم

إن المسلمين وهم يجوبون مشارق الأرض ومغاربها مجاهدين في سبيل الله، رفعــوا الظـــلم عـــن كثير من الناس فقد سجل التاريخ أن المسلمين في فــتوحاتهم خلصـــوا شـــعوب العـــالم من ظلم الحكومات الجائرة، واطمأنت الشــعوب لهـــم لتســـامحهم وعدالتهم يقول توماس أرنولد:"ولما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن وعسكر أبو عبيدة في فحل، كتب الأهالي المسيحيون فـــي هـــذه البلاد إلى العرب يقولون: يا معشر المسلمون أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا ."[٢].

ويســـتطرد أرنولـــد قائلاً :" وغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هـــرقل، وأبـــلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم ."[٣].

---

(١) الإسلام كبديل د/ مراد هوفمان ، ص ٢٢.

(٢) الإسلام والغرب محمد الخير عبد القادر ص ٢٠٦ نقلاً عن الدعوة إلى الإسلام ـــ توماس أرنولد ص ٧٣ ـــ ٧٤.

(٣) المرجع السابق.

وفــي موضــع آخــر يقول أرنولد:" أما ولايات الدول البيزنطية التي ســرعان ما استولى عليها المسلمون ببسالتهم فقد وجدت أنها تنعم بحالة من التســامح لــم تعــرفها طــوال قرون كثيرة بسبب ما شاع بينهم من الآراء اليعقوبيــة والنسطورية فقد سمح لهم أن يؤدوا شعائر دينهم دون أن يتعرض لهم أحد."[١].

ويقول أرنولد عن الإسلام في شرقي أوربا :

"أصبح الدين الإسلامي في ذلك الحين، أي عصر الدولة العثمانية، الملجأ الطــبيعي لأفــراد الكنيســة الشرقية.. .. وإن كثيراً من الأمراء البيزنطيين وغيــرهم انحازوا إلى صفوف المسلمين ووجدوا منهم ترحاباً كبيراً."[٢]. لقد كــانت بعض الشعوب تستغيث بمواكب الفتح كما حدث في أسبانيا، وبعضهم ينضم مقاتلاً مع جيش المسلمين ضد النظم التي كانوا يخضعون لها كما حدث فــي مصر التي خلّص الفتح الإسلامي لها أهلها القبط من كابوس الرومان، وأعــاد لهم حرياتهم الدينية ، وقضى على نظام الإتاوات الباهظة التي كان يفرضها الرومان على أقباط مصر، وقد أعاد المسلمون راعي الكنيسة الأكبر "بــنيامين" إلى منصــبه الديني الكبير ورعايته لأهل دينه بعد أن ظل مختفياً سنين خوفاً من بطش الرومان الذين اعتنقوا النصرانية خداعاً للجماهير.[٣]

فمَــنْ مِــنْ جيــوش العالم فعل مثلما فعل المسلمون ألا يدل ذلك على

( ) الإسلام والغرب محمد الخير عبد القادر ص ٢٠٦ نقلاً عن الدعوة إلى الإسلام ـــ توماس أرنولد ص ٧٣ ـــ ٧٤.

( ) المصدر السابق ١٨٦ ـــ ١٨٧.

( ) إفتراء المستشرقين على الإسلام د/ عبد العظيم المطعني ص ٧٣. ط مكتبة وهبة.

سماحة وعدالة المسلمين، وأن الجهاد في سبيل الله قام لتحقيق مصالح الناس كافــة ولم يكن الغرض منه تحقيق منافع ومصالح للمسلمين من أجل ذلك لم يسفكوا الدماء ولم ينهبوا الثروات .

العدالة المثالية :

سمرقند :

ومما يدل على أن المسلمين ليسوا من محبي حروب أو سفك الدماء، ولم تكن خيرات البلاد المفتوحة وثرواتها هدفاً لهم ما حدث بعد فتح سمرقند.

يقول الشيخ محمد الخضري :

إن أهــل ســمرقند قالوا لعاملهم سليمان أبي السرح: إن قتيبة غدر بنا وظلمــنا، وأخذ بلادنا وقد أظهر الله العدل والإنصاف فأذن لهم فوجهوا منهم قومــاً إلى عمــر فــلما علم عمر ظلامتهم كتب إلى سليمان يقول: إن أهل ســمرقند قد شكوا ظلمًا أصابهم، وتحاملاً من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي فلينظر في أمرهم فإن قضى لهم فأخــرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن أظهر عليهم قتيبة، فأجلس لهــم ســليمان جميع بن حاضر القاضي فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينابذوهم على سواء فيكون صلحاً جديداً أو ظفراً عنوة[1]، وسارع الوالي بإعلام الخليفة بالحكم، فجاءه الرد بتنفيذ الحكم، وصدر الأمر للمسلمين بالــرحيل، وبيــنما الجيــش يجمــع أسلحته وأمتعته ويفك مخيماته، وبينما المســلمون يودعون أهل سمرقند يحزمون أمتعتهم ويعلنون بيع أملاكهم فيها

---

(١) تاريخ الدولة الأموية. الشيخ محمد الخضري بك ص ٤٦٧ ـــ ٤٦٨ . ط دار الكتاب الحديث.

إذا وفد أهل سمرقند يجيء إلى الوالي ويبلغه أنهم تشاوروا فيما بينهم بعد هذا الحكم العادل الذي ما كانوا يتوقعونه، من قاض لا تتحكم فيه عصبيته لقومه ولا يقيم لها وزناً واعتباراً وبعدما شاهدوا من حسن المعاملة وبعد هذا كله أصبح لا يسعهم إلا أن يعلنوا تنازلهم عن حقهم والمطالبة ببقاء الحال على ما هو عليه لأنهم لن يخشوا بعد اليوم غدراً أو ضيراً ينالهم .[١].

نماذج من الاستعمار الغربي قديماً :

وإذا كنا قد قرأنا بعض صفحات التاريخ عن الفتوحات الإسلامية كان لزاماً علينا أن نطلع على بعض صفحات التاريخ الأخرى لنقف على حقيقة الحملات الصليبية والاستعمار الغربي : فأثناء الحملات الصليبية، كان المسلمون يعاملون نصارى الغرب المحاربين لهم معاملة حسنة برغم المذابح التي صنعتها الجيوش الصليبية، وتركت هذه المعاملة الطيبة أكبر الأثر على الغزاة حتى أن بعضهم عندما عاد لبلاده كتب رسالة للسلطان الكامل في مصر معبراً فيها عن شكره وامتنانه ، تقول المستشرقة زيجريد هونكة : "الجدير بالذكر أن أحد الألمان بالذات، وبعد عودته من الحملة الصليبية إلى بلاد الراين، تاقت نفسه للإعراب عن امتنانه وتأثره، فكتب رسالة إلى السلطان الكامل في مصر البعيدة :

(بعد ذبح شعب دمياط بكامله بناء على أوامر مبعوثي البابا من الكرادلة، وذلك عند احتلال حصن دلتا النيل طال أمد القتال من أجله، تأثر عالم اللاهوت الألماني أوليفرس Oliverus من كولونيا باكتشافه الفروسية العربية للسلطان الكامل رغم جميع الفظائع المعهودة من جانب المسيحيين، واعتبرها

(١) مقال الأستاذ أحمد عبد المنعم البهي في مجلة العربي عدد ٨٦ بتصرف.

تجـربة حظ عصية على الفهم فكتب في عام ١٢٢١ إلى السلطان الكامل ، صـديق القيصـر فـريدريك الثاني، إن السلطان الكامل لم يلجأ إلى الانتقام ويواجه العمل بمثله، بل كان يرسل في كل يوم ولمدة أربعة أيام إلى الجيش المسيحي، الذي عانى الأيام من المجاعة، ثلاثين ألف رغيف من الخبز ومواد غذائيـة أخرى وجاء في الرسالة: ".. منذ أقدم العصور لم يسمع المرء بمثل هـذا المعروف الطيب يصدر عن مجموعة من الأعداء مع أسراهم، وعندما أوقعـنا الله أسـرى بين يديك عرفناك أباً في جودك وكرمك وعوناً في كل خطر، ولم نعرفك طاغياً أو مستبداً، من يستطيع أن يشك أن مثل هذه الطيبة والخير والصداقة والرأفة منطلقة من الله، فالرجال الذين قتلنا آباءهم وبناتهم وأشـقاءهم وأخواتهم بلا شفقة ولا رحمة، قد أعادوا البهجة إلى حياتنا عندما كـنا عـلى وشـك الموت من الجوع، فزودونا بطعامهم الخاص وعاملونا بإحسـان، وقدمـوا إلينا الكثير من المعروف، بينما كنا أسرى تحت سلطتهم وحكمهم")[1] .

تسامح المسلمين وغدر جيوش الغرب :

هـذه المعـاملات الحسـنة التي ظهرت من المسلمين أثناء الحملات الصليبية لم تقابل بالمثل من الغرب، بل كانوا يعاملون أسرى المسلمين بقسوة ووحشية لا مثيل لها. تقول زيجريد هونكه [2]:

" أما الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد صاحب الشأن العظيم .. فقد كان في حوزته ثلاثة آلاف أسير عربي ضمن لهم حياتهم، ثم ما لبث أن أمر

---

(١) الله ليس كما يزعم الغرب: زيجريد هونكة. ت/ نوال حنبلي ص ٣٥

(٢) المصدر السابق ص ٣٦.

بقتـــلهم فجـــأة، نـــتيجة مزاجه الخاص- ثم نهج نهجه قائد الجيش الفرنسي، وضـــحى بســـمعته وثمار انتصاره بمثل هذه الجرائم النكراء، وأما السلطان صـــلاح الديـــن فلم ينتقم في حال من الأحوال من الأسرى المسيحيين الذين كـــانوا فـــي قبضته، وبذلك ألحق العار بقادة الجيش المسيحي الذين انقضوا العهد وأظهروا قسوة ووحشية بلا حدود".

ومثال آخر تظهر منه رحمة المسلمين ورأفتهم أمام قسوة وظلم الغرب وعدوانـــه على المسلمين فتتحدث زيجريد هونكة عن السلطان صلاح الدين والتزامه بالعهود وتسامحه ورحمته فتقول :

" .. عندما استلم مدينة القدس، التي سبق الفرسان الصليب أن انتزعوها من خلال ارتكاب مجازر دموية بلغت الحد الأقصى من الوحشية، لقد واجه السلطان الشر بالخير، وقدم أمثلة ملموسة على شهامته وفروسيته في معاملة الســـكان المسيحيين، ولم ينتقم من تلك الجرائم الرهيبة، بل واجهها بإحساسه الإنساني " [١].

ومـــا حدث من الحملات الصليبية عند احتلال القدس أمر تعجز الألسنة والأقـــلام عن وصفه، من هول ما حدث، مما يدل على أن التسامح في مثل هـــذه الظـــروف ليس تصنعاً ليتحدث الناس عنه أو تردده وسائل الإعلام أو ليســـطر فـــي الـــتاريخ، بل هو خلق وسجية تنم عن إيمان عميق بالله تعالى ورســـالته الخالدة، فمصادر التاريخ المختلفة سطرت ما حدث يقول د/ فيليب حتى :

"كـــانت الحمـــلة الصليبية آنئذ تبلغ نحواً من أربعين ألف مقاتل نصفهم

( ) المصدر السابق ص ٣٦..

تقريـباً مـن الجنود النظاميين، أما الحامية المصرية فتقدر بنحو ألف رجل، وبعـد حصـار ألقاه على المدينة غود فري دويمند وتنكرد استمر شهراً من الزمان ، أطبقوا عليها (١٥ تموز) وفتكوا بأهلها على اختلاف السن والجنس، بلا تمييز ولا مراعاة، وفي أحد المصادر العربية أن عدد الضحايا بلغوا نحواً مـن ٧٠ ألفـاً، وقدره مصدر أرمني بـ ٦٥ ألفاً ، ويذكر مصدر لاتيني أن الـنظر يقع على أكوام من الرؤوس والأيدي والأقدام في الطرق والساحات العامة "[١].

ويقول بونداريفسكي :" وتدل أخبار (أعمال الإفرنج) أن المقاتلين المسلمين قد دافعوا بعناد بالغ عن واحد من أعظم مقدسات الإسلام ـ جامع عمر ـ وبعد اسـتيلاء الصليبيين على الجامع (غرق) الجامع كله، كما كتب مدون الأخبار (بـدم المسـلمين) ويؤكـد المؤلف ذاته أن أجساد المسلمين القتلى من سكان القـدس، قـد كوموهـا أكوامـاً بعلو مباني المدينة، وفي الختام اضطر إلى الاعـتراف بقولـه :" قبل ذلك لم يروا ولم يسمعوا يوماً في الشرق بمجزرة دموية بهذا القدر ."[٢].

( ) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين/ فليب حتي. ت / كمال اليازجي ص ٢٢٨ ــ ٢٢٩. دار الثقافة بيروت

( ) الغرب ضد العالم الإسلامي بوندار يفسكي ص ٥. ط دار التقدم ــ الاتحاد السوفيتي.

نماذج من تعدي الغرب على العالم الإسلامي حديثاً

ولقــد شـــهد العصـــر الحديــث نماذج من تعدي الغرب وعدوانه على المســلمين، إبان الاستعمار الغربي على البلاد العربية والإسلامية في الثلاثة قــرون الماضية . يقول بونداريفسكي: إن هدف الاستعمار الغربي كان نهب ثــروات الشعوب من معادن وتوابل وزروع ومصنوعات ولم يكن لاكتشاف طرق بحرية جديدة كما يدعي الغرب :" أما السبب الرئيسي للبعثات البحرية العديــدة التي أسفرت عن هذه الاكتشافات وعن اكتشافات أقل شأناً، فقد كان ســعى الأوســاط الحاكمة في أوروبا الغربية والرأسمالية التجاري الذي كان يقــوى أكــثر فأكــثر إلى فرض الرقابة المباشرة على تجارة توابل الشرق ومصنوعاته ثم إلى الحصول على المعادن النفيسة.[١]

ويتحدث عن عنف حملات الاستعمار تجاه المسلمين فيقول : لقد "أمر باني الامبراطورية الاستعمارية البرتغالية الأميرال البوكركه بالاستيلاء على جميــع الســفن الــتي تــنقل الحجــاج المنطلقين من آسيا الجنوبية الشرقية وهندوستان وأفريقيا الشرقية إلى مكة وإغراق المسلمين أو حرقهم أو رميهم في خواب ضخمة مليئة بالزيت المغلي ."[٢].

---

(١) الغرب ضد العالم الإسلامي بونداريفسكي ص ٨.

(٢) المرجع السابق.

ويتحدث عما فعله الغزاة البرتغاليون فيقول: "وقد دمر الغزاة البرتغاليون الجوامـــع فـــي أغلبية مدن أفريقيا الشرقية وحوض الخليج العربي والساحل الغربي من هندوستان وفي ملقة، وسعيًا لفرض المسيحية بالعنف على مسلمي آسيا، قضى الأساقفة الكاثوليك من البرتغال على قيم الإسلام الثقافية والدينية وألحقوا خسارة فادحة جدًا بالحضارة الإسلامية"[١].

ويقـــول: "فـــي القـــرنين السادس عشر والسابع عشر، ظهر في أفريقيا الشـــرقية وحـــوض المحيـــط الهندي وآسيا الجنوبية وآسيا الجنوبية الشرقية الباحـــثون عن الربح الفرنسيون والهولنديون والإنجليز (بناة) الإمبراطورية الإستعمارية، وكانوا يسترون الفتوحات الدموية، ونهب المدن المزدهرة نهبًا وحشـــيًا، والقضـــاء على القيم المادية والثقافية في الدول الإسلامية بمزاعم كاذبـــة عن السعي، لا إلا نشر المسيحية وحسب، بل أيضًا إلى النضال ضد النخاسة[٢]. فالاستعمار إلى جانب نهب الثروات يسعى لهدم الحضارات والقيم والأخلاق والقضاء على الثقافة الإسلامية.

وامتدت يد الغرب لتنال من المسلمين في الهند، وتوقع بهم صورًا فظيعة من العذاب والنكال، وهذه بعض أعمال اللستعمار البرتغالي في الهند:

يقـــول بونداريفسكي: "وفي سنة ١٥٠٢ ظهر فاسكو داغاما للمرة الثانية فـــي كـــاليكوت، وهذه المرة كان يحمل لقبًا فخمًا طنانًا، لقب (أميرال البحر الهـــندي) وكـــان أسطوله يتألف من ١٥ سفينة، في البدء قصف البرتغاليون كـــاليكوت بالمدافع وأحرقوا قصر الحاكم، وكذلك قطعوا أيدي رجال البحارة

(١) المصدر السابق ٩.

(٢) السابق.

المسلمين الذين قبضوا عليهم عند مشارف جون المدينة (على سبيل التخويف)[١].

وقد قام الأميرال البوكركه بإرسال تقرير إلى الملك مانويل يحكي فيه عن كيفية االإستيلاء على غوا فقال في تقريره: "إن جنوده وبحارته أبادوا جميع المسلمين حيثما كانوا، أما الذين لم يقطعوا رؤوسهم فقد ساقوهم إلى الجوامع ثم أحرقوهم"[٢].

وقد قام الجيش الإنجليزي بإبادة كثير من المسلمين عند الهجوم على السودان لإخضاعها لسيطرته وإخماد الحركة المهدية التي قادت حركة الجهاد ضد الاستعمار في ٢ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٨ اقترب جيش كيتشنر من عاصمة الدولة المهدية، مدينة أم درمان وهناك جرت معركة عامة استخدم فيها المستعمرون البريطانيون الرشاشات والمدافع السريعة الطلقات من طراز (هوتشكيس) فأبادوا أكثر من ٢٠ ألف من الجنود المهديين الذين كانوا يهاجمون الرشاشات والمواقع صفوفًا متراصة مزدرين الموت، واستولى المعتدون على أم درمان وأهانوا ودنسوا قبر المهدي الذي كان يجله ملايين المسلمين بعيدًا خارج السودان، ونثروا رفاته في الريح نظرًا لبالغ خوف الإمبرياليين حتى أمام المهدي ميتًا"[٣]. هكذا فإن الاستعمار الغربي لا يراعى حرمات الموتى فلا حقوق للإنسان المسلم حيًا كان أو ميتًا.

وقد قام الاستعمار الفرنسي بالإبادة والتنكيل الدموي في البلاد الأفريقية وهذه إنجازات إحدى فصائله: "فقد اقترفت فصيلة (فوله وشانوان) في

(١) السابق ص ١٦.

(٢) السابق ص ٢٣.

(٣) السابق ص ٩٧.

زحفهمـــا مـــن الـــنيجر إلى الشـــرق جرائم فظيعة، فقد قتلت بوحشية آلاف الأفريقيين وأحرقت عشرات المقامات السكنية وأبادت المواشي والمزروعات وبـــناء على أمر (فولة) كان على جنود الفصيلة أن يقدموا كل مساء، كدليل على مآثرهم الأيدي المفصولة عن جثث الأفارقة المقتولين"[١].

هـــذه المذابح التي نصبها الغرب لكثير من بلاد العالم تحدث على الرغم من أن المسيحية تحرم القتل وسفك الدماء، تقول الدكتورة زينب عبد العزيز: "وعلى الرغم من أن الديانة المسيحية تنص صراحة في وصاياها (ولن تقتل أبدًا) ذلك لأن الذي يتم قتله هو مخلوق من مخلوقات الله وجزء من نوره إلا أن تـــاريخ الغرب مثقل بأنهار من الدماء التي انسابت باسم الدين حينًا وباسم الـــتطهير العـــرقي.. ــ وقـــد ســـجل التاريخ ــ مجازر الحروب الصليبية والحروب الطائفية أو اغتيالات عصر الرعب أيام الثورة الفرنسية.. والإبادة الجماعيـــة الـــتي يزخـــر بها تاريخ الاستعمار في القارة الأمريكية والقارة الاسترالية أو في غزوه للقارة الأفريقية واحتلاله لجزء كبير من آسيا، فكلها مذابـــح تمت في الماضي، وإن كان بعضها لما يزل قائمًا، فهي برمتها تمثل أكـــبر عمـــليات جماعية في التاريخ.. .. (ولقد كانت الإبادة مستمرة تتم في وضـــح النهار، مع مباركة كافة الكنائس) (روجيه كاريتاني Caritani R قوة الضعفاء ص ٢٧).

ووصلت الغارة على العالم الإسلامي ذروتها قديمًا ــ في محاكم التفتيش التي قامت أساسًا لإبادة المسلمين العرب في جنوب أوروبا وأسبانيا والبرتغال بحيـــث لم يبق مسلم واحد، لذا فإن ما يدور حاليًا من محاصرة الإسلام على

(١) السابق ص ٩٩ ــ ١٠٠.

الصـــعيد العـــالمي إنمـــا هو عود لبدء لم يتوقف[1]. ويبدو أن الذين عرفوا المســـيحية لم تعجبهم الدعوة إلى حقن الدماء، فألفوا من النصوص ما يوافق أهواءهم لسفك الدماء.

فماذا يقول النصاري في "الآية المنسوبة للمسيح، الواردة في إنجيل متى الأصـــحاح العاشر رقم ٢٤ وما بعدها (لا تظنوا أني جئت لألقي سلامًا على الأرض، مـــا جئت لألقي سلامًا بل سيفًا.. ..) إنها دعوة صريحة تستند إليها المســـيحية لشن الحروب التي لا تبقي ولا تذر"[2]، أليست هذه الآية المنسوبة للمسيح عليه السلام دعوة صريحة لسفك الدماء والقتال.

مذابح الغرب تجاه نصارى الشرق

بـــل إن الغرب أثناء حروبه الصليبية وبعدها بقى على نصارى الشرق ودمرهم يقول الدكتور مراد هوفمان: "أما حد السيف البتار كما يحلو للغرب دائمًـــا تـــرديده، فقد ذاقه البيزنطيون أنفسهم على يد المسيحيين اللاتين إبان احتلال القسطنطينية عام ١٢٠٤م[3].

وتؤكد المستشرقة زيجريد هونكة على أن نصارى الشرق في هذه الفترة الزمـــنية العصـــيبة كـــانوا يصفون المسلمين بأنهم طيبون رحماء، فتقول: "وعندما سفك الصليبيون في عام ١٢٠٤ دماء إخوتهم في العقيدة في بيزنطة قال نيكيتاس في أنين: "حتى الساراسانيون (المحمديون) طيبون ورحماء، إذا

(١) محاصرة وإبادة موقف الغرب من الإسلام د/ زينب عبد العزيز ص ١٧٨ بتصرف.

(٢) الإسلام كبديل د/ مراد هوفمان ت. د/ غريب محمد غريب ص ٢٣٣.

(٣) المصدر السابق ص ٢٣.

قورنوا بهؤلاء الناس الذين يحملون صليب المسيح على أكتافهم"[١].

الاستعمار وإثارة النزاعات:

لقد سلك الاستعمار أخبث الطرق ليوطد أقدامه في البلاد المستعمرة فلكي تحكم سيطرة الاستعمار الغربي على بلاد المسلمين بادروا بإشاعة الفرقة بين الـــدول المختـــلفة، وإثـــارة النزاعات العرقية والدينية، وقاموا بتقطيع بعض البـــلدان إلى أجـــزاء منفصـــلة عـــن بعضـــها، يقول بونداريفسكسي: "هدم المستعمرون الإنجليز امبراطورية المغول العظام، وشنوا حروب الفتح ثلاث مرات ضد أفغانستان، وفصلوا منها قسمها الشرقي، وشنوا حروب الفتح ضد إيـــران، وقسموا قوم البيلوجي إلى ثلاثة أقسام واستثاروا الحروب بين إيران وأفغانستان بين تركيا وإيران وحاولوا فصل خوزستان عن إيران، واستعبدوا بـــلدانًا عـــربية كثيرة سنوات وسنوات، بعد الحرب العالمية الأولى، فرضوا الحمايـــة عـــلى فلســـطين وأعلنوا إنشاء (وطن قومي يهودي) في فلسطين، وســـاعدوا بجميـــع الوسائل هجرة اليهود بالجملة، وضمنوا بالتالي المقدمات لأجـــل تأســـيس إسرائيل مع كل ما تبع ذلك من عواقب وخيمة فاجعة على شعوب الشرق..

وفـــي ١٨٦٠ ــ ١٨٦١م احتـــلت القوات الفرنسية بيروت وضواحيها بحجـــة حمايـــة المســـيحيين مـــن أعمـــال القمع الإسلامي، وتحت ضغط المســـتعمرين الفرنســـيين، اضـــطر حكام الامبراطورية العثمانية إلى تقسيم أراضي لبنان إلى قائمقاميتين ــ درزية ومارونية ــ. وكان القصد من تقسيم البـــلد على أساس ديني أن يحول دون نمو الوعي الذاتي الوطني عند عرب

(١) الله ليس كما يزعم الغرب زيجريد هونكة ت/ نوال حنبلي ص ٣٦.

المشـــرق وأن يســـهل استعباد البلد من قبل فرنسا. واليوم أيضًا يعاني شعب لبـــنان المعـــذب من العواقب الفاجعة لهذه السياسة الاستعمارية سياسة (فرق تسد)"[١].

ومـــارس الـــبرتغاليون سياســـة الفرقة وإثارة النزاعات في الهند أيضًا وغيـــرها، يقول بونداريفسكي: "وأسهموا بجميع الوسائل في تأزيم الحزازات الهندوسية الإسلامية في هندوستان"[٢]، ويعلل استيلاء الأميرال البوكركة قائد الـــبرتغاليين عـــلى غـــوا "نتيجة للمؤامرات المديدة والمعقدة التي استهدفت استغلال التناقضات بين الحكام المسلمين والهندوس المحليين وتأجيج نيرانها بجميع الوسائل[٣].

وأصـــبحت سياسة إثارة النزاعات والشقاق الديني والعرقي سياسة ثابتة لـــدى الاســـتعمار الغـــربي يقـــول بونداريفسكي: "إن دراسة تاريخ السياسة الاستعمارية البرتغالية في المحيط الهندي تدل على أن البرتغاليين كانوا بين الأوربييـــن أوائـــل مـــن جعـــلوا من إثارة وتأجيج النفور الديني أهم أدوات السياسة، فإنهم لم يستغلوا الخلافات الهندوسية الإسلامية لأجل توطيد مواقعهم في هندوستان وحسب. بل أججوا بجميع الوسائل نيران التناقضات بين الحكام المســـلمين والهندوس، وطبقوا طرائق مماثلة في آسيا الجنوبية الشرقية، أما فيما يخص الشرقين الأدنى والأوسط فإن البرتغاليين قد عززوا مواقعهم هناك إلى حد كبير بتأجيج نيران النفور والخلافات بين إيران الشيعية وتركيا السنية

---

(١) الغرب ضد العالم الإسلامي بونداريفسكي ص ١١ ــ ١٢.

(٢) المرجع السابق ص ٢٤.

(٣) المرجع السابق ص ٢٣.

وهذه الطرائق طبقها أيضًا المستعمرون البريطانيون خلال زمن طويل"[١] فقد قـام المسـتعمرون الـبريطانيون ببذل جهود هائلة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لأجل تأزيم الخلاف الشيعي السني[٢].

هكـذا فـإن الاستعمار الغربي استخدم أخبث الطرق، لنيل مطالبه، من نهب لثروات العالم الإسلامي ولو على جثث وأشلاء الشعوب الإسلامية.

وبعـد هذه القراءة المتأنية لبعض صفحات التاريخ ظهر جليًا للناس من هم محبو الحروب وسفاكو الدماء ومن أهل العدل والرحمة والإحسان، ومن الظلم بمكان أن يتهم المسلمون بشيء هم منه براء، وأن يبرأ الغرب مما فعله تجاه الشعوب المستضعفة من قتل وسفك الدماء واستنزاف للثروات.

أخلاق المسلمين متغيرة

أمـا اتهـام المسلمين بأن أخلاقهم متغيرة تتبدل من التسامح والمعاملة الطيـبة إلى الحقـد والكـراهية، إذا دفعوا إلى الغضب أو استثيروا أو عند الهـزات والأزمـات والإضـطرابات، فهذا أمر عار عن الصحة فما زالت الأحـداث تطحـن بلاد المسلمين منذ زمن بعيد، وما زالت الأخلاق الحميدة منتشرة بين المسلمين.

ولكـن إذا هـددت هويـة الأمة أو ثقافتها وحضارتها، لا شك أن ذلك سيتسبب في الغضب والإثارة ولا يقابل بالبرود والدعة، وهذا أمر تشترك فيه كـل الأمـم ولا يخـص المسلمين فقط، بدليل ما نرى في بلاد الغرب من

(١) الغرب ضد العالم الإسلامي بونداريفسكي ص ٣١ — ٣٢.
(٢) السابق ص ٩٤.

مظاهـــرات وحوادث عنف بسبب العنصرية في ألمانيا وغيرها، وفي أيرلندا بسبب الاختلاف الطائفي هناك يقول جون اسبوزيتو داحضًا هذا الزعم ومبينًا أن رد الفعل في هذه الحالات عام وليس خاصًا بأمة دون أمة: "إن كل الناس ــ مؤمـــنين وغيـــر مؤمـــنين ــ مسلمين ويهود ومسيحيين وسيخ وهندوس يغضبون عندما يتعرض بقاؤهم ومصالحهم للخطر، وإن الغضب والحقد، أو استغلال الدين لإسباغ الشرعية لأي تصرف ليس وقفًا على المسلمين وحدهم، وفي حقيقة الأمر أن معظم الناس (المتحضرين) يتصفون دائمًا بالذوق السليم وحسن المعاملة، ويقبلون أسلوب الغضب ضد الشر وكراهية الأعداء باعتبار أن ذلـــك هـــو التصــــرف الطبيعي ضد الجرائم المنكرة، والأعداء في حالة الحروب، واختطاف الرهائن والإرهاب"[١].

اتهام الحركات الإسلامية بالكثرة

اتهم المستشرقون الحركات الإسلامية بأنها كثيرة، ربما يتبادر إلى العقل الغـــربي أن هـــذه الكـــثرة تعني التعارض والتناقض والتضاد، والحقيقة أنها صـــور للتنوع والتلون والتخصص. هذا وإن كان هناك اختلافات في بعض القضـــايا، إلا أنهم يتفقون في كثير من القضايا وساهموا بشكل أو بآخر في بـــروز الصـــحوة الإســـلامية، فهذه التيارات المتعددة تتفق كلها على حبها للإســـلام، واعـــتزازها برسالته، وإيمانها بضرورة الرجعة إليه، والعمل به والدعـــوة إلى تحكيـــم شريعته، وتحرير أوطانه، وتوحيد أمته، والوقوف في وجـــه الكـــائدين له، ولكنها تختلف في قضايا ومواقف كثيرة، بعضها يمثل

(١) مجلة المجتمع عدد ١٠٣٥ ص ٣٣ ــ ٢٦ / ١ / ١٩٩٣م.

تفصـــيلات، وبعضـــها يمـــثل اتجاهـــات مهمة[١]. ويبدو أن اتهام الحركات الإسلامية "بالكثرة" هو نفسه المراد بخاصية "تعدد المراكز" المذكور أنفًا عند الحديث عن خواص الصحوة الإسلامية".

الطبيعة البشرية:

إن الطـــبيعة البشرية توجب هذا الاختلاف فقد خلقهم الله مختلفين، فكل إنسان له شخصيته المستقلة، وتفكيره المتميز .. يبدو ذلك في مظهره المادي كمـــا فـــي مخبره المعنوي، فكما ينفرد الإنسان بصورة وجهه، ونبرة صوته و(بصـــمة) بـــنانه، ينفرد كذلك بلون تفكيره وميوله وذوقه .. وإن العبث كل العـــبث أن يراد صب الناس كلهم في قالب واحد في كل شيء وجعلهم نسخًا مكـــررة، ومحـــو كل اختلاف بينهم فهذا غير ممكن، لأنه مخالف لفطرة الله التي فطر الناس عليها .. ..

ثـــم إن هذا الاختلاف إنما هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، والتنوع دائمًا مصدر إثراء وخصوبة، وهو آية من آيات الله الدالة على عظيم قدرته وبديع حكمته ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ(٢٢)﴾[٢]. فمـــن الـــنـــاس من يميل إلى التشـــديد، ومنهم من يميل إلى التيســـير، ومـــنهم مـــن يـــأخذ بظاهـــر النـــص، ومنهم من يأخذ بفحـــواه وروحه[٣].

([١]) الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي ص ٤١. د/ يوسف القرضاوي.

([٢]) سورة الروم آية ٢٢.

([٣]) الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي ص ٦٤ ــ ٦٥. د/ يوسف القرضاوي.

اتهام الحركات الإسلامية بالسرية

أما وصف الحركات الإسلامية بالسرية وأنها تعمل بالخفاء، فهو أمر لا يؤيده دليل، فالواقع أن الناس يختلطون بالجماعات الإسلامية ويتعاملون معهم، فإنهم ليسوا منعزلين عن المجتمع، هذا إلى جانب أن ما يطرحونه من أفكار وقضايا يتعرف عليها الناس، إما عن طريق مطبوعاتهم ومؤلفاتهم، أو من خلال المنتديات الثقافية أو المحاضرات بل ودروس المسجد فالواقع إذ يثبت أنه لا سرية هنالك تحيط بالحركات الإسلامية.

لا أدري كيف تتهم الحركات الإسلامية بأنها تعمل في السر والخفاء، مع أن الجماعات ومراكز الأبحاث المستقلة أو غير المستقلة عندها الكثير من المعلومات عن الحركات الإسلامية تزخر بها أبحاثهم ومطبوعاتهم ويتغنى الإعلام بها كل يوم.

وأما إذا كان قصد بالسرية أن بعض الجماعات لا تعلن بعض أمورها وخططها التنظيمية وأسماء الكوادر التي تسير شؤونها، فذلك ــ حين يوجد ــ إنما هو نتيجة لموقف الحكومة من تلك الجماعات، حيث تحرمها من شرعية العمل العلني وتطارد أنشطتها وتجرّمها وتنزل أشد العقوبات ــ من تعذيب وسجن وقتل وإعدام ــ بمن تقبض عليهم منهم وتوجه إليهم تهمًا باطلة، بل تجعل من دعوتهم إلى تحكيم شرع الله في أمة المسلمين جريمة كبرى تستحق أقصى العقوبات، ويوم تعطي تلك الجماعات حقها المشروع في أن يكون لها وجود قانوني ــ كغيرها من الأحزاب المعترف بها ــ وتحترم الأنظمة كيانها ومؤسساتها وحقوق أفرادها ــ فلن يكون ثمة حاجة حينئذ للسرية، وكل حركات الإصلاح والتغيير في العالم ــ إسلاميًا أو غير

إســـلامي ــ تعمـــل بمستوى من السرية يضيق ويتسع حسب الظروف التي تحيــط بهـــا، وهـــذا حقهـــا الطبيعي للحفاظ على نفسها والتمكن من البقاء والاســـتمرار فـــي العمـــل لتحقيق أهدافها، ولا ينكر عليها ذلك إلا ظالم أو مغالط.

اتهام المسلمين بالاستعداد لثورة وانتفاضة

لا أدري ما السبب في هذا الاتهام، هل لأن الغرب رأى ثورة حدثت في أحـــد البلاد فظن أن هذا ديدن العالم الإسلامي كله، ومن يقل إن الغرب يخلو مـــن الثورات؟ هل وجود انتفاضة في أرض فلسطين المحتلة تعني أن العالم الإسلامي كله سوف يقوم بانتفاضة عالمية. لماذا يلام المسلمون في فلسطين عند قيامهم بانتفاضة ضد الذين أخرجوهم من ديارهم بغير حق؟

إن مصطلح ثورة ليس له وجود في الفكر الإسلامي والأهم من ذلك أن مصطلح –ثورة– لم يرد ذكره في القرآن الكريم أبدًا فالمسلمون إذا لم يتربوا عليه أو يتطلعوا إليه لأنه ليس له وجود في الفكر الإسلامي يقول دكتور مراد هوفمان: "ولا يثير اهتمام الإسلاميين كثيرًا عدم مجيء تلك الكلمة –الثورة– فـــي القرآن، بينما ورد في الإنجيل والعهد الجديد مرارًا، وأن القرآن أقرب إلى معالجـــة الأمر من منطلق آخر هو ضرورة حدوث التحول المستمر في عالم المادة والفكر"(١)

كذلـــك لـــم يرد مصطلح ثورة في السنة النبوية – فيما أعلم ـــ، إن هذا

(١) الإسلام كبديل د/ مراد هوفمان . ترجمة/ غريب محمد غريب ص ١٤٦.

المصـــطلح وثيـــق الصـــلة بالفكر الشيوعي الذي كان عدوًا للغرب حينًا من الدهـــر، فهـــو فكـــر يقوم على الثورات، أما الفكر الإسلامي فهو يقوم على الدعـــوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالتربية على المبادئ والأخلاق الإسلامية.

ولا يتبنى الثورات للتغيير فهو أمر أدعى لفتح أبواب الفتن التي يرفضها الإسلام.

التيار الإسلامي والسعي للحكم

إن الـــتيار الإســـلامي متهم بالسعي للسلطة، والتستر بستار الدين لنيل مـــآرب دنيويـــة، مـــع أن القـــراءة المتأنية للتاريخ تثبت كذب هذا الادعاء، والأحداث والمواقف أصدق دليل على ذلك.

من أبرز تلك الأحداث ترك أحد كبار الدعاة الترشيح لعضوية البرلمان، بـــناء عـــلى طلب رئيس الوزراء المصري وقتها النحاس باشا مقابل إفساح المجال للدعوة، وتخليص المجتمع من مظاهر الفساد المختلفة فقد (رشّح البنا نفســـه في دائرة الإسماعيلية حيث ولدت الدعوة، وما أن أعلن البنا ذلك حتى دعاه النحاس وطلب إليه الانسحاب، ووافق البنا دون طويل مراء، ولكن على أن يكون ذلك "نظير ثمن" تضمّن:

١- أن تكون الدعوة حرة في مزاولة جميع نشاطها بالكامل.

٢- وأن تبذل الحكومة وعدًا بالقيام بعمل ضد شرب الخمر والدعارة) [1]

هكـــذا فـــأهم ما يشغل بال الحركة الإسلامية الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة.

إن غايـــة التيار الإسلامي تحكيم شرع الله، وترسيخ المبادئ الإسلامية

(١) الإخوان المسلمون د/ ريتشارد ميتشيل ت/ محمود أبو السعود، ص ١٠٣.

لـدى الأمـة يقـول الدكتور محمود أبو السعود :"لم يشترط الإخوان قط أن يكونـوا شـركاء في الحكم، ولا أرادوا بصورة مباشرة أو غير مباشرة أن يكونوا أوصياء على الحكام.... ولكنهم اشترطوا حكم الإسلام وبهذا يتمتعون بمـا يتمـتع بـه سـائر الرعية من حق محاسبة الحاكم كائنًا من كان وحق مقاضاته، وحق إرجاعه إلى حكم القانون .. اشترطوا سيادة القانون وحكم الله ولا شيء غير ذلك".[١]

ولو كانت الحركات الإسلامية تسعى للسلطة، لتمسكوا بما عرض عليهم مـن وزارات، ولخططوا لبسط سلطانهم بعد ذلك، هذا هو منطلق العقل، أما أن يرفض التيار الإسلامي الوزارات والمناصب عندما عرضت عليه بالفعل، فـإن ذلـك يكذب المزاعم القائلة بأن التيار الإسلامي يسعى للسلطة ويتاجر بالدين من أجل الوصول للحكم لقد "قرر مجلس قيادة الثورة أن يدعوا أعضاء الإخوان المسلمين للاشتراك في الوزارة وربما كان ذلك على غير رغبة من نجيب، لكن بإغراء من عبد الناصر، أما ما حدث بعد ذلك فليس من الممكن معرفـته عـلى وجه الدقة ... وقد قرر المكتب بالإجماع عدم الاشتراك في الوزارة".[٢]

لقـد كان الأستاذ عمر التلمساني – رحمه الله– المرشد الثالث للإخوان المسـلمين يعلن في أحاديثه ومحاضراته قائلاً: لا يهمنا من يحكم ولكن يهمنا بم يحكم، فالهدف والغاية ليس السلطة أو الحكم بل الدعوة إلى العودة للإسلام بمفاهيمـه الصحيحة وتسامحه وعدالته، يقول الأستاذ عمر التلمساني –رحمه الله– :"إننا نقول بأعلى صوتنا، وأوضح عباراتنا إننا دعاة للعودة إلى تعاليم

---

(١) السابق من مقدمة المترجم د. محمود أبو السعود، ص ٣٤.

(٢) الإخوان المسلمون ريتشارد ميتشل ت/ د. محمود أبو السعود ص ٢٢٠ ـــ ٢٢١ بتصرف.

الإســـلام الصحيحة، فنحن أجناد لكل من يدعو إلى ذلك، ونتبعه ونؤيده، ولا نريد أن نكون رؤساء له أو زعماء."[١]

لقد اختار التيار الإسلامي الانتخابات البرلمانية لعرض الفكرة الإسلامية والمطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية وبرغم أن دستور كثير من الدول يسمح للأحزاب المختلفة بالمشاركة في الانتخابات البرلمانية والوصول إلى السلطة عن طريق ذلك، إلا أن التيار الإسلامي قد حرم هذا الحق أو ضيق عليه في أفضل الأحوال.

أحرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس؟!

ولماذا لا توجه هذه التهم إلى كل الأحزاب في دول الغرب الديمقراطي، وكـــلها تعمـــل علنًا وبكل وسيلة إلى الوصول للسلطة وتشكيل الحكومة عبر الانـــتخابات؟! وحيـــن تمكـــنت "جبهة الإنقاذ" الجزائرية من نيل أغلبية في الانـــتخابات تعطيها حق تشكيل الحكومة قام النظام الحاكم –أمام سمع العالم الغـــربي وبصـــره بـــل بـــتدبيره ومباركته– بإلغاء الإنتخابات وتحكيم القوة العســـكرية مما فتح حمام دم في البلاد !!، ولو فاز بالأغلبية غير الإسلاميين في الجزائر لمكنوا من الحكم ولكال الغرب الثناء للديمقراطية والنزاهة التي تم بها تداول السلطة !!.

اتهام الحركات الإسلامية بالسرقة والنهب ؟

إن حـــوادث الســـرقة والـــنهب منتشرة في العالم كله شرقه وغربه من الأفـــراد بـــل ومـــن الشركات والدول أحيانًا، بل إن معدلات جرائم السرقة والـــنهب في بلاد الغرب أكثر منها في أي مكان آخر، فضلاً عن بلاد العالم

(١) ذكريات لا مذكرات. عمر التلمساني ص ٧٠ ط دار النشر والتوزيع الإسلامية.

الإسلامي التي تعتبر الأقل بين بلاد العالم في معدلات الجريمة.

بـــرغم هذا يتهم المستشرقون الحركات الإسلامية بأنها عصابات سرقة ونهب، بل ويصفون السرقة بأنها إسلامية وهذا مصطلح فريد من نوعه، فلم يحــدث عــلى مدار التاريخ –فيما أعلم– أن وصفت السرقة بديانة السارق، فــتكون هــناك ســرقة يهودية أو سرقة مسيحية أو بوذية أو غير ذلك من الديانـــات أو المذاهب، فوصف الحركات الإسلامية إذًا بأنها عصابات سرقة ونهب وتجن وظلم.

أيضًا فمن البهتان والإفك اتهام الإخوان المسلمين على الأخص بالاعتداء عــلى اليهــود وســرقة ممتــلكاتهم، إن الــتاريخ يثبت عكس هذه المزاعم والافــتراءات فعلى سبيل المثال لا الحصر، كان للإخوان المسلمين دور يوم الــثورة يبين أنهم حريصون على أمن أهل الكتاب الذين يعيشون بينهم، فقد أمّــنوهم عــلى أنفسهم وما يملكون، وهذه شهادة باحث غربي يقول الدكتور ريتشــارد ب. ميتشــل :"فكان أعضاء الجمعية أولاً أن يأخذوا على عاتقهم حمايـــة الأجانب وممتلكاتهم (بما في ذلك محال التجارة وأبنية الدبلوماسيين) وحماية الأقليات (مساكنهم وكنائسهم وبيعهم) ... وكان القصد من ذلك إحباط أيـــة محاولـــة تقوم بها أية مجموعة لاستغلال الاضطراب المتوقع في ذلك اليوم."[١]

ادعاء خطر الأصولية

إن الحــركات الإســـلامية دعاة إلى الخير والهدى بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، بغير غلظة ولا فظاظة، فأي خطر تشكله

---

(١) الإخوان المسلمون. ريتشارد ب . ميشيل . ت / محمود أبو السعود ص ٢١٤.

الحـــركات الإســـلامية إذًا؟ إن التيار الإسلامي موجود من قديم ومع ذلك لم تـــتغير الأنظمة الحاكمة بسببه، ولو كان التيار الإسلامي في العالم العربي والإســـلامي يهـــدف للحكم ويضع ذلك على جدول أعماله لما حدث استقرار لهذه الأنظمة، ولكانت مذابح وفتن لا يعلم خطرها إلا الله، والتيار الإسلامي منتشـــر في جميع أنحاء العالم ومع ذلك لم نر خطرًا، أو تهديدًا أحدثه التيار الإســـلامي في شمال أفريقيا أو في دول الخليج أو أوروبا والأمريكتين، إن الخطـــر الحقيقـــي فـــي مروجي الفساد والفجور، والعصابات الدولية، التي تحترف القتل وسفك الدماء و السرقة، وتجارة المخدرات والسموم.

المسلمون يعمرون في لاد الغرب:

فـــتح الغـــرب أبوابـــه للهجرة بعد الحرب العالمية بناء على معاهدات واتفاقيـــات مـــع عدة دول وشكَّل المسلمون نسبة لا بأس بها من المهاجرين، وأصـــبحوا يشـــكلون تجمعات في بلاد الغرب كغيرهم من المهاجرين، ومن المعـــروف أن الجاليـــات المسلمة هي الأكثر أمنًا، والأقل من حيث معدلات الجريمة، لأنهم طلبوا العيش الكريم والغرب ساعدهم على ذلك.

أما كونهم بتجمعاتهم يحافظون بذلك على هويتهم، ويحاولون ربط أبنائهم بعقيدتهـــم، فهذا أمر تشارك فيه كل الجنسيات، ولم يحدث بسببه خطر طالما أن هـــذه العقيـــدة لا تـــنادي بعداء الآخرين أو تأمرهم بالسرقة والنهب لمن خالفهم في الدين.

إن الخطـــر الحقيقـــي الـــذي يهدد العالم يتمثل في تلك العصابات التي تمارس الجرائم بطرق منظمة، كعصابات تنظيم الدعارة على مستوى العالم، أو العصـــابات المتاجرة في الرقيق الأبيض، والعصابات التي تتخصص في

ســـلب الأطفال وبيعهم لراغبي التبني، أو سلب الأعضاء البشرية من بعض الـــناس بطرق غير قانونية خالية من الرحمة، وعصابات ترويج المخدرات والسرقة بالإكراه، هذا هو الخطر الحقيقي الذي يهدد العالم كله، أما المسلمون الذيـــن يعبدون ربهم ويدعون إلى الهدى والخير فهم يحبون العيش في سلام، ويســـارعون إلى فعـــل الخيرات لأن الله تعالى أمرهم بذلك فقال ﴿. . وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[١]

ادعاء معاداة الغرب:

يدعـــي بعض المستشرقين أن الحركات الإسلامية تكره الغرب وتعاديه، ولا أدري لمـــاذا تعادي الحركات الإسلامية الغرب؟ إن ديننا لا يرسي قواعد الكـــراهية وعداء الشعوب، ولم يجعل كراهية الآخرين من أصول الإيمان أو الإسلام، بل يعلمنا ديننا أننا أمة من الأمم لا تحيا وحدها على الأرض، وأن الناس كلهم إخوة في الإنسانية يرجعون إلى أصل واحد يشير إليه كثيرًا ذلك النداء المتكرر في القرآن الكريم ﴿ يَا بَنِي آدَمَ ..﴾.[٢]

لقـــد بيـــن الله تعـــالى الحكمة من تعدد الشعوب والقبائل أنها التعارف، فالعلاقـــة بيـــن الشعوب والأمم ليست مبنية على الحقد والكراهية والحروب وسفك الدماء، والميزان الذي تتفاضل به الأمم والشعوب على غيرها يتم بما يقدمونـــه من خير وعمل صالح. ولا تتم المفاضلة بين الشعوب على أساس العنصـــريات من اللون أو الجنس أو اللغة، هكذا كله مرفوض لأن الله خلق الناس من أصل واحد يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ

(١) سورة الحجرات ــ آية ١٣.

(٢) سورة الأعراف آية ٣١.

شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[١].

يقــول الأستاذ سيد قطب – رحمه الله– في تفسير هذه الآية ... يهتف بالإنســانية جميعهــا على اختلاف أجناسها وألوانها، يردها إلى أصل واحد، وإلى ميزان واحد ... يا أيها الناس. والذي يناديكم هذا النداء هو الذي خلقكم من ذكر وأنثى وهو يطلعكم على الغاية من جعلكم شعوبًا وقبائل، إنها ليست التــناحر والخصام، إنما هي التعارف والوئام فأما اختلاف الألسنة والألوان، واخــتلاف الطــباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات، وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله، إنما هنالك ميزان واحد تتحد به القيم ويعرف به فضل الناس :"إن أكرمكم عند الله أتقاكم.."،[٢]

مواقف الغرب:

يذكر المستشرقون أسباب هذه الكراهية التي يزعمونها بناء على مواقف الغــرب تجــاه القضـــايا العربية الإسلامية كتأييد الغرب لإسرائيل ودعمها، والضـــغوط الاقتصادية التي يمارسها الغرب تجاه كثير من الدول، ومحاولة تصـــدير أنمـــاط وطــرائق الحيـــاة الغــربية وغيــرها من أسباب ذكرها المستشرقون.

لاشك أن السلبيات التي تظهر في تعاملات الأمم بعضها لبعض هي التي تتسبب في الكراهية والعداء، وكذلك الإيجابيات والمواقف الصحيحة الصادقة

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣.

(٢) في ظلال القرآن . سيد قطب جـ ٦ ص ٣٣٤٨.

هـي التي تقرب بين الأمم وتمحوا ما بينها من كراهية، هذه حقائق عامة لا تقبل الجدال.

فـإذا كـان لـلغرب مواقـف سيئة تجاه القضايا العربية والإسلامية، كالتغاضـي عـن قضايا حقوق الإنسان في أكثر من مشكلة حدثت في العالم الإسـلامي وغيره، وعدم الانتصار للحق في القضايا المصيرية الإسلامية، ومـا حـدث من الحروب الإبادية الاستعمارية التي لا طائل من ورائها إلا استنزاف ثروات الشعوب، وفرض النظام والنموذج الغربي في قضايا الفكر والسلوك والاقتصاد والسياسة لأسر الدول المختلفة في فلك الغرب فإننا عندئذ نقول إننا لا نكره الغرب في أصل إنسانيته وبشريته، بل نكره سلبيات الغرب وأفعاله وسلوكياته الخاطئة.

وذلـك ما تعلمناه من القرآن الكريم حيث يحكي لنا ما قاله نبي الله لوط عندما دعا قومه الذين استباحوا الشذوذ الجنسي ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾[١] أي من الكارهين المبغضين له، فالسلوك الخاطئ والعمل السئ والفعل القبيح هو الـذي أعـلن كراهيته له. فإذا حرص الغرب على إزالة الكراهية فلا يهضم حقـوق الـدول المستضـعفة، ولا يناصر الدول الجائرة، ولا يدعم الأنظمة العميلة له وهي ظالمة لشعوبها، ويتوقف عن فرض نموذجه الحضاري بالقوة والخـداع عـلى شعوب تراه منافيًا لمعتقداتها وقيمها، فلماذا نكره الغرب أو نعاديه حينئذ؟!

إن خوض معترك الحياة يجعل من الضرورة أن يحدث التعايش السلمي بين الأمم لقضاء المصالح المشتركة وتبادل المنافع المختلفة.

---

(١) سورة الشعراء آية ١٦٨.



الفصل السادس

شبهات المستشرقين حول أبرز قضايا الصحوة.

وموقف الفكر الإسلامي منها



شبهات المستشرقين حول أبرز قضايا الصحوة

تمهيد :

بعـــد سلســـلة الاتهامات والأحكام الجائرة على الشباب المتدين وظاهرة الصحوة العامة، نقف في هذا الفصل بشيء من التفصيل أمام أبرز الشبهات التي أثارها المستشرقون على القضايا الأساسية المواكبة للصحوة والتي كثيراً ما يثار الغبار عليها سواء من مفكري الغرب أو من أعداء التيار الإسلامي .

ســـنقوم بذكر أبرز هذه القضايا وأهم ما أثير حولها من شبهات ثم الرد على تلك الشبهات إحقاقاً للحق ودفعاً للظلم ؛ وهي ما يلى :

١- اتهام الإسلام بالعداء للديمقراطية .

٢- ظلم الأقليات في العالم الإسلامي .

٣- معاداة الصحوة الإسلامية للحداثة والتقدم .

٤- اضطهاد المرأة في الإسلام .

٥- اتهام التيار الإسلامي بالالتزام بالعنف .

وقـــد أثـــرنا معالجتها في فصل مستقل نظراً لجوهريتها، ولبشاعة التهم والشـــبهات الموجهة إليها، وشدة تأثيرها على الجماهير في البلاد الإسلامية وفي غيرها وعلى موقفهم من الصحوة خاصة ومن الإسلام عامة .

والشبهات التي بين أيدينا إما أن تثار حول الصحوة الإسلامية أو تصب عـــلى الإسلام ذاته، والدقة العلمية تقتضي أن نفرق بين الإسلام كدين وبين متـــبعيه باجتهاداتهم الفكرية المختلفة ، وتبقى القضية أولاً وأخيراً هي قضية الفكر الإسلامي .

الشبهة الأولى

إتهام الإسلام بالعداء للديمقراطية

يـــتهم المستشرقون الحركات الإسلامية بالعداء للديمقراطية التي تعتبر أســـاس البناء السياسي في الغرب ، فالغرب يصور الحركات الإسلامية على أنهـــا تحـــارب الديمقـــراطية حرباً لا هوادة فيها يقول جون اسبوزيتو: إن الغـــربيين يؤمنون بأن :"الأصولية تشن حرباً شعواء ضد التقدم والعلمانية ، والرأسمالية الغربية والديمقراطية "[١]

تعارض الإسلام مع الديمقراطية :

إن طـــبيعة العقـــل الغربي لا تستسيغ تلاقي الدين مع الديمقراطية فمن الأمـــور التي ينكرها العقل الغربي تداخل الدين مع السياسة، فهذا يعيد أمام أذهانهم التجربة المرة مع الكنيسة الغربية وتسلطها . وإذا كان الإسلام ينتظم حيـــاة المسلمين ، ومنها الجانب السياسي ، ويرشدهم إلى التي هي أقوم ،فإن هذا التدخل في نظر الغرب يعود إلى التطرف والعنف ، ويوحي بأن الإسلام لا يلتقي مع الديمقراطية . يطرح جون اسبوزيتو هذا الفهم العقيم المنتشر في بـــلاد الغـــرب قـــائلاً : "إن الافتراض بأن المزج بين الدين والسياسة يقود بالضـــرورة إلى التطرف والعنف كان عاملاً رئيسياً في تشكيل مفهومنا بأن الإسلام والديمقراطية يقفان على طرفي النقيض"[٢]

وهكـــذا فـــإن الغرب يعتقد أن الإسلام ضد الديمقراطية وهذا يتفق مع

---

(١) مجلة المجتمع عدد / ١٠٣٥ ص ٣٢.

(٢) المصدر السابق عدد / ١٠٤٠ ص ٤١.

اتهــامهم للصحوة الإسلامية بكونها خطراً إسلامياً يتهدد الغرب ومصالحه، يصــور جــون اســبوزيتو انتشار هذا الاعتقاد في الغرب قائلاً: "اتساقاً مع نظرتــنا حيال الخطر الإسلامي يجيء الاعتقاد بأن الإسلام ضد الديمقراطية والتسامح."[١]

أدلتهم على التعارض بين الإسلام والديمقراطية :

١-رفض الحوار والرأي الآخر :

يزداد التحامل والبهتان من المستشرقين على الحركات الإسلامية حينما يعتبرونها رافضة للحوار مع الآخرين، بل زعموا أكثر من هذا حين اتهموا الحــركات الإسلامية بأنها تعتبر الحوار كفراً بالله وخروجاً عن الملة،يتحدث جون اسبوزيتو عن انتشار هذه الأباطيل عن الحركات الإسلامية فيقول :"إن الاتهــام بالتعصب تعززه آراء بعض زعماء الكنائس المسيحية والتي نشرت من خلال بعض المقالات الصحفية التحليلية مثل-باتريك بيوكانان-الذي يرى أن الأصوليين الإسلاميين غير مفيدين في عالمية الفكر والحوار لأنهم يرون أن ذلك كفر بالله وبالإسلام، لأن هناك تنزيلاً سماوياً يجب اتباعه وأن الكلمة الفيصــل للقرآن وأن محمدًا هو آخر الأنبياء ."[٢] فالالتزام بالوحي إذن عند المسلمين يؤدي إلى رفض الديمقراطية .

٢-عدم المساواة بين فئات المجتمع :

إن الغــرب يخشى من غياب الديمقراطية في الدول العربية والإسلامية عــن طريق الحركات الإسلامية لأن القيم الإسلامية تتعارض بشدة مع القيم

---

(١) المصدر السابق عدد / ١٠٣٦ ص ٣٢.

(٢) المصدر السابق عدد ١٠٧٣ ص ٣١.

الديمقــراطية يــتحدث جــون اســبوزيتو عن انتشار هذه الآراء في الغرب قــائلاً:"إن من بين الآراء التي ساقها أولئك الذين يخشون من تطور العملية الديمقــراطية فــي العــالم الإســلامي أن ذلك قد يتسبب في خطر(اختطاف الديمقراطية) بواسطة الحركيين الإسلاميين .."[١] ويقول أيضاً مشيراً إلى شدة الــتعارض بين القيم الإسلامية والمبادئ الديمقراطية، استناداً إلى عدة أمور: دأب المستشرقون على إثارة الشبهات حولها وهي أوضاع غير المسلمين من أهل الكتاب وغيرهم، وعدم مساواة المرأة بالرجل : "ويرى البعض أن القيم الإسلامية والقيم الديمقراطية تتعارضان بشدة كما نشاهدها في عدم المساواة بين المؤمنين وغير المؤمنين وبين الرجال والنساء."[٢]

آراء قادة التيار الإسلامي حول الديمقراطية :

نقــل المستشــرقون وجهــات نظــر قــادة الــتيار الإســلامي حول الديمقــراطية،وموقفهم مــنها واخــتلاف مواقف قادة التيار الإسلامي حول الديمقراطية بين المؤيدين والرافضين.

أولاً : موقف الرافضين للديمقراطية :

والذين يرفضون الديمقراطية تعللوا بعدة أسباب وهي :

١- تعارضها مع القيم الإسلامية :

إن رفــض الديمقــراطية مــن البعض يتم بناءعلى عدة اعتبارات منها تعارض القيم الإسلامية مع المبادئ الديمقراطية، لأن الديمقراطية تنادي بتعدد الأحزاب مما يؤدي لتفتت المجتمع، ثم النظر إلى الديمقراطية على أنها تنتمي

(١) المصدر السابق عدد / ١٠٣٦ ص ٣٢ ، ٣٣.

(٢) المرجع السابق.

إلى الفكـر الغـربي وتراثه الذي يرفض التيار الإسلامي الانتماء إليه ويعلن استقلاله عنه .

يقـول فرانسـوا بورجـا :"لأن الاعتراف بأولوية الإرادة الشعبية كما سـيؤدي ــ في رأيهم [١] إلى إعادة النظر في سلطة العلماء المطلقة [٢] وإلى أن يوضـع قـانون العـدد وحده في الكفة الأخرى المقابلة لعلمهم بالناموس الإلهي، كانت الديمقراطية مرفوضة من حيث المبدأ لأنها تتضمن فكرة تكوين أحـزاب داخـل المجتمع، ويؤدي ذلك ــ ضداً لمبدأ الوحدة المقدس ــ إلى تقسيم المجتمع".[٣]

٣ــ تعارضها مع الوحي الإلهي :

وكانت الديمقراطية مرفوضة أيضاً لأن فكرة التشريع الإنساني تتعارض مـع القراءة الحرفية لمبدأ أولوية المعيار الديني ، ولمبدأ قدرة القرآن والسنة عـلى تغطيـة جميع المعاملات التي تتم في المجتمع ثم النظر إلى هوية مفـردات اللغة الديمقراطية ــ خلال مدة طويلة ــ على أنها هوية تنتمي إلى التراث الغربي وإلى نظم حكمه (ثم إلى انتمائها إلى "بدائله" المفترضة داخل العـالم العربي) التي كان منطق الإطار المرجعي للإسلام السياسي حريصاً على إبراز ابتعاده عنها ."[٤]

---

(١) يريد الإشارة إلى مؤسس التيار الإسلامي الحديث مثل الشيخ أبي الأعلى المودوي، والشيخ حسن البنا.

(٢) لا يوجـد في الإسـلام سلطة مطلقة للعلماء وهذه شهادة أحد العلماء الأجلاء الإمام مالك حيث قال: كل واحد يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب هذا القبر. إشارة إلى النبي ﷺ.

(٣) الإسلام السياسي صوت الجنوب ص ١٣٩.

(٤) الإسلام السياسي صوت الجنوب. فرانسوابورجا ترجمة د. لورين ذكرى ص ١٣٩ ، ١٤٠.

٣-تعارض الديمقراطية مع السيادة الإلهية :

وقــد نقــل (جيــل كيبل) عن (علي بلحاج) خطيب الحركة الإسلامية الجزائــرية قوله : "فحتى (الديمقراطية) نجدها هي نفسها مطرحة إطراحاً لا رجعــة فيه" كما يكرر ذلك على بلحاج خطيب الحركة الإسلامية الجزائرية، بــلا كلال ولا ملال، ففكرة (الديموس) (في ديمو-قراطية) أي فكرة الشعب السيد، ليس لها أساس قرآني، بل على العكس فإنها تناقض السيادة المشروعة الوحيــدة، أي الســيادة التي يمارسها الله على الأمة عبر حاكم واجبه تطبيق أوامر الله ونواهيه كما وردت في النصوص الإسلامية المقدسة ".(١)

موقف المؤيدين للديمقراطية :

في حين يرى البعض أن هناك ميلاً نحو الديمقراطية في العالم الإسلامي يقول جون اسبوزيتو: "رغم وجود ميول ديمقراطية في العالم الإسلامي وسط الحــركيين الإســلاميين فــإن الأهواء والتوجهات المتعددة والمتصارعة مع الديمقــراطية تســتمر في بقائها وتجعل المستقبل محل تساؤل، وعلى سبيل المــثال في الوقت الذي يؤكد فيه عباس مدني زعيم الجبهة الإسلامية للإنقاذ فــي الجزائر قبوله للديمقراطية أمام الاتهامات التي وجهت إليه بأنه يعارض الــتحول الديمقــراطي، فإن بعض الأصوات الشابة داخل الجبهة الإسلامية للإنقــاذ ــ مــثل الداعيــة المشــهور علي بلحاج ــقد رفضت الديمقراطية واعتبرتها مفهوماً غير إسلامي "(٢)

---

(١) يوم الله الحركات الأصولية المعاصرة في الأديان الثلاثة ـــ جيل كيبل ت/ نصير مروة ص ٢٠٩.

(٢) مجلة المجتمع الكويتية عدد ١٠٣٧. انظر أيضًا الإسلام السياسي فرانسوابورجا ت. د/ لورين ذكرى ص ١٣٦ ـــ ١٣٧.

تشكيك المستشرقين في تصريحات

قادة التيار الإسلامي عن الديمقراطية :

هــذه المواقــف المتضادة للحركات الإسلامية تجاه الديمقراطية جعلت بعــض المستشرقين يتساءل هل قبول الحركات الإسلامية للديمقراطية وسيلة للوصول للسلطة أم أنها اتخذت الديمقراطية كمبدأ من مبادئها لا يمكن التخلي عــنه ، يقول جون اسبوزيتو : "إن الزمن وحده هو الذي سيوضح لنا ما إذا كــان الــزواج بالديمقراطية من قبل عدد من الحركات الإسلامية المعاصرة ومشاركتها في العمليات الانتخابية يعني ببساطة محاولة الوصول للسلطة أم أنهــا احتضان صادق، وهدف داخلي ناتج عن تفسير ديني مدعوم بالإيمان والخبرة "[١]

ويتســاءل المستشرقون أيضاً: ماذا يحدث إذا نجح التيار الإسلامي في الانــتخابات ووصل إلى السلطة هل يقيم اعتباراً للطوائف المهزومة ؟ وهل يحــافظون عــلى حقــوق الأقليات الأخرى في ظل الحكم الإسلامي، يقول فرانســوا بورجــا : "وفي حالة نجاح القوى النابعة من الحشد الإسلامي في الانــتخابات ، هل ستكون هذه القوى قادرة على احترام هوية (المهزومين) وحقوقهــم، نــاهيك عن احترام حقوق أية أقليات أخرى، سواء كانت أقليات طائفية وغيرها ."[٢]

ولم يكن أمام المستشرقين إلا موقف التشكيك في تصريحات قادة التيار الإســلامي الذيــن أخذوا بمبدأ الديمقراطية بناء على رفض بعض المنتمين

---

(١) مجلة المجتمع عدد ١٠٣٧. ص ٣١.

(٢) الإسلام السياسي صوت الجنوب ــ فرانسوابورجا، ت . د/ لورين زكرى ص ١٣٤.

للتيار الإسلامي لها .

يقـــول فرانسوا بورجا: " غالباً ما يشكك عدد كبير من المراقبين–سواء كـــانوا عـــرباً أو غـــربيين ـــ في مصداقية التصريحات التي يعلن فيها قادة الإسلام السياسي حالياً تأييدهم لتعدد الأحزاب ."[١]

فالتصـــريحات الكثيرة لعباس مدني وغيره عن الديمقراطية وكونها لا تـــتعارض مع الإسلام على أنها أداة سياسية حديثة للتعبير عن حرية الرأي وإرادة الشعب الذي يجب أن تحترم ، كل هذا يعتبر من قبيل التمويه والثنائية أو كـــلام للاســـتهلاك المحلي عند المستشرقين يقول فرانسوا بورجا :" حين يتحدث أحد قادة الإسلام السياسي مثل هذا الحديث ينكر عدد كبير من دارسي هـــذه الظاهرة أن ذلك الموقف من قبيل التطور ويعتبرونه مجرد (كلام) أو يرون فيه المظهر الإيجابي (للغة ثنائية) لا مفر منها "[٢]

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٤.

(٢) المصدر السابق ص ١٤٣.

مناقشة الشبهة الأولى

الإسلام والنظام السياسي

قــبل الخوض في الرد على هذه الفرية لبيان موقف التيار الإسلامي من الديمقــراطية، يحســن إلقــاء الضــوء على أبرز ملامح الفكر السياسي في الإسلام.

إن الــنظام السياسي في الإسلام يحتوي على مبادئ ومفاهيم أرقى مما يوجــد فــي النظام الديمقراطي، ربما يوجد بعض التشابه إلا أن الإسلام له فضل السبق ، وإن إبداء الرأي أو المعارضة للحاكم لم يجعل حقاً من حقوق الإنســان بــل يجعل ذلك من الأمور الواجبة على المسلم ، يثاب على فعلها ويؤاخذ على التقصير فيها أمام الله تعالى .

أرسى الإسلام قواعد للنظام السياسي للأمة الإسلامية ، أهمها :

١- الشورى :

فالإسلام لا يقر الديكتاتورية ، والاستبداد السياسي ، بل جعل الأمر في مجــال الأخــذ والرد بين الحاكم وأهل الحل والعقد حتى يقف الحاكم على أفضل الآراء وأنفعها للأمة ، وأقربها إلى الصواب، أما أن يغلق الحاكم عقله وقلــبه وفكره، ولا يرى أحداً على الحق والصواب إلا نفسه فذلك مدعاة إلى السقوط في الأخطاء العظيمة ، ولا أدل على مكانة الشورى في الإسلام من أن الله أمر بها نبيه عليه الصلاة والسلام، فقال تعالى :

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ

لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[١]

ومن ثمرات الشورى هنا أن يتألف النبي ﷺ قلوب أصحابه، وليقتدي به من بعده ، وليستخرج منهم الرأي ، فيما لم ينزل به الوحي في الأمور الجزئية وغير ذلك، وإذا كان النبي ﷺ قد أمر بالشورى وهو الذي ينزل الوحي عليه بين الحين والآخر فغيره من الحكام أولى بالمشورة.[٢]

ويدل على مكانة الشورى في الإسلام أيضاً : أن الله تعالى جعلها من صفات أهل الإيمان قال تعالى:﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ(٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ(٣٨) ﴾[٣]

٣- نظرة الإسلام للحاكم:

الحاكم في الإسلام ليس شخصاً معصوماً من الخطأ، وليس نبياً يوحى إليه، فهو إذاً بشر يخطئ ويصيب ولذلك فهو محتاج إلى من يرشده وينبهه ويحذره ويراجعه إذا أخطأ وجانب الصواب.

وقد أثبت الخلفاء الراشدون هذا الحق للأمة ، وأفسحوا المجال لممارسة الأمة المشاركة السياسية فقد قال أبو بكر — رضي الله عنه — في أول خطبة له بعد توليه الخلافة : "فإذا رأيتموني استقمت فاتبعوني ، وإذا رأيتموني زغت فقوموني"[٤] وفي رواية أخرى : "فإذا أحسنت فأعينوني وإن زغت

([١]) سورة آل عمران آية ١٥٩.

([٢]) السياسة الشرعية. ابن تيمية. ط دار الشعب ص ١٨١ بتصرف.

([٣]) سورة الشورى آية ٣٦ — ٣٨.

([٤]) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٨٢. ط دار القلم بيروت.

فقوموني"[١] . قال الإمام مالك: لا يكون أحد إماماً أبداً إلا على هذا الشرط[٢].

٣-الإسلام وإنشاء نظام المعارضة :

إلى جانب إرساء نظام الشورى ، أرسى الإسلام نظام المعارضة المتمثل في مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ." وهو شعار الأمة الإسلامية ، وسلوك أهل الحل والعقد ، وحق الرعية على الراعي ، والذي أصبح عند المعتزلة أصلاً من أصول الدين ، وفي الفقه بابًا من أبواب الأحكام السلطانية ونظاماً للحسبة "[٣].

وقد تحدث القرآن الكريم عن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبيناً أهميته من عدة أوجه منها[٤] :

١- أنه هو السبب الوحيد الذي من أجله تصبح الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [٥].

ومن هنا يتوفر للأمة حق الرقابة على الدولة وممارستها للمعارضة السياسية ووجوب الدفاع عن المصالح العامة .

٢- أنه أمر أن نصدع به قال تعالى :﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ

---

(١) المصدر السابق ص ١٨٣.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الدين والثورة في مصر: اليمين واليسار في الفكر الديني. د/ حسن حنفي. ص ٢٦٢ ط مدبولي.

(٤) المصدر السابق ص ٢٦٢ : ٢٦٦ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الواقع والتطبيق.د/ نشأت عبد الجواد ضيف . ط مطبعة الحسين الجامعية.

(٥) سورة آل عمران آية : ١١٠.

﴿ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1] ، فهو فرض على كل قادر لا نافلة، والتخلي عنه يوقع تحت طائلة العقاب، وهو ليس شغباً أو عمالة أو حقداً أو كــراهية بـــل إنه طاعة لأمر الله تقوم به القلة القادرة لأنه فرض كفاية على المسلمين .

٣- أنه ثمرة من ثمرات الإيمان بالله، ولعظم أمره قدمه في الذكر على الإيمان بالله تعالى: ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [2]، وهو عمل جماعي ظاهر في حياة الناس فالمعارضة السياسية لا تكون سرية، وذكر في القـــرآن أيضًا على أنه نتيجة للإيمان بالله تعالى.﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) ﴾[3]

٤- وهو سمة للمجتمع المؤمن فالعلاقات الاجتماعية تقوم على النصح والإرشاد مراعاة للصالح العام قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [4].

وذلـــك في خلاف مجتمع المنافقين الذين يقلبون الحقائق ويزينون الباطل قال تعالى: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [5]، ومن قبلهم ترك بنو إسرائيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلعنهم الله تعالى ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ

---

(١) سورة آل عمران آية: ١٠٤.

(٢) سورة آل عمران آية: ١١٠.

(٣) آل عمران آية ١١٤.

(٤) سورة التوبة آية ٧١.

(٥) سورة التوبة آية: ٦٧.

مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) ﴾[١].

٥- أنــه لا يقــل عــن الصــلاة بل ذكرها الله تعــالى قبل الصــلاة والــزكــاة وطاعــة الله ورسوله بوجه عام وهذه العبادات تميز المؤمن عن غيره قال تعالى: ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[٢]

٦- أنــه صفه من صفات المؤمنين الذين يظهر عمــلهم وتأثيرهم في غيرهم فالمؤمن مرآة أخيه ومن ثم كان عليه الإصلاح ما استطاع فلابــد إذاً أن يــــكون آمــراً بالمعروف وناهياً عن المنكر قال تعالى: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣]. فالمؤمن ينفع غيره ويعمل على حفظ حدود الله .

٧- أنه دعوة للخير وليس شغباً أو حقداً أو فساداً أو تخريباً في الأرض إنــه دعوة من أجل الخير وليس من أجل الشر قال تعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [٤] ، وقــد أثنى الله تعالى على نبينا ﷺ وذكر من صفاته الالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنــكر قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ). [٥]

٨- أنــه شــرط التمكين وسبب النصر قال تعالى :﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي

(١) سورة المائدة آية ٧٨ ـــ ٧٩.

(٢) سورة التوبة آية: ٧١.

(٣) سورة التوبة آية ١١٢.

(٤) سورة آل عمران آية ١١٤.

(٥) سورة الأعراف آية : ١٥٧.

الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾[١]، والمجتمع ينهار بترك الأمـــر بالمعروف والنهي عن المنكر فتسود الرذيلة وتختفي الفضيلة فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشمل القاعدة والقمة، الرعية والراعي، والقيام بـــه واجـــب ديـــني لا هوى أو رغبة، يهدف إلى الصالح العام لا لمصلحة خاصـــة، وهو ليس خروجاً عن الحاكم بل طاعة يؤديها المؤمن ، وإن شئت قلت إنه حق للحاكم على المحكومين وعن طريقه يدافع المسلمون عن حقوقهم ويـــؤدون واجـــباتهم تجـــاه الحكام، فالحقوق والواجبات متبادلة بين الحكام والمحكومين، وإفساح المجال للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يطيل عمر الدولة الإسلامية، وتركه أو تعطيله يضعف الدولة ويسقط النظام .

فالإســـلام يفسح المجال للحوار والتشاور بل ويوجب ذلك ويجعله أمراً معـــلوماً مـــن الدين بالضرورة وله مكانة عظيمة في الإسلام، فادعاء رفض الحوار إذاً أمر لا دليل عليه بل محض افتراء من المستشرقين .

قبل الحديث عن الاتهام:

قـــبل أن نـــتحدث عـــن اتهام المستشرقين الحركات الإسلامية بالعداء للديمقراطية، أو اتهامهم بالثنائية في تصريحاتهم على أفضل تقدير، بات علينا أن نبرز حقيقة موقف التيار الإسلامي من الديمقراطية وموقف المنصفين من المستشرقين وحقيقة الديمقراطية في العالم الغربي كما يبرزها بعض مفكري الغـــرب ، وقـــبل أن نخوض في موقف الحركات الإسلامية نتعرض لمفهوم الديمقراطية ونشأتها أولاً :

---

(١) سورة الحج آية: ٤١.

مفهوم الديمقراطية ونشأتها :

الديمقراطية هي حكم وسيادة الشعب لنفسه، "وهي نظام سياسي تكون فيه السـيادة لجميـع المواطنين ، ويقوم على ثلاثة أسس : الحرية، والمساواة ، والعـدل وهي متكاملة ومتضامنة "[١] وقد صرح البعض بظهور الديمقراطية بعـد قيـام الـثورة الفرنسـية، يقول المستشار سالم البهنساوي عن مفهوم الديمقـراطية ونشـأتها :" والديمقراطية كنظرية سياسية ظهرت بعد الثورة الفرنسية ، ومضمونها أن السيادة للأمة ، كما ورد في إعلان حقوق الإنسان الصـادر في فرنسا عام ١٧٨٩م وأن (الأمة هي مصدر كل سيادة) وترتب عـلي هـذا أن الأمـة تختار الحاكم تحاسبه وتعزله كما أنها تملك التشريع والتحليل والتحريم "[٢] .

إعلان قادة التيار الإسلامي تمسكهم بالديمقراطية

إن الموضوعية تدفع بعض المستشرقين إلى إظهار حقائق يحاول الغرب إخفاءها ، ويتعمد الإعلام إبراز الجوانب السلبية أكثر من الجوانب الإيجابية يقول فرانسوا بورجا : "أما تصريحات عباس مدني المعتدلة والمرنة والتي لا يحصـرها العـد- رغـم أن وسائل الإعلام تنشرها على نطاق أضيق من تصـريحات زميله بن حاج، التي تحقق الدور الذي رسمه الإعلام للخطاب السياسـي الإسلامي فيتم تقديمه بالنسبة لبن حاج الذي (يتقاسم معه الأدوار) باعتبارها (الوجه الإيجابي للعملة)" .[٣]

---

(١) المعجم الفلسفي. ص ٨٦ مجمع اللغة العربية. القاهرة المطابع الأميرية ط ١٩٨٣.

(٢) الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية المستشار / سالم البهنساوي. ص ٦١. ط الزهراء للإعلام العربي.

(٣) الإسلام السياسي صوت الجنوب فرانسوابورجا ت/ لورين ذكرى ص ١٤٤.

غيـــر أن الموضـــوعية والأمانة العلمية تدفع البعض للقول بأن (هذا لا يمنع أن معظم قادة الإسلام السياسي أصبحوا يعلنون صراحة تأييدهم لمبادئ تعدد الأحزاب الديمقراطية) .[١]

بل يستدل بعض المستشرقين بحوار للمجلة الأسبوعية الجزائرية [٢] مع أحد قادة التيار الإسلامي وهو راشد الغنوشي الذي يدافع عن هذا المبدأ قائلاً أمـــام مســـتمعيه :" كفوا عن القول أن مفهوم الديمقراطية غريب عن ثقافتنا. كفـــوا عـــن القـــول إن (هـــذا المفهـــوم) ملك للغرب فقط . إنكم مخطئون فالديمقـــراطية هي الإسلام [.. ..] ماذا نقول عن مناضلى الإسلام السياسي الذيـــن يقولـــون إن الديمقراطية مفهوم (كافر) ؟ وإذا كان ذلك مجرد خلاف لغـــوي ، فإن المشكلة شكلية [.. ..] إن الديمقراطية مجرد أداة تنظيم سلمية للصراعات السياسية والفكرية [.. ..] وإذا كان الدين الإسلامي لا يتضمن أي قيـــود ، فبالأحرى أن يكون ذلك الأمر في السياسة [.. ..] لا يمكن أن تكون الحـــريات خطـــراً عـــلى الإسلام طالما أنها تمثل جوهره [.. ..] إن الذين يعتـــبرون الديمقـــراطية كفراً مخطئون . وقد حسم هذه المسألة متخصصون بارزون في الاجتهاد. إن قرن الديمقراطية بالكفر اجتهاد خاطئ "[٣]؛ لكن ما الموقـــف إزاء تضـــارب آراء بعض قادة التيار الإسلامي حول الديمقراطية تأييداً أو رفضاً ؟ هل يعتبر ذلك من قبيل التمويه أو الثنائية في الفكر، أم أنه مجرد كلام للاستهلاك فقط ؟ والحقيقة أن هذا يعتبر من قبيل التطور الفكري، فكثير من المفكرين شرقاً أو غرباً يتبنون آراء معينة ثم يتبين لهم قصورها، أو يرون أفكاراً أخرى أشمل وأقرب للحقيقة من غيرها .

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٢.

(٢) المصدر السابق ص ١٤٣. نقلاً عن.. Hor 12 Ons, 22AoutK P IET12

(٣) المصدر السابق ص ١٤٣.

لقــد قبل بالفعل كثير من المسلمين بالديمقراطية ، وقاموا بطرح تصور لهــا مــن منظور إسلامي ، فليس بالضرورة أخذ الديمقراطية الغربية دون انــتقاد أو تــنقية بما يتناسب مع عقيدتنا . يقول جون اسبوزيتو :"في العقود الأخيــرة قــبل كثيرون من المسلمين بفكرة الديمقراطية ولكنهم اختلفوا حول معناها الحقيقي . إن عملية أسلمة الديمقراطية قد قامت على أساس تفسيرات حديثة للمفاهيم الإسلامية التقليدية في الحوار السياسي أو التشاور (الشورى) و(الإجمــاع) و(الاجــتهاد) أو التفسيرات التي تعطي لتأييد فكرة الديمقراطية البرلمانية والتمثيل الانتخابي والإصلاح الديني .. .. وقام كثير من الحركيين الإســلاميين بأســلمة الديمقــراطية البرلمانية مؤكدين فهمهم لها من منظور إسلامي ومطالبين بالديمقراطية في معارضتهم للأنظمة القائمة . فالمنظمات الإسلامية مثل تنظيم الإخوان المسلمين في مصر والسودان .. .. والمنظمات الأخــرى طالبت كلها بإجراء انتخابات ديمقراطية وسمح لها بالمشاركة في الانــتخابات الــبرلمانية .هــناك اخــتلافات بيــن المفاهيم الغربية بالنسبة لــلديمقراطية والــتقاليد الإســلامية . إن الــتركيز المتزايد على السياسات الانــتخابية والتحول الديمقراطي ، لا تعنى بالضرورة القبول ضمناً بالصيغ الغــربية للديمقراطية دون انتقاد. ومن الأفكار الشائعة أن الإسلام يمتلك أو يستطيع استنباط الصيغة الديمقراطية الخاصة به والتي يكون فيها حكم الشعب مقيداً أو يكون موجهًا بالقانون الإلهي"[١]

وليــس غريــباً أن يكون لنا رأي في الثقافة الغربية وأفكارها ومبادئها، فقديمًــا قــام العلماء بحركة ترجمة واسعة للثقافة اليونانية ، ثم قاموا بنقدها

---

(١) مجلة المجتمع عدد ١٠٣٦ ص ٣٣.

وتـــنقيحها ، ولما استحوذت الفلسفة اليونانية علي العقول وحدثت بسببها فتنة في العالم الإسلامي قام العلامة أبو حامد الغزالي بحصر مقاصد الفلاسفة ثم بيان تهافتها فلم تقم لها قائمة بعدها .

قادة التيار الإسلامي يعلنون الالتزام بنتائج الديمقراطية :

وزيـــادة عـــلى ذلـــك فإن قادة التيار الإسلامي يعلنون دائماً احترامهم لخصــــومهم أو المشــــاركين لهـــم في العملية السياسية وطالما رضى الجميع بوجود الديمقراطية في اللعبة السياسية فلترجح الأغلبية إذاً الكفة التي تريد . وقـــد نقـــل فرانسوا بورجا تصريحات لبعض قادة التيار الإسلامي تفيد هذا المعنى :"وربما لا يكفي أن نذكر الضمانات الخطابية التي قدمها عدد لا بأس بـــه من قادة الإسلام السياسي بخصوص احترام خصومهم السياسيين . يقول راشـــد الغنوشي منذ ١٩٨١م : (نحن على استعداد لاحترام أية أغلبية تفوز شرعياً في الانتخابات حتى لو كانت هذه الأغلبية لشيوعية)".[١]

ويـــنقل بورجا عن عباس مدني أحد قادة التيار الإسلامي بالجزائر قوله باحترام إرادة الشعب :" حتى عباس مدني الذي تعددت تصريحاته الواضحة فيقول: إنه في حالة الهزيمة الانتخابية" سنقبل إرادة الشعب ونحترمها"[.. ..] ففي دولتنا مسلمون وغير مسلمين ويجب علينا لكي نتحاشى لبننة الموقف أن نتفق على حد أدنى أي على إرادة الشعب ."[٢]

وينقل عنه أيضاً قوله :" إننا نقولُ إن الانتخابات حاسمة بالنسبة للجميع، أيًا كانت نتائجها سنحترم الأغلبية حتى لو كانت هذه الأغلبية صنعها صوت

---

(١) الإسلام السياسي صوت الجنوب فرانسوابورجا ص ١٢٦.

(٢) المصدر السابق ص ١٤٣.

واحد، إننا نعتبر بالفعل أن الذي ينتخبه الشعب يعكس رأي الشعب"[١]

فقادة التيار الإسلامي لا يرون التيار الإسلامي هو الموجود على الساحة وحده ، بل تشاركه تيارات أخرى ويرون المشاركة السياسية للجميع وليست حكــراً عــلى أحــد الــتيارات دون غيره، من هنا فإن الانتخابات الشرعية الصــحيحة هي التي تعكس رأى الأغلبية رأي الشعب الذى يجب أن تحترمه كل الأطراف .

تعارض الإسلام مع الديمقراطية :

وهــنا يحــق لــلذين يدعــون تعــارض الإســلام مع الديمقراطية أن يتســاءلوا..ماذا يفعل الحكم الإسلامي إذا صوتت الأغلبية على أمر يتعارض مع الشريعة الإسلامية ؟ هل يؤخذ برأى الأغلبية إذا أحلت حراماً أو حرمت حــلالاً ويفــرط عندئذ في عقيدة الأمة ودينها ؟ أم يلتزم بالشريعة الإسلامية ويضرب برأى الأغلبية عرض الحائط، وتكون الديمقراطية عندئذ جزئية أو منقوصة ؟

فــالحكم بالشــريعة الإســلامية يستلزم أن تكون الديمقراطية جزئية أو منقوصة ، لأن الأغلبية إذا صوتت على أمر يتعارض مع الشريعة الإسلامية فــلا شــك أنــه سيرفض ويضرب برأى الأغلبية عرض الحائط ؛ فالالتزام بالشــريعة الإســلامية التزاماً مطلقًا لا يسمح بوجود الديمقراطية ، والالتزام بالديمقراطية المطلقة يستلزم إبعاد الشريعة الإسلامية عن طريق الديمقراطية وإلا فستكون الديمقراطية هامشية وجزئية أو مقيدة .

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٧.

الديمقراطية المطلقة غير موجودة :

إن الزعم بأن الديمقراطية مبدأ مطلق أمر يخالفه الواقع ، فالغرب الذي ابـــتكر الديمقــراطية يلـــتزم بها في حدود لأن الغرب ليس ملحدًا بل مؤمناً برســالة ســماوية سابقة ويعلنون إيمانهم بالمسيح فهم أهل كتاب كما أطلق القــرآن عليهم ذلك . وأيضاً يريد الغرب الحفاظ على هويته ولغته وعاداته وتقــاليده ، فعنده إذًا ثوابت أو مبادئ ثابتة يرجع إليها ويحترمها ويؤمن بها ويقدســها ، بــل ويعتبرها أعلى من إرادة الإنسان وأصوب من الأغلبية إذا كانت الأغلبية تناقضها .

عليــنا أن نقــف على هذه الحقيقة حتى لا يخلط المستشرقون الأوراق، ويــزورون الحقائق " وعلينا التحقق من أن الممارسات الغربية قد جعلت من هذا المبدأ النظري معياراً مطلقاً بالفعل .. .. ابتداءًا من الولايات المتحدة (في الله نثق In God we trust) إلى النظام الجمهوري في فرنسا مروراً بانجلترا وألمانيا الفيدرالية ، كل هذه التجارب المرموقة في مجال الفكر الليبرالى تسلم فعلاً بوجود مبادئ أعلى من إرادة الإنسان، سواء كانت هذه الإرادة جماعية أو إرادة الأغلــبية . وفـــي عــدد لا بأس به من الحالات ظلت الإشارة إلى الناموس الإلهي صريحة "[١]

فوجــود مــبادئ وعقــائد أعلى من إرادة الإنسان أمر يقر به الغرب، ووجود قانون عام أو قانون طبيعي يكون أعلى من أي إرادة برلمانية وضع

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٥ — ١٤٦.

طـبيعي فـي بـلاد الغرب [١] الذين ابتكروا الديمقراطية :" إذ أن (المواثيق الدوليـة) تفـرض على الأعضاء المؤسسين مبادئ مشهورة بأنها أعلى من إرادة أية أغلبية برلمانية ، وبالفعل تدل (مبادئ القانون العامة) وهذا (القانون الطبيعي) أو ذاك على أن إرادة الإنسان كانت دائماً ــ حتى عندما كانت تعبر عن رأى الأغلبية ــ خاضعة لمجموعة من الأطر المرجعية العالمية دون أن تكـون مؤهـلة لوضـع هذه الأطر موضع التساؤل . وتدل هذه (المبادئ) و(القوانيـن) كذلك على أنه لكي يتم الحد من تجاوزات الأغلبية ــ أيًا كانت شـرعية انتخابها ــ ينبغي تقبل وجود مبادئ متأصلة تستمد ــ بحكم الأمور ــ من مصدر آخر غير الإرادة الإنسانية . وبناء على ذلك يتم تقبل فكرة أن الإرادة الإسلامية ليست المصدر الوحيد لصياغة المعايير ووضعها"[٢]

إذاً لمـاذا يعيب المستشرقون على التيار الإسلامي الأخذ بحكم الشريعة الإسـلامية إذا تعارضت مع رأى الأغلبية؛ لماذا يعتبرون ذلك مشكلة وخطأ يـلقون عـليه شـبهاتهم؟ ولمـاذا لا يعتـبرون الشريعة الإسلامية بالنسبة لـلديمقراطية كالمـبادئ العليا والقانون الطبيعي في الغرب ؟ يقول فرانسوا بورجا :" فإذا انحصر حجم الشريعة الإسلامية في الدور الذي يقوم به القانون الطـبيعي والمـبادئ العامـة التي يتضمنها الفكر الغربي والتي ــ تستخدم باعتبارها إطاراً مرجعياً نهائياً لإنتاج المعايير التي يصدرها الإنسان- أصبح

(١) إن التجارب الليبرالية الغربية كانت دائمًا تضع حدودًا ــ على مستوى المبادئ وحدها ــ لحرية تعبير أنصار النظم التي تعتبر أنها تناقض.. .. على سبيل المثال دستور المانيا الغربية يرفض ضمان الحقوق السياسية لمن لا يعترف صراحة بمبادئها، والولايات المتحدة تمنع الشيوعيين أو أولئك الذين يشتهرون بالانتماء إلى ذلك المذهب من دخول أراضيها. نقلاً عن الإسلام السياسي. ص ١٤٧.

(٢) المصدر السابق ص ١٤٦.

من غير المستحيل التوفيق بينه وبين إطار الديمقراطية العلمانية .[١]

فـــإذا اعتـــبرنا الشريعة الإسلامية بالنسبة للديمقراطية كالمبادئ العليا والقانون الطبيعي في الغرب أي على أنها الإطار المرجعي النهائي للمعايير والأفعال الإنسانية ينتفي عندئذ تعارض الديمقراطية مع القيم الإسلامية،أو مع الوحي الإلهي والسيادة الإلهية .

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٦.

الشبهة الثانية

مشكلة الأقليات في العالم الإسلامي

مـــن أبـــرز الشـــبهات التي يثيرها أعداء الإسلام مشكلة الأقليات غير المســلمة فـــي العـــالم الإسلامي ، ففي البلاد العربية -مثلاً- توجد أقليات مســيحية أو يهودية . فكيف يكون حالهم إن وصلت الحركات الإسلامية إلى السلطة ؟ هل ستصادر الحريات ويضيق عليهم كما حدث في عدد من البلاد العربية ؟ يقول جون اسبوزيتو :" ومن المسائل الكبرى التي تواجه الحركات إن هي تسلمت السلطة، قدرتها على القبول بالتنوع، إذ نجد أن وضع الأقليات في المجتمعات التي يهيمن عليها الإسلام من حيث حرية الحركة والتعبير من المسائل الخطيرة، ويثير سجل التجارب في باكستان وإيران والسودان أسئلة خطيـــرة حـــول حقـــوق النســـاء والأقـــليات تحت الأنظمة ذات التوجهات الإسلامية"(١)

حرمان الأقليات غير المسلمة من حقوقها :

يـــرى المستشـــرقون أن الحركات الإسلامية ــ عند تسلمها للسلطة ــ سوف تحرم غير المسلمين من حرية التعبير من الديمقراطية كمبدأ من مبادئ الحيـــاة السياسية والاجتماعية، وسيتبع ذلك حرمانهم من المراكز القيادية في الـــدول المســـلمة، وبتعبير آخر سيكون غير المسلمين مواطنين من الدرجة الـــثانية وهـــذا أفضل الاحتمالات· يقول جون إسبوزيتو : " إن وضع غير المسلمين وتأثير السياسات الجماعية أو العالمية يظلان من المسائل الإسلامية

(١) مجلة المجتمع عدد/ ١٠٣٧ ص ٣٠ ــ ص ٣١.

الهامـــة والمعاصـــرة وبدون أن نعيد التعريف بالتعاليم الإسلامية الكلاسيكية الخاصـــة بالأقليات غير الإسلامية كمجموعات تحظى بالحماية (ذميين) فإن دولة ذات توجه عقائدى إسلامي ستوفر في أفضل حالتها ديمقراطية محدودة ذات طـــابع جمـــاعي وهن ، وسيحد توجهها الأيديولوجي من مشاركة غير المســـلمين في المواقع القيادية والحساسة في الدولة .. ويصبح غير المسلمين مواطنين من الدرجة الثانية بحقوق محدودة ، وفرص أقل ، كما هو الحال في دول مثل إيران وباكستان.[١]

التعصب الإسلامي وراء ظلم الأقليات :

هناك عدة أمثلة وأدلة تثبت أن التعصب الإسلامي كان سببًا في إحداث الفتن الطائفية بين المسلمين وغيرهم، وذلك بسبب التعصب والتسلط الديني ؛ وغياب التسامح ، وعدم القبول بالآراء الأخرى وإهدار حقوق الإنسان يقول جون إسبوزيتو : " إن سجل التمييز والتفريق ضد حركة البهائيين في إيران وجماعـــة الأحمدية في باكستان باعتبارهما جماعات " مارقة " وخارجة عن الإسلام ، وضد المسيحيين في السودان وضد العرب اليهود في بعض الدول العـــربية . بالإضافة إلى الصراعات الطائفية بين المسلمين والمسيحيين في مصـــر ونيجيـــريا ، هـــذه الممارســـات كلها أيضًا تثير أسئلة حول التسلط والتعصـــب الديـــني وإذا تجاهل المسلمون هذه القضايا ، أو تحدثوا ببساطة وســـهولة عـــن التسامح وحقوق الإنسان في الإسلام فإن الغرب بتناوله لهذه القضايا بالنقاش والبحث يخلص إلى وجود تكتلين يقفان على طرفى النقيض. الغـــرب الذى يدعو إلى التسامح ويمارس الحرية ، والعالم الإسلامي الذي لا يفعل ذلك .

---

(١) المرجع السابق.

إن التصرفات الإسلامية ضد الأقليات المسيحية ، وحادثة سلمان رشدي تقــف دليـــلاً وشاهد اتهام على أن الإسلام متعصب ومعاد للديمقراطية ، إن مطـــالب المســـلمين بالاســـتقلال تعتبر تضليلاً ، وخطرًا على الأقليات"[١] . فالغرب يرى أن من التعصب والعداء للديمقراطية اتخاذ المسلمين موقفًا من الخـــارجين عـــن الإســـلام أو الطاعنين فيه ، أو المتطاولين على المقدسات الإســـلامية. ويـــرى أحد المستشرقين أن العنف تجاه الأقليات غير المسلمة صـــار من لوازم الحركات الإسلامية لا ينفك عنها . ويرجع السبب في هذا إلى القمع والتعذيب الذي يقع على الحركات الإسلامية . يقول جيل كيبل : " إن هـــذه الحركات تعرضت لقمع قاس من قبل الأنظمة العربية والحاكمة في أكـــثر مـــن موقع ومكان. فاستخدم العنف ضد الدول " الكافرة " وكذلك ضد المسلمين " المغتربين " أو غير المسلمين من (الأقباط في مصر إلى الرهائن في لبنان) قد انتهى بأن أصبح عنصرًا لا يمكن عزله عن صورة المحازبين والحركيين الإسلاميين "[٢]

([١]) المرجع السابق.

([٢]) يوم الله الحركات الأصولية المعاصرة في الأديان الثلاثة ــ جيل كيبل ت./ نصير مروة. ص ٢١٠.

مناقشة الشبهة الثانية

مشكلة الأقليات

مـــن أبـــرز الشـــبهات التي يثيرها المستشرقون ، مشكلة الأقليات غير المســـلمة فـــي العالم الإسلامي ، التي تعاني الظلم والحرمان والحيف بسبب التعصـــب الديـــني الذي يتصف به الإسلام ويتخلق به المسلمون وهي فرية أخـــرى تضـــاف إلى مفـــتريات المستشرقين ، تدحضها الشريعة الإسلامية، والـــتاريخ الإســـلامي العريق في معاملة أهل الكتاب وإنصافهم ، وفيما يلي نظهـــر مـــا لغيـــر المسلمين من حقوق وحريات ينعمون بها في ظل الدولة الإسلامية .

حقوق أهل الكتاب في الإسلام:

أ- الحرية الدينية:

إن الإســـلام أرســـى قواعد العدل والتسامح في معاملة المسلمين وغير المســـلمين ، فغير المسلم له الحرية الدينية يعتقد و يتعبد كما يشاء ، فالإسلام لا يكره أحدًا على الدخول فيه لأن القرآن الكريم أرسى قواعد الحرية الدينية يقول تعالى :﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[1] وقال تعالى ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾[2]

(١) سورة البقرة آية: ٢٥٦.

(٢) سورة يونس آية ٩٩.

ب - حسن المعاملة:

ويكفــل الإســـلام أيضًا لغير المسلمين حسن الجوار ، فالمشرك له حق الجوار [١] ومن باب أولى يجعل لأهل الكتاب مكانة خاصة ، فعلى هذا يجب الإحسان إليهم وعدم الإساءة لهم .

ج ـ العلم والعمل:

ولهم الحق في التعلم والعمل والإسلام لا يمنعهم من ذلك ، فقد برز أهل الكتاب في بلاد الأندلس إبان ازدهار الحضارة الإسلامية في العلوم المختلفة حيث أظلت اليهود والنصارى والمسلمين بيئة واحدة ، سادها الوئام والتسامح والــتلاقح الفكري والحضاري ، ولا نظن أن ذلك الصرح الحضاري الرائع تكرر في أي بيئة متحضرة حتى يومنا هذا . [٢]

ويــتحدث الدكــتور مــراد هوفمـــان عن حقوق أهل الكتاب في الدولة الإســـلامية فيقول : " وتتكفل الدولة الإسلامية بحمايتهم (أى أهل الكتاب) ولهـــم حرية ممارسة كافة الحرف والأعمال والمهن ، وأداء شعائرهم الدينية في كل حين كما أن ملكيتهم الخاصة مصونة محمية ، لا ينبغي المساس بها .. ولا يجوز استعمال أي لون من ألوان الإكراه معهم لجعلهم يعتنقون الدين الإسلامي[٣].

الإسلام يدعو إلى العدل والتسامح:

لقــد أرسى الإسلام قواعد العدل والتسامح وهيأ لذلك المناخ يقول

---

(١) مختصر شعب الإيمان القزويني ص ٢٦٩ بتصرف.

(٢) الإسلام كبديل دكتور/ مراد هوفمان ص ١٠ ـــ ١١ مقدمة دكتورة أنا ماري شمل.

(٣) الإسلام كبديل . د/ مراد هوفمان ص ٢٤٠.

تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩) ﴾[١] .

يقــول الدكتور يوسف القرضاوى : " وإذا كانت هاتان الآيتان نزلتا في شــأن المشركين ، كما هو مبين في أسباب نزول السورة ــ الممتحنة ــ فإن لأهل الكتاب منزلة خاصة في اعتبار الإسلام فقد أباح القرآن الكريم مؤاكلتهم ومصـــاهرتهم أي اعتبر ذبيحتهم حلالاً كذبيحة المسلم على حين حرم ذبيحة الملحد والوثني ، وأجاز للمسلم أن يتزوج كتابية عفيفة كما قررت ذلك سورة المـــائدة ومعـــنى هذا أنه أباح للمسلم أن تكون ربة بيته وشريكة حياته وأم أولاده كـــتابية ، وأن يكـــون أصـــهاره وأخـــوال أولاده وخالاتهم وأجدادهم وجداتهم من أهل الكتاب . وهذا ذروة التسامح " [٢]

وأطـــلق الإسلام على اليهود والنصارى أسماء تظهر حرمتهم ومكانتهم الكـــريمة في العالم الإسلامي، الأول أطلق عليهم اسم–أهل الكتاب–لأنهم في الأصل أصحاب كتاب سماوي، والثاني : أطلق عليهم اسم–أهل الذمة– إشارة بأن لهم ذمة الله وذمة رسوله: أي عهد الله وعهد رسوله ألا يؤذوا ولا تهدر حقوقهم أو تخدش حرماتهم .[٣]

التحذير من إيذاء أهل الكتاب:

وقـــد حـــذر النبي ﷺ من إيذاء المعاهدين وأهل الذمة أو البغي عليهم وظـــلمهم مهما كان دينهم فقد روى البخاري في التاريخ، والنسائي عن النبي

(١) سورة الممتحنة آية ٨ ــ ٩.
(٢) بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمتغربين ص ٢٣٠.
(٣) بينات الحل الإسلامي ص ٢٣٠.

ﷺ قـال:" مـن أمن رجلاً على دمه فقتله، فأنا بريء من القاتل ، وإن كان المقـتول كافراً" [١] . وأخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النـبي ﷺ قال : "من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسـيرة أربعيـن عامـاً "[٢]. وأخرج أبو داود أن النبي ﷺ قال :"من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجـه يوم القيامة"[٣] . يقول الشيخ سيد سابق: والقاعدة العامة التي رآها الفقهاء أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا [٤].

إن بقـاء أهل الكتاب والمعاهدين والذميين في المجتمع الإسلامي كلبنة مـن لبـنات المجـتمع له فوائده التي تعم الطرفين فالإسلام بهذا يضمن لهم حقوقهـم الإنسـانية، ويؤمـن المجتمع الإسلامي من الفتن والاضطرابات، ويـتوفر للمسـلمين المـنافع الاقتصادية التي تحصل بالبيع والشراء وتبادل المنافع، والمنافع الاجتماعية بإباحة الزواج من نسائهم، والمنافع الدينية والتي تتمـثل فـي الرجاء والأمل في إسلامهم، إن وجود المعاهدين والذميين في المجـتمع الإسلامي ضرورة تحتمها المصالح العامة، ولا مصلحة ولا فائدة تـرجى من بترهم من المجتمع الإسلامي الذي يعيشون فيه، ولا فائدة تتحقق للإسلام والمسلمين بظلمهم أو البغي عليهم، من هنا كفل الإسلام لهم الحريات والحقوق المختلفة وهي كما يلي :

---

(١) فقه السنة الشيخ / سيد سابق ج ٢ ص ٩٥.

(٢) بينات وشبهات العلمانيين والمتغربين الدكتور يوسف القرضاوي ص ٢٣٠.

(٣) المرجع السابق.

(٤) فقه السنة ج ٣ ص ٦٥.

حقوق أهل الكتاب كما يرى الفقهاء:

أولاً: عـــدم إكراه أحد منهم على ترك دينه أو إكراهه على عقيدة معينة لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[1].

ثانياً : من حق أهل الكتاب أن يمارسوا شعائر دينهم، فلا تهدم لهم كنيسة ولا يكسر لهم صليب، لقوله ﷺ: "اتركوهم وما يدينون" بل من حق زوجة المســـلم" اليهودية والنصرانية" أن تذهب إلى الكنيسة أو إلى المعبد ولا حق لزوجها في منعها من ذلك.

ثالــثاً: أباح لهم الإسلام ما أباحه لهم دينهم من الطعام وغيره، فلا يقتل لهم خـــنزير ولا تراق لهم خمر ما دام ذلك جائزاً عندهم، وهو بهذا وسع عليهم أكثر مما وسع على المسلمين الذين حرم عليهم الخمر والخنزير.

رابعاً: لهم الحرية في قضايا الزواج والطلاق والنفقة، ولهم أن يتصرفوا كما يشاءون فيها، دون أن توضع لهم حدود أو قيود.

خامساً: حمي الإسلام كرامتهم، وصان حقوقهم، وجعل لهم الحرية في الجدل والمناقشة في حدود العقل والمنطق مع التزام الأدب والبعد عن الخشونة والعنف لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.[2]

سادســاً: ســـوى بينهم وبين المسلمين في العقوبات في رأي بعض المذاهب وفـــي الميـــراث سوى في الحرمان بين الذمي والمسلم، فلا يرث الذمي قريبه المسلم، ولا يرث المسلم قريبه الذمي.

([1]) سورة البقرة آية: ٢٦٥.

([2]) سورة العنكبوت آية : ٤٦.

ســـابعاً: أحل الإسلام طعامهم، والأكل من ذبائحهم، والتزوج بنسائهم. لقوله تعـــالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.[1]

ثامـــناً: أباح الإسلام زيارتهم وعيادة مرضاهم، وتقديم الهدايا لهم، ومبادلتهم البيع والشراء ونحو ذلك من المعاملات فمن الثابت أن الرسول ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهودي في دين له عليه، وكان بعض الصحابة إذا ذبح شاة يقول لخادمه: ابدأ بجارنا اليهودي .

قـــال صاحب البدائع:"ويسكنون في أمصار المسلمين، يبيعون ويشترون لأن عقـد الذمـــة شـــرع ليكون وسيلة إلى إسلامهم، وتمكينهم في المقام في أمصـــار المســـلمين أبلغ في هذا المقصود، وفيه أيضاً منفعة المسلمين بالبيع والشراء".[2].

هـــذه هـــي حقـــوق الإنسان في أرق صورها، رعاها الإسلام وطبقها المسلمون منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، فقد حفظ الإسلام حقوق الإنسان انطلاقـــاً مـــن مـــبدأ المســـاواة والتسامح والعـــدل، ودون النظر إلى أي اعتبارات أخرى مثل اللغة أو اللون أو الدين، وبهذا تسبق الشريعة الإسلامية وترتقي فوق كل المواثيق الدولية التي حاولت حفظ حقوق الإنسان، أو تدعي ذلك.

---

(١) سورة المائدة آية ٥.

(٢) نقلاً عن فقه السنة ج ٣ ص ١٤ ـــ ١٥ بتصرف.

شهادات مؤرخي الغرب ومفكريه:

بهذا صنع الإسلام أفضل بيئة يعيش فيها غير المسلمين من غير هضم لحقوقهـم. لذلك جاءت شهادات كثير من المؤرخين الغربيين تثبت أن العدل والتسـامح مع غير المسلمين كان سمة للمسلمين عبر كل العصور يذكر لنا المؤرخ "لودفيج" في كتابه "النيل-حياة نهر" كيف استقبل أقباط مصر الجيش الإسـلامي بقيـادة عمرو بن العاص- استقبال المنقذين لا استقبال الغزاة الفاتحين؟ وكيف كان ترحيبهم بالغاً حد الحماسة؟ .[١]

ويقـول لودفيـج: "إنه ماعدا فرض الجزية على المسيحي فإن عمر لم يفـرق فـي المعامـلة بين المسلمين والمسيحيين بل إنه أعلن حمايته لحرية الأديـان جميعاً، ولإقامة شعائرها وكفل المساواة بين المسلمين والمسيحيين عـلى السـواء، مساواة شملت كل حق لهم وكل واجب عليهم، بما في ذلك وظـائف الدولة، بغض النظر عن الجنس أو الدين"[٢] ويقول "جيردم وجان تاور": "إن فضيلة التسامح التي كانت أزهى السمات الخلقية في العرب والتي نـود أن تـتوافر لغيـرهم في جميع الأزمان، هذه السجية الكريمة قد أفادت العرب كثيراً ولم يكن ليفيدهم ذكاؤهم الفطري وذوقهم الفني ونزعاتهم. لو لم يتميزوا بفضيلة التسامح".[٣]

لقد لازم العدل والتسامح العرب في أحرج الأوقات وأشد المواقف، حال الفتوحات والغزوات. يقول المؤرخ والفيلسوف الفرنسي "جوستاف لوبون" في

---

(١) بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمتغربين د/يوسف القرضاوي ص ٣٢١ نقلاً عن الغرب والشرق من الحروب الصليبية إلى حرب السويس. المرحلة الأولى للأستاذ / محمد علي الغتيت ص ٧٤ ــ ٧٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

كتابه"حضارة العرب" متحدثاً عن عدل الفاتحين المسلمين وسماحتهم.

"كـــان يمكن أن تعمى فتوح العرب الأولى أبصارهم، وأن يقترفوا من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادة، ويسيئوا معاملة المغلوبين ويكرهوهم على اعتـــناق دينهم الذي كانوا يرغبون في نشره في العالم ولكن العرب اجتنبوا ذلـــك فقد أدرك الخلفاء السابقون–الذين كان عندهم من العبقرية السياسية ما نـــدر وجوده في دعاة الديانات الجديدة–أن النظم والديانات ليست مما يفرض قســـراً[١] فعامـــلوا .. أهـــل سوريا ومصر وأسبانيا وكل قطر فتحوه عاملوه بـــلطف عظيم تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم، غير فارضين عليهم سوى جزية زهيدة في الغالب، إذا ما قيست بما كانوا يدفعونه سابقاً في مقابل حفـــظ الأمن بينهم، فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب ولا ديناً سمحاً مثل دينهم.[٢]

أهل الكتاب ومناصب الدولة :

يـــزعم المستشرقون أن وصول الحركات الإسلامية إلى السلطة يعني اضـــطهاد أهـــل الكـــتاب، وإبعـــادهم عن المراكز القيادية ومناصب الدولة المختلفة، وأحداث تاريخنا الإسلامي تكذب هذا الادعاء، فالدولة الإسلامية من قديـــم كـــان النصـــارى يشغلون فيها مناصب مختلفة، يقول الدكتور/يوسف القرضـــاوى:"وقد جاءنا العالم "متز" في باب التسامح الإسلامي بتفاصيل أشد غرابة من هذه قال: إن من أعظم بواعث الاستغراب كثرة عدد غير المسلمين من رجال الأسر في الدول الإسلامية. وقد شوهد المسلم في بلاده يحكم عليه

---

(١) الواقـــع أن هـــذا الإدراك من الخلفاء الأولين ليس راجعًا إلى مجرد عبقرية سياسية كما ذكر الكاتب ، بل إلى تعاليم الإسلام التي كانت هي الموجه الأول لهؤلاء الخلفاء التي علمتهم أن "لا إكراه في الدين" وغرست فيهم روح العدل والسماحة المنقطعة النظير.

(٢) بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمتغربين د/ يوسف القرضاوي، ص ٢٣٢ نقلا عن حضارة العرب ص ٦٠٥.

النصـــارى، وحـــدث مرتين في القرن الثالث للهجرة أن كان من النصارى وزراء حـــرب وكان على القواد-حماة الدين- أن يقبلوا أيدي الوزير وينفذوا أمره هذا، والدواوين غاصة بالكتاب من النصارى".[١] وفي عصرنا الحاضر ينتشر أهل الكتاب في الوظائف المختلفة العلمية والثقافية والفنية بل والقيادية ولا تزال الدول العربية والإسلامية تستفيد من خبراتهم في جميع المجالات .

أهل الكتاب يفرون إلى الدولة الإسلامية:

لمـــا وقع الاضطهاد والعنف في أماكن كثيرة من العالم بسبب اختلاف الدين، وكان المضطهدون دينياً لا يجدون ملجأ يفرون إليه إلا بلاد المسلمين والدولـــة الإسلامية، التي اشتهرت بالعدل والتسامح، حتى تشوق أهل الكتاب للعيش تحت ظلال الدولة الإسلامية، بعيداً عن التنكيل والعذاب والظلم بسبب العصـــبية الدينية. ولم يغب العدل والتسامح عن المسلمين والدول الإسلامية منذ ولادتها إلى العصر الحاضر.

يقـــول الدكتور/مراد هوفمان: "لقد أثبتت الأمة الإسلامية يقظة فعالة في صـــيانتها حقوق الأقليات وحمايتهم كما أمر القرآن الكريم، تشهد لذلك الحياة المزدهـــرة للأقـــليات اليهودية على امتداد العالم الإسلامي وفي ظلاله، منذ العصـــور الأولى للإسلام وحتى القرن العشرين، ومن المغرب وحتى اليمن وتـــركيا .. ولقـــد آوت بلدان العالم الإسلامي اليهود،الذين هرعوا هرباً من أســـبانيا الـــتي طردتهم ونفتهم وشردتهم في الآفاق ولم يكن المسلمون لدى اليهود شيئاً مجهولاً، وإلا ما فروا إليهم ليلوذوا بحماهم"[٢] .

---

(١) بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين ص ٢٣٢.

(٢) الإسلام كبديل : ص ٢٤١.

ويقول : "توماس أرنولد" في كتاب الدعوة إلى الإسلام : "وحدث أن هرب اليهود الأسبانيون المضطهدون في جموع هائلة، فلم يلجأوا إلا إلى تركيا في نهاية القرن الخامس عشر"[١] ويتحدث عن شوق بعض الناس للعيش تحت ظلال الدولة الإسلامية للتمتع بالعدل والتسامح فيقول: "حتى إيطاليا كان فيها قوم يتطلعون بشوق عظيم إلى التركي لعلهم يحظون كما حظى رعاياهم من قبل بالحرية والتسامح الذين يئسوا من التمتع بهما في ظل أي حكومة مسيحية"[٢].

ويقول "ريتشارد ستيبز" من أبناء القرن السادس عشر[٣] : على الرغم من أن الأتراك بوجه عام شعب من أشرس الشعوب "فقد سمحوا للمسيحيين جميعاً الإغريق منهم واللاتين أن يعيشوا محافظين على دينهم وأن يصرفوا ضمائرهم كيف شاءوا بأن منحوهم كنائسهم لأداء شعائرهم المقدسة في القسطنطينية وفي أماكن أخرى كثيرة جداً، على حين أستطيع أن أؤكد بحق– بدليل اثنى عشر عاماً قضيتها في أسبانيا–أننا لا نرغم على مشاهدة حفلاتهم البابونية فحسب بل إننا في خطر على حياتنا وأحفادنا". بل إن النصارى كانوا يدعون لدولة الترك بالدوام والخلود، وهذا ما جعل بطريرك أنطاكية واسمه "مكاريوس" يقول : "أدام الله دولة الترك خالدة إلى الأبد فهم يأخذون ما فرضوه من جزية ولا شأن لهم بالأديان سواء أكان رعاياهم مسيحيين أو يهوداً أو سامرة".[٤]

---

(١) بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمتغربين د/ يوسف القرضاوي ص ٢٣٣ ــ ٢٣٤ نقلاً عن الدعوة إلى الإسلام "لتوماس أرنولد" ترجمة د/ إبراهيم وزميله وهو يحتوي على مئات الأمثلة والوقائع على سماحة المسلمين.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمتغربيين.

الإسلام وأهل الكتاب في أسبانيا:

وتؤكـد المستشرقة "زيجريد هونكه" أن أسبانيا شهدت أروع الأمثال في العـدل والتسامح، وحماية أهل الكتاب فيثبت "نموذج أسبانيا أن المسيحية لم تستأصـل أو تـنهار خلال حوالي ثمانمائة عام من الحكم العربي"[١] وأيضاً فـ"إن نموذج أسبانيا يظهر في الوقت نفسه أن اليهودية التي اعتبرتها الكنيسة المسـيحية كـبش الفـداء ومسـئولة عن موت المسيح، وتعرضت منذ قيام المسـيحية بالحـروب الصليبية إلى أسوأ الملاحقات والاضطهاد بلا توقف، بيـنما كـان اليهود يعتبرون تحت الحكم العربي "أهل كتاب" والإسلام" ملزم بحمايـتهم" وذلك حتى تم طردهم من أسبانيا التي عادت لاعتناق المسيحية، وهكذا حصلت اليهودية أثناء الحكم العربي لأسبانيا على حريتها للمرة الأولى منذ "التشتت محققة ازدهارا واستقلالاً كاملين "هكذا نال اليهود القسط الأكبر مـن العـدل والتسامح في سابقة تاريخية لم يحدث لها مثيل، وعلى الجانب الآخر تمتع النصارى بجانب كبير من العدل والتسامح لا يقل قدراً عما تمتع به غيرهم من اليهود أو المعاهدين.

وهـذه بعـض الوثائق التاريخية التي تثبت كيف كانت الدولة الإسلامية تعامل أهل الكتاب والمعاهدين:

الوثيقة الأولى:

كتبت هذه الوثيقة عندما طلب رسل أهل إيلياء السلام فسالمهم عمر بن الخطـاب وكتب لهم كتابًا هذا نصه:"بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى عـبد الله عمـر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم

(١) الله ليس كما يزعم الغرب. زيجريد هونكة ص ٥٦.

وأموالهـم ولكنائسـهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسـهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شـيء مـن أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيـلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت[١] فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل مـا على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجـزية"شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر سنة ١٥"[٢] .

إن مـن أعظـم الأدلة على عدالة وتسامح الإسلام والمسلمين، أن كل الـدول الـتي دخلها الإسلام وقد دخل أكثرها صلحاً لم تهدم فيها المعابد أو الكـنائس بـل بقيـت جنباً إلى جنب مع المساجد، وهذا ما كفلته تلك الوثيقة وغيـرها من حفظ للطوائف الدينية الأخـرى فلم تهدر دماؤهم وأموالهم أو معـابدهم، بـل لـولا الإسلام وتسامحه وعدالتـه لاندثرت ديانـات كثيرة ومحيـت من الوجود، وما بقى أحد من الطوائف الدينيةعلى قيد الحيـاة في بـلاد المسـلمين، فـبقاؤهم وممتـلكاتهم دليل على تسامح الإسلام مع غير المسلمين .

---

(١) اللصوت: هم اللصوص جمع لص. راجع لسان العرب ــ مادى: لصت.

(٢) الدولة الأموية ــ الشيخ/ محمد الخضرى ج ٢ ص ٢٧٤.

الوثيقة الثانية:

هـــي نـــص الفـــرمان (الظهير) الذي نشره السلطان محمد بن عبد الله سلطان المغرب في ٥ فبراير سنة١٨٦٤: "بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.نأمر من يقف على كتابنا هذا من سائر خدامنا وعمالـــنا والقائمين بوظائف أعمالنا أن يعاملوا اليهود الذين بسائر إيالتنا بما أوجـــبه الله تعـــالى من نصب ميزان الحق والتسوية بينهم وبين غيرهم في الأحكام، حتى لا يلحق أحدهم منهم مثقال ذرة من الظلم ولا يضام، ولا ينالهم مكـــروه ولا اهتضام وألا يعتدوا هم ولا غيرهم على أحد منهم لا في أنفسهم ولا فـــي أموالهم وألا يستعملوا أهل الحرف منهم إلا عن طيب أنفسهم وعلى شـــرط توفيـــتهم بمـــا يســـتحقونه على حساب عملهم لأن الظلم ظلمات يوم القيامـــة،ونحن لا نوافق عليه، لا في حقهم ولا في حق غيرهم، ولا نرضاه لأن الـــناس كلهم عندنا في الحق سواء، ومن ظلم أحداً منهم أو تعدى عليه، فإنا نعاقبه بحول الله، وهذا الأمر الذي قررناه وأوضحناه وبيناه كان مقرراً، ومعروفاً محرراً، لكن زدنا هذا المسطور تقريراً وتأكيداً ووعيداً في حق من يـــريد ظلمهم وتشديداً، ليزيد اليهود أمناً إلى أمنهم، ومن يريد التعدي عليهم خوفـــاً إلى خوفهـــم. صـــدر به أمرنا المعتز بالله في السادس والعشرين من شـــعبان المبارك عام١٢٨٠ ثمانين ومائتين وألف "[١] بهذه المبادئ والأسس الـــتي وضعها الإسلام، يكون قد وضع أول أساس صحيح لنظام دولي سليم قـــامت تعاليمـــه كـــلها على قواعد اجتماعية وإنسانية تتسم بالعدل والرحمة والمســـاواة[٢] وهـــذه الاتفاقيات وغيرها وضعت كل اتفاقيات السلام من قبل

---

(١) بيـــنات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمتغربين د/ يوسف القرضاوي ص ٢٣٤ ـــ ٢٣٥ نقلاً عن تاريخ المغرب في القرن العشرين روم لاندت. نقولا زيادة.

(٢) حقائق الإسلام بين الجهل والجحود الشيخ/ عبد المجيد صبح بتصرف ص ٤٥١.

ومن بعد في الظل، من حيث بعد النظر والتسامح.[1]

نظرة أهل الكتاب لغيرهم:

إذا نظرنا إلى أهل الكتاب ونظرتهم إلى أهل الملل والنحل الأخرى لرأينا تعسفاً وظلماً واضحاً بناء على توجيهات كتبهم المقدسة التي سبقت نزول القرآن الكريم، ومعروف أن الكتب السماوية التي نزلت قبل القرآن الكريم قد حرفت وبدلت لقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[2] لذلك فإن ما فيها من أسس ومبادئ لعلاقتهم مع غيرهم من أهل الأديان الأخرى ليدل على أنه ليس بكلام الله فالله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [3] فمما ورد فيها:

١- غير اليهود أجانب مهدرو الدم والمال .

٢- **في سفر الخروج:** بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضية وأمتعة ذهب وثيابًا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين. ص ٣:٢٢

٣- **وفي سفر العدد:** أنتقم نقمة لبني إسرائيل من المديانيين. فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر. وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار ص ٣١ :٣-٧-٩-١٠.

---

(١) الله ليس كما يزعم الغرب زيجريد هونكة ص ٨٦ بتصرف.

(٢) سورة البقرة آية ٧٩.

(٣) سورة النحل آية ٩٠.

٤- **وفـــي سفر التثنية:** تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحرمها بكل مـــا فيهـــا مـــع بهائمها بحد السيف تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك. ص١٣ :١٥-١٦ .

٥- الـــرب إنما التصق بآبائك ليحبهم فاختار من بعدهم نسلهم الذي هو أنتم فوق جميع الشعوب تثنية.ص١٠ ــ ١٥.

٦- **وفـــي إنجيـــل متى:** في بيان دعوة غير بني إسرائيل: [لا تعطوا القدس لـــلكلاب ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير] متى ص ٦:٧ يقول "مجدي مرجان" في كتابه " المسيح إله أم إنسان" والكلاب والخنازير كل الشعوب الأخري".

٧- **وفـــي إنجيل متى:** إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالأحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة ص١٠: ٥ -٦ وفيه نفسه :[لا تظنوا أني جئت لألقي سلامًا على الأرض، ما جئت لألقي سلامًا بل سيفًا..] متى ص١٠ :٢٤ .

٨- **ومـــثله فـــي لوقا:** جئت لألقي ناراً على الأرض.. .. أتظنون أني جـــئت لأعـــطى ســـلاماً على الأرض ص ١٢ : ٤٩-٥١ وكان من تعاليم المسيحية في عصر الحروب الصليبية القاعدة الآتية : النكث بالعهد إثم ولكن الوفـــاء بالعهد لغير المسيحي إثم أكبر[1] بل إن التعليمات التي قدمها موسى لشعبه قبل ١٨٠٠ عام عندما رحل من مصر إلى كنعان والتي تناولت طريقة التصرف إزاء الكنعانيين الذين كانوا من عقيدة أخرى، وإزاء أماكن عبادتهم كـــانت في غاية القسوة والظلم فقد قال لهم:" إنه يجب عليكم تدمير معابدهم

---

(١) حقائق الإسلام بين الجهل والجحود. ص ٤٥٢.

وتدميـــر أعمدتهم وقطع أشجارهم المقدسة وتقديم صورهم المنحوتة للنيران" كمـــا تنص التعليمات على القضاء على الشعوب نفسها: "وينبغي عليكم إفناء جميـــع الشـــعوب الـــتي لا تؤمن بإلهكم يهوه، ولا تأخذكم بهم شفقة"[1] هذه النصوص من الكتاب المقدس هي التي جعلت اليهود و النصارى في الغرب يبغضون غيرهم لاسيما المسلمين مما دفعهم إلى حروب الإبادة في أكثر من بقعـــة فـــي العالم هذا إلى جانب التضييق الواقع على المسلمين في حريتهم الدينية ولا أدل على ذلك من محاربة الحجاب والقيام بحرمان بعض الطالبات المســـلمات مـــن دخول المدارس لالتزامهن الحجاب، والتنديد بالمسلمين عند احتفالهم بالمناسبات الدينية المختلفة، والمسارعة إلى إدانة المسلمين واتهامهم عـــند وقـــوع حـــوادث العنف أو التفجيرات وجعل المسلمين كبش فداء لهذه الأحداث.

فإذا كان الغرب يتهم المسلمين بالتضييق على أهل الكتاب، فإن هذا اتهام باطل لا أساس له بدليل وقائع التاريخ التي استشهدنا بها، والحقيقة أن الغرب هـــو الـــذي يضـــيق على المسلمين . وإذا كان الغرب يتهم المسلمين بأنهم يعامـــلون أهل الكتاب على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية، فقد أثبتنا خطأ هذا الاتهام بتاريخ المسلمين الناصع والأحداث والوقائع بلا مبالغة، فإننا نقول إذاً: إن الغـــرب هـــو الذي يعامل المسلمين على أنهم مواطنون من الدرجة الـــثانية لأنهـــم محـــرومون مـــن حقوق كثيرة، فأين المسلمون في القيادات والوزارات والمراكز القيادية والحساسة في دول الغرب ألا يثبت عدم تواجد المســـلمين فـــي المراكـــز القيادية هناك أن المسلمين يعيشون هناك بحقوق محدودة وفرص أقل.

---

(١) الله ليس كما يزعم الغرب زيجريد هونكة ص ٨٦ ــ ٨٧.

وبهذا يتضح لنا من الذي يجب أن يتهم بظلم الأقليات ومن الذي يستحق أن توجـــه لـــه هـــذه الاتهامـــات، وبهـــذا يعرف من الذي يزرع الكراهية والعنصرية في عقول وقلوب الشعوب ومن الذي يحرض على ذلك.

إن هـــذه الأحـــداث والوقائع التاريخية دليل قوي على كذب الادعاءات والشبهات المثارة ضد الإسلام في موقفه من أهل الكتاب والمعاهدين.

الشبهة الثالثة

الإسلام ضد التحديث

إن معاداة الإسلام للتحديث من المسائل الهامة التي بحثها المستشرقون، حتى أصبح هناك اعتقاد سائد بأن الإسلام يقف عائقاً أمام التحديث، شأنه في ذلك شأن النصرانية في الغرب حينما حرمت العلم وأمرت بإعدام عدد من العلماء التجريبيين لكونهم يقولون بنظريات علمية تخالف كتبهم المقدسة "إن النظريات الأمريكية عن التحديث قد رفضت الدين تماماً ورفضت الإسلام بصفة خاصة ولم تعطه وزنه الحقيقي، بل كانت تتمسك بمقولة إن هذا الإسلام العتيق هو أحد العوامل المعوقة للتحديث[1]

فالغرب ينظر إلى الإسلام على أنه ظاهرة متخلفة قديمة وبالية وجامدة لا تحث على التطور والابتكار لذلك فهو ضد التحديث وذلك بسبب اهتمام الدراسات الإسلامية بالنصوص القديمة، وعدم الاهتمام بعلوم العصر الحديث-يقول جون اسبوزيتو : "لقد اعتبر الإسلام عموماً في الغرب (وبين العديد من المسلمين العلمانيين) كظاهرة متخلفة وجامدة من ناحية تعليمية واجتماعية- ثقافية، وبالتالي ضد التحديث وعزز هذا الفهم ما كان سائداً من اتجاهات لتحليل مثل تلك المفاهيم باعتبار أنها إغلاق لباب "الاجتهاد" الديني أو الإصلاح في القرن العاشر الميلادي.كان هناك العديد من الخبراء المدرسين في مجال الدراسات الميدانية بواسطة أساتذة (مؤرخين وعلماء اجتماع) ذوي خبرة قليلة في الدين الإسلامي وفي التاريخ، والعلوم السياسية

(١) الغرب في مواجهة الإسلام معالم ووثائق جديدة ص ٣٩ نقلاً عن/ حضر عن تقرير إيليتس ص ٣٣ المجتمع (٣) ص ٤٠.

حيث كان الإسلام يعالج أساساً كموروث ثقافي، وحقبة تاريخية تدرس لعلاقتها بالماضي أكثر من الحاضر، وكانت الدراسات الإسلامية موجهة من ناحية نصية وتاريخية، وبتركيز قليل على العلوم الاجتماعية وبأقل اهتمام بعلاقته بالعصر الحديث"[١].

القرآن الكريم يرفض الحداثة:

بل إن الغرب يعتبر القرآن الكريم سبب تخلف المسلمين لأنه ضد التقدم ويرفض العصرية، فقد كتب الأب جان كلوبارو J.CL.Barreau عن الإسلام والعصر الحديث. والذي صدر في باريس في شهر سبتمبر عام ١٩٩١ وعنوانه:عن الإسلام عامة والعصر الحديث بصفة خاصة. كتب فيه فصلاً عن الإسلام والعصرية أو الحداثة ليزعم فيه أن القرآن الكريم ضد أي تقدم كما يرفض العصرية وأن" الديانات التي ترفض العصرية مصيرها إلى الزوال إذ إنها تمحى من الوجود".[٢]

علماء الإسلام سبب التخلف:

ويرى مستشرق آخر أن علماء الإسلام ودعاته يقفون حجر عثرة أمام توافق الصحوة الإسلامية مع إنجازات العصر. فثقافتهم الضحلة الضعيفة وعدم مرونتهم تتسبب في انحطاط الصحوة الإسلامية وعدم ملاحقتها لتكنولوجيا العصر الحديث، فقط تستطيع الصحوة الإسلامية مواكبة إنجازات العصر الحديث عندما يتخلى عن قيادتها علماء الإسلام ليحل مكانهم قيادات أخرى أكثر ثقافة ومرونة.

---

(١) مجلة المجتمع عدد (١٠٣٧) ص ٣٠.

(٢) محاضرة وإبادة: موقف الغرب من الإسلام د/ زينب عبد العزيز ص ٣٧ — ٣٨.

يقول دكتور/محمد محمود ربيع : "يقدم كاتب آخر[١] حلولاً للأوضاع الراهنة فــي إيران فيعلق إمكانية عودتها إلى المجتمع الدولي المعاصر على رجوع رجـال الدين من الملالى والمجتهدين إلى مواقعهم الأصلية كحراس للشرع تـاركين العناصـر الأكثر ثقافة ومرونة بينهم ليكونوا ممثلين لضمير القيادة العـلمانية الجديـدة أيًّـا كان الشكل الذي ستكون عليه، حينئذ فقط تستطيع الصحوة الإسلامية في رأي الكاتب أن تتوافق مع إنجازات العصر الحديث "

تصوير الحركات الإسلامية بعداء التقدم:

ويصور"جون إسبوزيتو" الفكر السائد عن الحركات الإسلامية في الغرب بـأنهم يعادون ويحاربون التقدم والحداثة وسائر أنماط الحياة الغربية فيقول: "إن الأصـولية تشن حرباً شعواء ضد التقدم والعلمانية، والرأسمالية الغربية، والديمقراطية"[٢] حتى ثبت في العقل الغربي مفاهيم سطحية لا حقيقة لها مثل : الإسلام ضد الغرب، والأصولية ضد التقدم، التقاليد الجامدة ضد التحولات الديـناميكية، والرغـبة فـي العودة أو المحافظة على الماضي ضد التأقلم، والتكيف مع الحياة العصرية"[٣] فالمستشرقون إذا قاموا بـ "تصوير الحركات الإسـلامية على أنها مجموعات متطرفة متحجرة رجعية ومعادية للتحديث[٤] وذلك إمعاناً في تعميق الكراهية والرفض للإسلام والمسلمين.

---

(١) الصحوة الإسلامية في الدوريات غير العربية ٧٩ ــ ١٩٨٢ د/ محمد محمود ربيع ص ٤٣ نقلاً عن James A. Bill : Power and religion in reolutionary Iran Middle East Joumal. ٣٦,٧. Winter ١٩٨٢, pp. ٢٢FF.

(٢) مجلة المجتمع عدد ١٠٣٥ ص ٣٢.

(٣) المرجع السابق.

(٤) أحمد يوسف: الصحوة الإسلامية في منظار الغرب: الإسلام السياسي وتحولات الفكر المعاصر. انديانا رابطة الشباب العربي المسلم بأمريكا ط: ١٩٨١ ، ص ١٧.

مناقشة الشبهة الثالثة

عداء الإسلام للتقدم

الإسلام والعلم:

إن زعـم المستشـرقين أن الإسلام عدو للعلم والتقدم والحداثة، ليس له بـرهان بـل يستحيل أن يخرج أحد المستشرقين باستدلال على هذا الكلام. فالإسلام يحث على العلم وأول ما نزل من الوحي على الرسول ﷺ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾.[1] والإسلام يحترم العقل والتفكير ويدعو إلى النظر والتفكر في الأنفس والآفاق والسماوات والأرض ويندد بمن يتبعون الظن وبالمقلدين .

فنجد في القرآن الكريم ﴿. . . . أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2] ﴿.. .. أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[3] في كثير من المواضع وإلى جوار ذلك أشاد بالعلم والعلماء، وفضل درجة العبادة وليسـت هذه الحفاوة بالعلم والعلماء والإشادة بهم قاصرة على علم الشريعة فقـط بـل إن الإسـلام يرحب بكل علم نافع دينياً كان أو دنيوياً، بل فرضه فرض كفاية على الأمة بقدر ما يحتاج إليه المسلمون، وأمر بأخذ الحكمة من أي وعاء خرجت.وإذا نظرنا إلى كتب الحديث نجد أن علماء الحديث جمعوا من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة أبواباً تحت عنوان ـــ باب العلم ـــ أو بـاب فضـل طـلب العـلم ـــ وبهـذه المـبادئ والتوجيهات الرائدة صنع الإسلام"المناخ" النفسي والاجتماعي لازدهار العلم أو قيام حياة علمية مضيئة

---

(١) سورة العلق آية ١ ـــ ٥.

(٢) سورة يونس آية ١٦.

(٣) سورة الأنعام آية ٥٠.

الجنــبات[١] لقــد ثبت الإسلام أقدام العلم في المجتمعات وهيأ البيئة الصالحة لنموه، وفتح الطريق أمام العقول للابتكار والاختراع. وإذا نظرنا إلى العلوم المختلفة إبان ازدهار الحضارة الإسلامية لوجدنا على رأس قائمة المخترعين فيهــا العلماء المسلمون الذين تربوا في البيئة الإسلامية التي ترفع قدر العلم والعلماء.[٢]

موقف الكنيسة من العلم:

مقولة–الدين يعادي العلم–ليس لها مكان في العالم الإسلامي إذن، فقد رأيــنا موقف الإسلام من العلم والعلماء.ولكن الدين الذي عادى العلم ووقف فــي وجهه، وحكم على رجاله بالموت أو بالحرمان من ملكوت السماء، دين الكنيســة الغربية، التي حجرت على الفكر، وعارضت العلم، وتبنت نظريات قديمــة أضــفت عــليها القداسة والعصمة وحاربت كل من انتهى بحثه إلى مخالفتها، ورمته بالزندقة والإلحاد. هذا موقف دين الكنيسة لا دين المسيح[٣] فالكنيســة أعلنت أن "حكمة العالم هي حماقة"–وفق إعلان بولس–ووقف آباء الكنيسة ضد البحث العلمي لأنهم يرون أن الرغبة الفضولية في طلب المزيد مــن العــلم تقــذف الإنسان إلى الإثم والخطيئة" ويؤكدون–مع ترتوليان في تشــدد–أنــه ليس للبشر بعد المسيح"أن يشعروا بالفضول أو أن يبحثوا "أثر تــنزيل الإنجيــل، والأحرى بهم الالتفات والتوجه إلى وحي الإنجيل القادر بمفرده على تنوير الروح، في حين أن الإنسان يسيء استخدام قوى العقل إذا

---

(١) بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمتغربين د/ يوسف القرضاوي ص ١٢.

(٢) جمع الدكتور مراد هوفمان أربعة عشر عالمًا عالميًا من العلماء المسلمين المبتكرين في مختلف المجالات راجع الإسلام كبديل د/ مراد هوفمان، ص ٦٧.

(٣) بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمتغربيين دكتور/ يوسف القرضاوي ص ١٢.

تحـــرى الطبيعة واستكشفها[١] إن الكنيسة في الغرب وقفت حائلاً أمام التقدم العـــلمي ردحاً من الزمان ورفضت التجارب المعملية والاكتشافات العلمية، وحجرت على العلماء وقضت على كثير منهم بالإعدام كجاليليو أو بالنفي أو السجن مدى الحياة كما فعلت مع رواد الحضارة الأوربية روجر بيكون الذي سُـــجن ومـــات في سجن مظلم رطب ولقد تحدث بيكون عن سلطة الكنيسة المســـتبدة وعن تعلمه على يد كبار علماء العرب فقال: "إذا لم نتعرف على جمال الكون العجيب المنتظم، الذي نعيش فيه، فإننا نستحق أن نطرد خارجه، مثل الضيف العاجز عن تقدير البيت الذي يستقبله. لقد تعلمت شيئاً من كبار عـــلماء العـــرب حول القيادة بواسطة العقل، ولكنك أنت تقتفي صورة سلطة مســـتبدة ولكـــأنك مكبل باللجام.. .. وعندما تقاد الحيوانات باللجام إلى أحد الأمكـــنة، فإنها لا تستطيع التمييز إلى أين، ولماذا تقاد إنها تجري فقط وراء الحـــبل الـــذي توثق به. هكذا تقود سلطة الكنيسة عدداً غير قليل منكم، فأنتم مكبلون بقيودها لأنكم تصدقونها بسذاجتكم الحيوانية[٢] إن العلم التجريبي عند الكنيســـة قديمـــاً كـــان بمثابة السحر أما أدواته فكانت توصف بأنها أدوات شيطانية.

موقف الغرب من الدين:

إن موقـــف الكنيسة المتسلط من العلم هو الذي دفع الغرب إلى اعتقاد أن الديـــن مـــن معوقات التحديث وأنه ضد التقدم والحداثة في سائر مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وهذا ما دفع المستشرقين إلى اتهام الإســـلام بـــالعداء للـــتقدم والحداثة. فهذه نظرة الغرب للدين عامة وللإسلام

(١) الله ليس كما يزعم الغرب زيجريد هونكة ص ٨٩.

(٢) المرجع السابق.

خاصة، وذلك بسبب التجربة القاسية للغرب مع الكنيسة. يقول جون إسبوزيتو عن موقف الغرب من الدين:" إن القبول بالمفهوم "الواعي" لفصل الكنيسة عن الدولة وبالنماذج العلمانية الغربية للتطور قد وضع الدين جانباً مع المعتقدات التقــليدية الــتي لها قيمة كبيرة عند فهم الماضي ولكنها غير ملائمة وتعتبر عقــبة أمــام الــتقدم السياسي والاقتصادي والاجتماعي الحديث. إن كلاً من نظــرية التنمية أو العلاقات الدولية لم تعتبر الدين عنصر تغيير في التحليل السياســي"[١] لقد وضع الغرب العلم التجريبي مكان الدين واعتبروا الدين "في عصــر العلوم الطبيعية اليوم صورة متواترة للتخلف العقلي وعجز الإنسان عــن حــل مشكلاته أو التغلب عليها .. لقد أراد نيتشه أن يعدم الإله فباءت محاولــته بالفشــل، وكان لزاماً أن تفشل، أما علماء الطبيعة فقد تعمدوا قتل الإيمان به وقد كان لهم ما قصدوا قصداً "[٢] هذا هو موقف الغرب من الدين عامة والإسلام خاصة.

القرآن الكريم والتقدم العلمي:

يــزعم الغــرب أن القرآن الكريم سبب تخلف المسلمين، وأنه يرفض الــتقدم والحداثة، والحقيقة عكس ذلك فالقرآن الكريم فجَّر ينابيع الحكمة في المســلمين، ووجه العقول إلى التفكير والتدبر. وإذا تتبع الباحثون مادة "عقل" و"نظر" و "تفكر" و"فقه" و"علم" و"برهان" و"لب" ونحوها لخرجوا بشيء كثير وكثير جداً .[٣]

---

(١) مجلة المجتمع عدد ١٠٣٨ ص ٢٩.

(٢) الإسلام كبديل د/ مراد هوفمان ص ٧٥.

(٣) بينات الحل الإسلامي ص ١٣ د/ يوسف القرضاوي هامش بتصرف.

ومــن المستحيل أن يأتي أحد المستشرقين بدليل على أن القرآن الكريم يحظر التفكير على المسلمين، أو يفرض قيوداً على العقول يحول بينها وبين الــتفكير، بــل على العكس من دعوى المستشرقين نجد القرآن الكريم حافلاً بالآيــات والــتوجيهات الــتي تحــث على التفكير في أسرار الكون والنفس والحيوان والنبات والبحار، والسماوات وما فيها من آيات والأرض وما فيها مــن أســرار وطاقات، والآفاق وما فيها من عجائب. آيات تدعو إلى التأمل الإجمــالي فــي حقــائق الموجودات وآيات تحض على التأمل التفصيلي في الكائنات، وأخرى تحث على العمل وعمارة الأرض ويضيق المقام إذا حاولنا رصــد كــل ما في القرآن الكريم من نصوص في هذا المجال، وهذه بعض الآيــات فــي هذا الشــأن[1]. ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾[2]- ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[3]- ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾[4] - ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5] هكــذا يضع القرآن الكريم الكون أمام المسلمين على بساط البحث والدراسة بدون قيود تكبله عن التفكير المثمر.

موقف الحركات الإسلامية من التقدم والحداثة:

ممــا سبق يتضح لنا أن الإسلام لا يتعارض مع العلم أو التقدم، وعلى هــذا مضت الحركات الإسلامية تتبنى نفس الفكر وتنتهج المنهاج الإسلامي القويم، فأبناء المسلمين نجدهم في الأقسام العلمية في كثير من الجامعات على

(١) افتراءات المستشرقين على الإسلام. عرض ونقد د/ عبد العظيم المطعني ص ٤٠ ــ ٤١. بتصرف.
(٢) سورة الأعراف آية ١٨٥.
(٣) سورة يونس آية ١٠١.
(٤) سورة الذاريات آية ٢١.
(٥) سورة الرعد آية ٣.

مســتوى العالم كله، اقتحموا كثيراً من التخصصات، ولم يقفوا عند تخصص معين، بل إنهم اقتحموا التخصصات الدقيقة والرفيعة ولم تكن هناك خصومة بين الحركات الإسلامية والعلم والتقدم يوماً ما.

غيــر أن إطــلاق الغرب مصطلح الأصولية على الحركات الإسلامية أعــاد للأذهــان هذه المأساة التي أحدثتها الكنيسة بموقفها المتشدد من العلم والعــلماء، وبهــذا خفيت الحقيقة عن الغرب باستخدام المصطلحات التي لا تتناســب مع الظاهرة.يقول جون إسبوزيتو:"إن كل الذين يطلق عليهم تسمية الأصــولية قــد وضعوا في بوتقة واحدة مع تجاهل حقيقة أن العديد منهم قد تــلقوا دراســات عصــرية، ويــتولون مناصب ومواقع تخصصية رفيعة، ويشاركون في المسار الديمقراطي "[١] فالغرب يلقي بظلال الغموض والتعتيم والمعــلومات الناقصة والمزاعم التي لا دليل عليها.حتى تحقق النتائج السلبية في الغرب تجاه الإسلام والتيار الإسلامي والحقيقة كما يقول جون إسبوزيتو: "إن غالــبية المــنظمات التي تسمى بالأصولية هي في واقع الأمر منظمات قائمة في مناطق حضرية ويقودها زعماء على درجة جيدة من التعليم ولديهم قــدرة عــلى جــذب الطلاب والأتباع ولديهم مواقع رفيعة في التخصصات المختــلفة" الهندســة والعــلوم والطب والقانون والتعليم والعسكرية" أو أنهم يشــاركون في تقديم الخدمات الاجتماعية والطبية وأبرزوا قدرات عالية من داخل النظام السياسي"[٢].

التيار الإسلامي بين التقاليد والحداثة:

إن العــداء الحقيقي من الإسلام والحركات الإسلامية ليس للعلم والتقدم

---

(١) مجلة المجتمع عدد ١٠٣٥ ص ٣٢.

(٢) المرجع السابق.

بل للعادات والتقاليد البالية، فالتيار الإسلامي يعادي الجمود والتخلف والسير فـــي نفـــس المكـــان أو إلى الوراء وقد نقل أحد المستشرقين المنصفين وهو "فرانسوا بورجا" عن أوليفييه روا" قوله: "فإن عدو الأصوليين ليس المعاصرة (.. ..) ولكن التقاليد.[١]

فالتيار الإسلامي يتقبل المعاصرة والتطور، وينظر إلى إفرازات التقدم العـــلمي والحضـــاري والتكنولوجي على أنها أدوات عصرية لخدمة الإنسان الـــذي ســـخر الله له ما في السموات وما في الأرض. يقول فرانسوا بورجا: "يتقـــبل تيار الإسلام السياسي صراحة المعاصرة ومظاهرها التكنولوجية"[٢]. فهل بعد هذا يبقي أثر لاتهام الغرب للإسلام والحركات الإسلامية بعداء التقدم والحداثة؟.

(١) الإسلام السياسي: صوت الجنوب. فرانسوا بورجا . ت/ د لورين ذكرى نقلاً عن ROY Olivier. L Afghanistan PO. CIT.

(٢) السابق ص ٤٥.

الشبهة الرابعة

اضطهاد الإسلام للمرأة

١- المرأة أداة للمتعة:

مـــن قديم والغرب ينظر للمرأة المسلمة نظرة خيالية موغلة في الوهم بعيدة عن الواقع ولم ير الغرب في مكانة المرأة المسلمة إلا المهانة والإذلال والحرمان، فهن مادة بلا روح، تباع وتشترى، كالبضاعة يمتلكها الآباء، ولا تعدو بعد إلا أن تكون أداة لمتعة الرجل.هذه الصورة للمرأة المسلمة في العقل الغربي تثبتها المستشرقة الألمانية زيجريد هونكة فتقول: "وراء أسوار الحريم وبعيداً عن نظرات الرجال، تختبئ النسوة، وفي أجواء مفعمة بحياة حب بلا زمـــام، وفـــي أجـــواء التكاسل والثرثرة والغيرة والانشغال بالنساء الثلاث الأخـــريات.هكذا اعتاد الأوربي أن يرى النساء في عالم الإسلام. اللواتي لا يســـمح لهن بمغادرة الحريم إلا بعد سترهن بحجاب كثيف كامل، وقد خلقن لمـــتعة الرجل، إنهن كيان بلا روح، مضطهدات وبلا حقوق، يبعن من قبل آبائهن كالبضاعة.[1]

٢- المرأة المسلمة بضاعة تباع بالمال:

وانطلاقـــاً مـــن نظرة الغرب المادية لا يرون في المرأة المسلمة سوى بضـــاعة تـــباع بالمال والدليل على هذا ما يدفعه الزوج لها عند الزواج من أموال، هذا المال المقدم من الزوج هو عبارة عن القيمة للسلعة التي سيمتلكها

---

(١) الله ليس كما يزعم الغرب زيجريد هونكة ترجمة / نور حنبلي ٦٩ ط دار النشر الألمانية: هوريتونت الطبعة الثالثة عام ١٩٩١م.

بعــد إتمام مراسم الزواج تقول زيجريد هونكة: " فالتهيؤات الغربية ترى أن المــرأة بضـــاعة يدفع الرجل ثمنها لأسرتها.فالعريس يدفع "المهر" للعروس فتحصـــل عـــلى نصفه قبل إتمام الزواج ولها حق التصرف الكامل به. وفي حالـــة الطلاق يجب عليه دفع النصف الباقي من المهر، حتى يضمن وضعها المالي وهذا ما يقود إلى جوهر علاقتهما"[١]. فكأن العلاقة بين الزوجين قائمة على المادة وحدها لا مكان للعواطف والمودة والسكن، علاقة ملؤها الجفاف والجفاء، تلك هي نظرة الغرب للزواج عند المسلمين .

٣-الإسلام وتعطيل طاقات المرأة:

إن لـــدى الغـــرب قـــناعة بأن الإسلام قيد حرية المرأة، وجعلها خادمة لشـــئون البيت مستذلة مستضعفة لا تستثمر طاقاتها، تلك الصورة التي تنتشر في الغرب عن المرأة المسلمة تقف عائقاً أمام انتشار الإسلام. يقول الدكتور مـــراد هوفمـــان: "لكن العقبة الكؤود الكبرى التي تقف حجر عثرة في سبيل انتشار الإسلام في الغرب المسيحي، تتمثل في الرأى السائد الثابت لدى غير المســـلمين الـــذي يدمغ صورة المرأة المسلمة ذاهباً إلى أنها مقيدة الخطى لا يطلق لها العنان لاستثمار طاقاتها، دورها على المطبخ مقصور وفي شؤون البيت وتربية الأطفال محصور، لا ترى إلا ملثمة وأوقاتها بين زوجها وربها مقسمة ثم هي بعد ذلك كله مستذلة ومستضعفة".[٢]

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الإسلام كبديل د/ مراد هوفمان ص ١٩٧.

مناقشة الشبهة الرابعة

اضطهاد الإسلام للمرأة

أبـرز ما أثير في هذه الشبهة:

١-نظرة الغرب للمهر على أنه ثمن لبضاعة تباع.

٢-احــتقارهم لنظام تعدد الزوجات لأنه في رأيهم مظهر من مظاهر الشهوة الطاغية.

٣-اعتبارهم أن الإسلام أعاق حرية المرأة، وقيدها وعطل طاقاتها ومواهبها.

حكمة المهر في الإسلام

أما نظرة الغرب للمرأة المسلمة على أنها بضاعة تباع بدليل المهر الذي يدفعــه الرجل عند الزواج، فهي نظرة تثير الاندهاش والتعجب، لأن الغرب نفســه لــم يقــل هــذا على بيع الأعراض الحقيقي، والدعارة العلنية لبائعي وراغبي الهوى لم يقل الغرب ذلك على النساء اللاتي يعرضن علانية أو شبه عرايا لممارسة البغاء، وما أكثر ذلك في بلاد الغرب ويبدو أن ذلك من قبيل العمل المشروع عندهم، فهو عمل مقابل أجر، بالرغم من هذا لم يقل الغرب عــن البغاء أن المرأة تباع وتشترى، مع أن الإقبال عليها لمجرد الشهوة فقط ثم تنبذ بعد ذلك.

أمــا الإسلام فإنه ينظر إلى الزواج على أنه طاعة لله، ولون من ألوان

العــبادة، هــذا إلى جانب أن الزواج في الإسلام يعقد بنية الاستمرار فيه[١] والمهر في هذا الزواج هو إحدى الضمانات المالية للمرأة، وهو رمز لتكريم المرأة، وتعزيز لوضعها المالي لما قد يستجد من أحداث في الحياة الزوجية، فــلا تكــون عرضة للضياع أو الحاجة أو السؤال، والمهر من الأمور التي امــتازت بها الشريعة الإسلامية في تكريم النساء على جميع الشرائع والنظم الــتي عليها البشر الآن فبعض الشعوب غير المسلمة تفرض على المرأة أن تدفع هي المهر للرجل فتضطر المرأة العذراء إلى العمل والكدح لتجمع قدراً مــن المال تقدمه لمن يقترن بها[٢] لا سيما من لا تجد عائلاً لها من والد أو غيــره يــبذل لهــا المال المطلوب. أليس إيجاب الإسلام للمهر على الرجل صورة من صور تكريم الإسلام للمرأة حتى لا تتعرض للإهانة أو المشقة أو الحاجة.

مشكلة التعدد:

من الأمور التي يستنكرها الغرب على الإسلام إباحته للرجل أن يتزوج بأربع نسوة، وأن ذلك يعتبر من قبيل الإسراف في الشهوة، والحق أن الإسلام لــم يبــتدع أو يخــترع مبدأ تعدد الزوجات، بل جاء الرسول ﷺ بالشريعة السـمحاء وكــان التعدد للزوجات متفشياً بلا تقييد للعدد. ولم يكن ذلك عند العــرب فقط بل عند كثير من الأمم وقد ورد في الحديث عن وهب الأسدى، قال: أسلمت وعندى ثمان نسوة، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ: "اختر مــنهن أربعــاً"[٣] لقد قيد الإسلام إذًا تعدد الزوجات ونظمه ووضع الشروط

([١]) الإسلام كبديل د/ مراد هوفمان ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣.

([٢]) حقوق النساء في الإسلام محمد رشيد رضا ص ٢٢.

([٣]) صحيح سنن أبي داود ج ٢ تصحيح محمد ناصر الدين الألباني برقم ١٩٦٠ ــ ٢٢٤١ ط مكتب التربية العربي بدول الخليج.

والضوابط التي تكفل نجاحه إذا حدث يقول الشيخ البهي الخولي: "مما أدركه الإســلام من عادات الجاهلية، وآثار البداءة الأولى، تعدد الزوجات، فقد كان معروفاً من قبله في كل بيئة متحضرة وغير متحضرة، وثنية وغير وثنية..، وكان اليهود والعرب يمارسونه على نطاق واسع لا يتقيدون فيه باعتبار من الإعتــبارات. وكان طبيعياً أن يعرض الإسلام لعلاج تلك الفوضى فيما جاء يصــلحه من أمور الناس، وينظمه بما يكفل خيره، ويمنع ضرره وشره، فلم يحــرمه كــل التحريم ولم يبقه مطلقاً من كل قيد أو شرط كما كان عليه من قبل، بل قيده وهذبه، وجعله وافياً بحقوق المصلحة العامة".(١)

أسباب التعدد:

ومن الجدير بالذكر أن هناك أموراً تطرأ على المجتمعات من حروب أو مشــاكل اجتماعية تجعل التعدد هو الحل الوحيد لمثل هذه الأزمات العاصفة، فمن أسباب التعدد:

١-عقــم المــرأة ورغــبة الزوج في النسل، أو مرض الزوجة بمرض مــزمن يعــوق الــرجل عن التمتع بها. إن الشرع في هذه الحالات لا يأمر بطلاق المرأة ونبذها، بل من الوفاء الإبقاء عليها في محنتها وفي المقابل أباح التعدد لأصحاب هذه الحالات، فهذا أفضل من الانزلاق في الحرام بالعلاقات غير الشرعية.(٢)

٢-زيادة عدد الإناث على الذكور في المجتمع لا سيما بعد الحروب كما حــدث بعــد الحرب العالمية مثلاً، فلو كان تعدد الزوجات مسموحاً به، لما

---

(١) الإسلام و المرأة المعاصرة ص ٨٣.

(٢) حقوق النساء في الإسلام محمد رشيد رضا ص ٦٦ والمرأة المعاصرة ص ٩٠/ ٩١ وافتراءات المستشرقين على الإسلام. عبد العظيم المطعني ص ١٦٧.

اضطر عدد كبير من النساء والشابات الراغبات في الزواج إلى البقاء بدون زواج، كمـــا نعرف من واقع ذلك الجيل عقب الحرب[١]. وقد جاء في جريدة الأهـــرام بـــتاريخ ١٣ ديسمبر ١٩٦٠م أنه قد"اكتشف وثيقة بخط يد مارتن بورمـــان نائب هتلر، كان قد كتبها في عام ١٩٤٤م يقول فيها:إن هتلر كان يفكر جدياً في أن يبيح للرجل الألماني الزواج من اثنتين لضمان مستقبل قوة الشعب الألماني.[٢]

أليـــس ذلك صدى لصوت الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ويؤيد هذا أيضاً أن فتيات ألمانيا تمردن على شريعة الزنا عقب الحرب العالمية الثانية، ورفض أن تقضى إحداهن حياتها مبتذلة بعرضها في سوق الدعارة وأن تبوء في خاتمة المطاف بوليد غير شرعي .. وقمن بدعوة طريفة، ينادين فيها أن يكون الزواج مناوبة بين النساء فتقضي إحداهن مع الرجل أجلاً محدوداً، ثم تخـــلي السبيل لغيرها لتستوفي حظها .. وقد أسسن الجمعيات للمناداة بذلك[٣] إنه نداء الفطرة في النفوس السوية التي تؤثر الاتصال الشرعي بالرجل على الاتصال الخبيث.

شهادات من نساء الغرب:

لا غرو بعد ذلك أن نرى بعض عاقلات نساء الغرب يصرحن بتمني تعـــدد الزوجات للرجل الواحد ليكون لكل امرأة قيم وكفيل من الرجال، وهذه بعض ترجمات لطائفة منهن:

---

(١) الإسلام كبديل د/ مراد هوفمان ص ٢٠٠.

(٢) الإسلام والمرأة المعاصرة ص ٩٣ — ٩٤.

(٣) الإسلام والمرأة المعاصرة ص ٩٣ — ٩٤.

جاء في جريدة [لاغوص ويكلي ركورد] في العدد الصادر في ٢٠ابريل "نيسان" سنة ١٩٠١م نقلاً عن جريدة "لندن ثروت"بقلم كاتبة فاضلة ما ترجمته ملخصاً:"لقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء وقل الباحثون عن أسباب ذلك، وإذا كنت امرأة أراني أنظر إلى هاتيك البنات وقلبي يتقطع شفقة عليهن وحزناً وماذا عسى يفيدهن بثي وحزني وتوجعي وتفجعي وإن شاركني فيه الناس جميعاً؟؟ لا فائدة إلا في العمل إلا بما يمنع هذه الحالة الرجس ولله در العالم الفاضل "تومس" فإنه رأي الداء ووصف الدواء الكامل الشفاء وهو (أن يباح للرجل التزوج بأكثر من واحدة) وبهذه الواسطة يزول البلاء لا محالة وتصبح بناتنا ربات بيوت، فالبلاء كل البلاء في الرجل الأوربي على الاكتفاء بامرأة واحدة، فهذا التحديد هو الذي جعل بناتنا شوارد وقذف بهن إلى التماس أعمال الرجال، ولا بد من تفاقم الشر إذا لم يبح للرجل بأكثر من واحدة.

"أي ظن وخرص يحيط بعدد الرجال المتزوجين الذين لهم أولاد غير شرعيين أصبحوا كلاً وعاراً على المجتمع الإنساني؟ فلو كان تعدد الزوجات مباحاً لما حاق بأولئك الأولاد وبأمهاتهم ما هم فيه من العذاب الهون، ولسلم عرض أولادهن فإن مزاحمة المرأة للرجل ستحل بنا الدمار. ألم تروا أن حال خلقتها تنادي بأن عليها ما ليس على الرجل وعليه ما ليس عليها. وبإباحة تعدد الزوجات تصبح كل امرأة ربة بيت وأمًا لأولاد شرعيين.

ونشرت الكاتبة الشهيرة (مس اترود) مقالة مفيدة في جريدة (الاسترن ميل) في العدد الصادر منها في ١٠/٥/١٩٠١ نقتطف منها ما يأتي:

"لأن يشتغل بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاء من

اشـــتغالهن في المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد. ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهارة رداء الخدمة والرقيق: يتنعمان بأرغد عيش، ويعاملان كما يعامل أولاد البيت، ولا يمس الأعراض بسوء. نعم إنه لعار على بلاد الإنكليز أن تجعل بناتها مثلاً للرذائل بكثرة مخالطة النساء، فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل عـــلى مـــا يوافق فطرتها الطبيعية من القيام في البيت وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها.(١)

كلمات لبعض علماء أوربا في التعدد:

للدكـــتور جوستاف لوبون أقوال في تعدد الزوجات، أثبت من خلالها عدالـــة الإسلام في التعدد، وضرورته الاجتماعية. وله عبارة مختصرة في كـــتابه روح السياســـة قالها في سياق الكلام على إصلاح أمور المسلمين في الجزائر هذه ترجمتها:

"وأهم إصلاح يراه الموسيو (لروابوليو) هو تحريم تعدد الزوجات، قد أســـهب فـــي بيان فوائد الاقتصار على زوجة واحدة فقال: "إن تدبير المنزل يقـــوم عـــلى الزوجة الواحدة فقط فبتعدد الزوجات تزول روح العائلة وهناء البيت وينحط المجتمع العربي".

"ولا أريد أن أبين الأسباب التي جعلت الشرقيين يقولون بتعدد الزوجات وأن أذكر أن تعدد الزوجات الشرعي عند الشرقيين خير من تعدد الزوجات الخبيث المؤدي إلى زيادة اللقطاء في أوربا".

"وقـــد ثـــبت فـــي أيامـــنا أن توقف ارتقاء المسلمين لم ينشأ عن تعدد

(١)حقوق النساء في الإسلام محمد رشيد رضا ص٧٤ — ٧٦.

الزوجات. وهل من الضروري أن أذكر أن العرب وحدهم هم الذين أطلعونا على العالم الإغريقي الروماني وأن جامعات أوربا ومنها جامعة باريس لم تعرف في ستة قرون لها مورداً علمياً غير مؤلفات العرب وتطبيق مناهجهم؟ فحضارة العرب هي إحدى الحضارات التي لم يعرف التاريخ ما هو أكثر منها نضارة .. .. غير أننا نرى من السذاجة أن نعزو إلى مبدأ تعدد الزوجات انحطاط المجتمع العربي". ويرى العالم (فون أهر مسلس) الألماني "أن قاعدة تعدد الزوجات لازمة أو ضرورية للسلائل الآرية أي نموها وبقائها".(١)

لمحات عن مكانة المرأة قديماً وحديثاً

كانت مكانة المرأة قديماً وحديثاً غاية في السوء والانحطاط لدرجة أن حقوقها الضرورية حرمت منها، وباستعراض بعض الحضارات والمجتمعات قديماً وحديثاً يتبين لنا مكانة المرأة الحقيقية في هذه المجتمعات، ولمعرفة المكانة التي ارتفعت إليها المرأة في ظل الإسلام كان لازماً علينا أن نلقي نظرة على مكانة المرأة في ظل المناهج الأرضية والحضارات المختلفة.

أ-مكانة المرأة في المجتمع الهندي:

نزلت النساء في هذا المجتمع منزلة الإماء، وكان الرجل قد يخسر امرأته في القمار، وكان في بعض الأحيان للمرأة عدة أزواج فإذا مات زوجها صارت كالموءودة لا تتزوج، وتكون هدف الإهانات والتجريح، وكانت أمة بيت زوجها المتوفى وخادم الأحماء، وقد تحرق نفسها على إثر

---

(١) حقوق النساء في الإسلام محمد رشيد رضا ص ٨١ ــ ٨٣.

وفـــاة زوجها تفادياً من عذاب الحياة وشقاء الدنيا[١] بل نجد في أساطير مانو أن مـــانو" عـــندما خلق النساء فرض عليهن حب الفراش، والمقاعد، والزينة والشهوات الدنسة، والغضب والتجرد من الشرف، وسوء السلوك .. فالنساء دنســـات كالباطل نفسه، وهذه قاعدة ثابتة" .. وفي تشريع مانو " أن الزوجة الوفية ينبغي أن تخدم سيدها–زوجها–كما لو كان إلهًا وألا تأتي شيئاً من شأنه أن يؤلمـــه حـــتى إن خـــلا من الفضائل .. وكانت المرأة بناء على ذلك كله تخاطب زوجها في خشوع قائلة: يا مولاي: وأحيانا: يا إلهي .. وتمشي خلفه بمســـافة، وقلما يوجه هو إليها كلمة واحدة .. وكانت لا تأكل معه، بل تأكل ممـــا يتـــبقى منه"[٢] هذه مكانة المرأة في المجتمع الهندي صاحب الحضارة العريقة.

ب–المرأة في المجتمع العربي القديم:

وكـــانت المـــرأة في المجتمع الجاهلي العربي، ليس لها مكانة تذكر، فضـــلاً عن كره الرجال لها، خشية الفقر والعار الذي يلحق بهم، لأن المرأة كانت غنيمة يسيرة للقبائل المعادية يظفرون بها للخدمة والاستمتاع. لذلك كان بعضـــهم إذا ولـــدت له أنثى عراه الغم الشديد ويتردد بين أن يبقيها على قيد الحيـــاة مـــع احتمال تعرضه للمهانة والعار، أم يقتلها أو يدفنها حية وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩)﴾[٣]

بل كانت المرأة تحرم من إرثها وتعضل بعد الطلاق أو وفاة الزوج من

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين السيد الفاضل/ أبو الحسن الندوي ط مكتبة الدعوة الإسلامية ص ٥١.

(٢) الإسلام والمرأة المعاصرة البهي الخولي ص ١١ ط دار القلم.

(٣) سورة النحل آية ٥٨ ــ ٥٩.

أن تـــنكح زوجًا ترضاه، وكانت المرأة يورث كما تورث المتاع والدابة، عن ابـــن عباس قال: كان الرجل إذا مات أبوه أو حميه فهو أحق بامرأته إن شاء أمسكها أو يحبسها حتى تفتدي بصداقها أو تموت فيذهب بمالها". وقال عطاء بن أبي رباح: إن أهل الجاهلية كانوا إذا هلك الرجل فترك امرأة حبسها أهله على الصبي يكون فيها، وقال السّدي: إن الرجل في الجاهلية كان يموت أبوه أو أخـــوه أو ابنه فإذا مات وترك امرأته فإن سبق وارث الميت فألقى عليها ثوبـــه فهـــو أحق بها أن ينكحها بمهر صاحبه أو ينكحها فيأخذ مهرها، وإن ســبقته فذهبت إلى أهلها فهي أحق بنفسها، وكانت المرأة في الجاهلية يطفف معها الكيل، فيتمتع الرجل بحقوقه ولا تتمتع هي بحقوقها، يؤخذ مما تؤتى من مهر وتمسك ضراراً للاعتداء، وتلاقي من بعلها نشوزاً أو إعراضاً، وتترك فـــي الأحيـــان كالمعلقة، ومن المأكولات ما هو خالص للذكور ومحرم على الإناث، وكان يسوغ للرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء من غير تحديد.[1]

ج-مكانة المرأة في الصين:

كـــانت المرأة تحتل مكانة هينة، ولقد كتبت إحدى سيدات الطبقة العليا في الصين رسالة قديمة تصف فيها مركز المرأة ومما جاء فيها "نشغل نحن النســـاء آخـــر مكان في الجنس البشري، ويجب أن يكون من نصيبنا أحقر الأعمـــال ومن أغانيهم: ألا ما أتعس حظ المرأة ليس في العالم كله شيء أقل قيمـــة منها. إن الأولاد ــ يقصد الذكورــ يقفون متكئين على الأبواب كأنهم آلهة سقطوا من السماء أما البنت فإن أحداً لا يسر بمولدها .. .. وإذا كبرت اختـــبأت فـــي حجرتها تخشى أن تنظر في وجه إنسان.. ولا يبكيها أحد إذا

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين السيد الفاضل / أبو الحسن الندوي ص ٥٩ــ ٦٠.

اختفت من البيت".[١]

د-مكانة المرأة عند اليونان:

مـــن العجيب أن اليونان إبان حضارته لم ينظر إلى المرأة نظرة عادلة، وبالـــتالي لـــم يكـــن لـــلمرأة دور في ازدهار حضارته فكانت معزولة عن المجـــتمع، تعيـــش فـــي أعماق البيوت على أنها سقط متاع، حتى إن كبار مفكـــريهم قالوا: "يجب أن يحبس اسم المرأة في البيت كما يحبس جسمها"[٢] وكـــان ينظر إلى الزوجية على أنها "وظيفة" لاستيلاد الأطفال لا تعلو كثيراً عـــن "وظيفة" الخدمة في البيوت .. ولم يكن من الأوضاع المألوفة أن تكون الـــزوجة موضـــع حب أو معاطفة يصور أحدهم وهو-ديموستين- نظرتهم للمرأة فيقول: إننا نتخذ العاهرات للذة، ونتخذ الخليلات للعناية بصحة أجسامنا اليوميـــة، ونتخذ الزوجات ليلدن لنا الأبناء الشرعيين" .. فالمرأة كانت تنتقل إلى بيـــت الزوجية لا تكون سيدة البيت في بيت زوجها، بل لتؤدي فيه-إلى جانب الخدم- وظيفتها في استيلاد الأطفال".[٣]

هـ-مكانة المرأة إبان الحضارة الرومانية:

في عهد الجمهورية الأول كان رب الأسرة هو رئيسها الديني وحاكمها السياسي ومديرها الاقتصادي، فإليه ترجع الحقوق كلها فهو الذي يملك ويبيع ويشـــتري، ويـــتعاقد ويتصرف في كافة شئون الأسرة .. .. ولم يكن للمرأة شيء، فليس لها أهلية أو شخصية قانونية فالقانون اعتبر الأنوثة سببًا لانعدام الأهلية، كحداثة السن والجنون .. ومن ثم فلا تصلح أن تكون شاهدة. وأيضاً

---

(١) الإسلام والمرأة المعاصرة بهي الخولي ص ١١ نقلاً عن حضارة الصين ول ديورانت ص ٢٧٣ ت. محمد بدران.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

فـــإن البائنة المالية "الدوطة" التي كانت تنتقل بها المرأة من بيت أهلها تصير مـــلكاً خالصــاً لزوجها بمجرد تحولها إليه .. ولقد عرف الرومان نوعاً من الزواج اسمه "الزواج بالسيادة" وبه تدخل المرأة في سيادة زوجها وتصير في حكــم ابنته، وتنقطع صلتها بأسرتها الأولى، ولقد بلغ من سيادة زوجها عليها أنـــه كان يحاكمها على جرائمها ويعاقبها بنفسه، وله أن يحكم عليها بالإعدام فـــي بعض التهم كالخيانة .. وكان إذا توفي عنها زوجها دخلت في وصاية أبنائها الذكور أو إخوة زوجها أو أعمامه.[١]

و-المرأة عند أهل الكتاب:

أ-عند اليهود:

بالـــرغم مـــن أن اليهودية دين سماوي، إلا أن بعض طوائفهم اعتبروا البنت دون مرتبة أخيها، وهبطوا بها حتى سووها بالخدم، وكانت لا ترث مع إخوتها الذكور .. وكان لأبيها أن يبيعها وهي طفلة دون البلوغ.[٢]

ب-عند النصارى:

غـــلا رجال الكنيسة في إهدار شأن المرأة .. فكانوا يقولون للنساء.. "إنه أولى لهن أن يخجلن من أنهن نساء، وأن يعشن في ندم متصل جزاء ما جلبن عـــلى الأرض مـــن لعـــنات" وأنهن باب للجحيم وهن الخطيئة مجسمة وقال بعضهم: إن أجسامهن من عمل الشيطان، وأنه يجب لعن النساء لأنهن سبب

---

(١) الإسلام والمرأة المعاصرة ص ١٢ نقلاً عن مبادىء القانون الروماني د/ محمد عبد المنعم ، د/ عبد المنعم البدراوي ص ١٩٧ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق.

الغواية، وقالوا: إن الشيطان مولع بالظهور في شكل أنثى[١]، بل اختلفوا في كونهـــا إنســـاناً ذا نفـــس وروح خالدة كالرجل أم لا؟ وفي كونها تلقن الدين وتصح منها العبادة أم لا؟ وفي كونها تدخل الجنة أو الملكوت في الآخرة أم لا؟ فقـــرر أحـــد المجامع في رومية أنها حيوان نجس لا روح له ولا خلود، ولكـــن يجـــب عليها العبادة، والخدمة وأن يكمم فمها كالبعير والكلب العقور لمنعها من الضحك والكلام لأنها أحبولة الشيطان.[٢]

مكانة المرأة في أوربا قديماً:

هـــبطت مكانة المرأة إلى أدنى دركاتها في أوربا، ويرى الشيخ محمد رشـــيد رضـــا أن النساء في أوربا كن مهينات كالإماء.. والشواهد التاريخية على هذا كثيرة:

يقـــول الفليســـوف هربـــرت سبنسر الإنكليزي في كتابه (علم وصف الاجـــتماع): إن الـــزوجات كـــانت تباع في انكلترا فيما بين القرن الخامس والقـــرن الحادي عشر، وأنه حدث أخيراً في القرن الحادي عشر أن المحاكم الكنيســـية ســـنت قانوناً ينص على أن للزوج أن ينقل (أو يعير) زوجته إلى رجـــل آخر لمدة محدودة حسبما يشاء الرجل المنقولة إليه المرأة . [وشر من ذلـــك مـــا كان للشريف النبيل (الحاكم) روحانياً كان أو زمانياً من الحق في الاســـتمتاع بامرأة الفلاح إلى مدة أربع وعشرين ساعة من بعد عقد زواجها عليه (أي الفلاح) وسنة ١٥٦٧م صدر قرار من البرلمان الإسكوتلاندي بأن المرأة لا يجوز أن تمنح أي سلطة على أي شيء من الأشياء وأغرب من هذا

---

(١) السابق نقلاً عن تاريخ العالم ت/ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية . المعارف المصرية.

(٢) السابق وحقوق النساء ص ١٤.

كله أن البرلمان الإنكليزي أصدر قراراً في عصر هنري الثامن ملك انجلترا يحظـــر عـــلى المرأة أن تقرأ كتاب العهد الجديد أي يحرم على النساء قراءة الأناجيل، وكتب رسل المسيح.[١]

صراع بين آدم وحواء:

إن موقـــف الغرب من المرأة بعامة قد بني على أفكار مشوهة لا حقيقة لهـــا. فالغرب يتصور أن هناك صراعاً بين آدم وحواء، وقد صرحت الكتب المقدسة بكراهية المرأة. وكان الإسلام باعتداله وتسامحه على العكس من هذا الفهـــم تمامـــاً. تقول المستشرقة زيجريد هونكة عن هذا الفكر الغربي الهدام تجـــاه المرأة: "وعلى النقيض من الصراع الأصلي بين آدم وحواء في العهد القديـــم، وكـــراهية المرأة المتفاقمة في الكتابات اللاحقة للإنجيل لدى بولس وتـــرتوليان وكريزوســـتومس Chrysostomus وحتى بطرس دامياني Petrs Damiani الـــتي وضعت مطرقة الساحرات في الظل، فإن الإسلام لا يعرف خطيئة المرأة المتوارثة ولا الصراع بين الجنسين.[٢]

مكانة المرأة في الغرب حديثاً:

ومـــن العجيب أن هذا الفكر ما زال يؤثر في العقل الغربي في نظرته للنســـاء، فالغـــرب الذي انبعثت منه صيحات مساواة المرأة بالرجل وحقوق المـــرأة، هـــو نفســـه يتمسك بتفضيل الرجل على المرأة وعدم مساواتها به، والإحصائيات تثبت ذلك، كما ألمحت السيدة سلفيا آن هولت في كتابها:"حياة مهانـــة أسطورة تحرير المرأة في أمريكا "الصادر عام ١٩٦٨م، وقد أكدت

([١]) حقوق النساء في الإسلام ــ محمد رشيد رضا ، ص ٦٢ ــ ٦٣.

([٢]) الله ليس كما يزعم الغرب، زيجريد هونكة ص ٧٢١.

المؤلفة في كتابها أن الأجر (الراتب الشهري) للمرأة في أمريكا لا يزيد عن نسبة ٦٤% من أجر الرجل عن العمل المؤدى نفسه، وحتى في السويد نفسها تبلغ هذه النسبة ٨١% فقط[1] هذه هي مكانة المرأة في العالم، إهانة وإستذلال وهضـــم لـــلحقوق، أما المرأة في الإسلام فهي شخصية مدللة، من ينكر هذه الحقيقة؟

الإسلام يكرم المرأة ويطلق طاقاتها:

إن المرأة في ظل الإسلام لها مكانة عظيمة، فالإسلام يدعو إلى تكريم المرأة والارتقاء بها وجعلها عضواً فاعلاً في المجتمع، تسخر عقلها وفكرها وطاقاتهـــا لخدمة المجتمع، وأطلق الإسلام طاقاتها وقدراتها حتى برزت في مجـــالات كـــثيرة علمية وثقافية واجتماعية، وأعطاها الإسلام حقوقها كاملة وافيـــة وهـــو ما حرمت منه النساء تحت ظلال المناهج الأرضية والقوانين الوضـــعية، وعجزت عن تحقيقه مؤتمرات النساء العالمية، وجمعيات النساء الدوليـــة المطالبة بحقوق المرأة والمساواة بينها وبين الرجل وأكاد أجزم أن النســـاء في العالم كله لو علمن ما للمرأة المسلمة من كرامة وحفاوة، وما لها من حقوق يفرضها لها الإسلام، لطالبن بالمساواة مع المرأة المسلمة، ولتمنين مكانـــتها، ولـــو علم النساء في العالم حقيقة مكانة المرأة في الإسلام لكانت المـــرأة المسلمة هي المثل الذي يحتذى به، وسنرى الآن كيف يكرم الإسلام المـــرأة فـــي سائر مراحل حياتها، وكيف أفسح لها المجال للمشاركة العلمية والعملية، وأطلق طاقاتها حتى أصبحت رائدة في مجالات عديدة.

---

(1) الإسلام كبديل د/ مراد هوفمان ص ١٩٨.

الإسلام وتكريم المرأة:

دعا الإسلام إلى تكريم المرأة والرحمة بها في سائر مراحل حياتها.فإذا كانت أمًا فإن الإسلام يأمر ببرها وتكريمها ورحمتها، والآيات في ذلك كثيرة ومنها قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً (٢٤)﴾[٢].

وحث النبي ﷺ على بر الوالدين لاسيما الأم وقدمها على الأب في الذكر وأكد على برها وحسن معاملتها لكثرة تعبها وشفقتها وخدمتها ومعاناة المشاق في حمله ثم وضعه ثم إرضاعه ثم تربيته وخدمته وتمريضه، فعن أبي هريرة ﷺ قال : "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم مَن؟ قال: أمك. قال : ثم مَن؟ قال: أمك. قال: ثم مَن؟ قال: ثم أبوك".[٣]

وإذا كانت المرأة بنتاً صغيرة في حجر والديها، فإن الإسلام أحاطها بسياج من الحرمة حتى لا يتعدى عليها أحد، ورغب الإسلام في تربيتهن ورعايتهن وجعل ثواب ذلك الجنة والنجاة من النار.فعن عائشة ــ رضي الله عنها ــ أنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات

---

(١) سورة لقمان آية : ١٤.

(٢) سورة الإسراء آية ٢٣ ــ ٢٤.

(٣) أخرجه البخاري ج ١٠ كتاب الأدب ص ٤١٥ رقم ٥٩٧١ ومسلم كتاب البر والصلة ج ١٦ ص ١٠٢ واللفظ له.

فـأعطت كـل واحدة منهما تمرة ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكل بينهما، فأعجبني شأنها فذكرت الـذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بهَا من النار"[١]

وفي رواية أخرى عنها أيضاً: فحدثته حديثها فقال النبي ﷺ : "من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار"[٢]. وبذلك محا الإسلام الكـراهية الشـديدة من قلوب الرجال تجاه النساء وأبدلها وداً ورحمة ورأفة وذلـك بعدمـا كـان العرب في الجاهلية يدفنون البنات أحياء كراهية فيهن، وخشية العار، أو الفقر، فجاء الإسلام فحارب هذه العادة القبيحة حرباً شعواء حـتى قضى عليها وقد ذكر الله أمرهم في القرآن الكريم في عدة آيات منها قولـه تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقكم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيرا﴾[٣] وقولـه تعـالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [٤] وفي الحديث الشـريف أيضـاً يحذر النبي ﷺ من وأد البنات فيقول: " إن الله حرم عليكم عقـوق الأمهات، ومنعًا وهات ووأد البنات.. "[٥] فالمرأة في مرحلة الأمومة يحرم ظلمها والإساءة إليها، ويحفظ حياتها في مرحلة الصغر.

وإذا كـانت المرأة أختاً، حث الإسلام على صلتها وزيارتها والتصدق عليها إن كانت فقيرة لقوله ﷺ :"إن الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي

([١]) مسلم ج ١٦ باب فضل الإحسان إلى البنات المطبعة السلفية.

([٢]) مسلم ج ١٦ باب فضل الإحسان إلى البنات المطبعة السلفية.

([٣]) المرجع السابق.

([٤]) سورة الأنعام آية ١٥١.

([٥]) النسائي ج ٢ الصدقة على الأقارب – ٢٤٢٠ عن سلمان بن عامر ط مكتب التربية العربي لدول الخليج.

الرحم اثنتان صدقة وصلة "[١] فإن لم يكن لها عائل من أب أو ابن أو زوج ، لزم أحد محارمها النفقة عليها كأخيها أو عمها أو جدها .

وإذا كــانت المرأة زوجة فإن الإسلام أحاطها بالرعاية، وحفظ حقوقها ، وأوصى بالرفق بها، ومن الأمور التي شرعها الإسلام لحماية المرأة:

أ- **المهــر**: وهــو فرض على الرجل تجاه المرأة، إذا أراد الزواج منها أن يدفــع لهــا شيئًا من المـــال كل على حسب استطاعته ولا حد لأقله أو أكــثره، وهــو يطيب نفس المرأة ويرضيها ويؤمن وضعها المالي. قال تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً﴾.[٢]

ب- أوجــب الإسلام على الزوج النفقة على زوجته وتوفير ما تحتاج إليه من طعام ومسكن وخدمة ودواء وإن كانت غنية. فقال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[٣] وفوق هذه الحقوق المادية، أمــر الإسلام بحسن العشرة والمعاملة الطيبة بالمعروف، والصبر عليها وتحمل ما يصدر منها[٤] لقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً (١٩)﴾[٥] وظل النبي ﷺ يوصي بإحســان النســاء طــوال دعوته إلى الإسلام حتى آخر حياته، فعن أبي هريــرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضــلع وإن أعــوج شيء في الضلع أعلاه وإن ذهبت تقيمه كسرته وإن

(١) سورة النساء : ٤.
(٢) سورة النساء آية: ٤.
(٣) سورة البقرة آية: ٢٣٣.
(٤) فقه السنة ــ السيد سابق ج ٢ ص ١٠٦.
(٥) سورة النساء آية : ١٩.

تركته لم يزل أعوج استوصوا بالنساء خيرا "[١] وفي حجة الوداع أوصى النبي ﷺ بالنساء أيضاً كأنه لا يترك مناسبة جامعة للناس إلا ويؤكد على إحسان معاملة النساء، حتى تم له ما أراد من رفع مكانة المرأة في العالم وإثبات حقوقها التي أهدرت في كثير من بلاد العالم. يقول ﷺ :"فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عندكم عوان-أي أسيرات- لا يملكن لأنفسهن شيئاً وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله، فاعقلوا أيها الناس قولي فإني قد بلغت"[٢]

الإسلام يساوي بين الرجل والمرأة:

إن الإسلام لا يفرق بين المرأة والرجل من حيث الإنسانية ومن حيث الأهمية في الوجود، وحاجة كل منهما للآخر لا ينكرها الإسلام بل يقر بها، فالحياة لا تصلح بدون المرأة ومن هنا أبرز الإسلام مكانة المرأة المهمة، وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [٣] وكان النبي ﷺ يؤكد على هذه المساواة فيقول: "إنما النساء شقائق الرجال"[٤] وبلغت حفاوة القرآن الكريم بالمرأة أن خصص القرآن الكريم سورة للمرأة تكريماً، هي سورة النساء حيث عرض لحقوق النساء ولحياتهن الأسرية في جوهر السورة[٥] لا فرق إذاً بين إيمان الرجل وإيمان المرأة فلقد أثبت القرآن الكريم أن إيمان النساء كإيمان الرجال قال

---

(١) مسلم باب الوصية بالنساء ص ٥٨ ج ١٢.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٨٦ ط الكليات الأزهرية.

(٣) سورة النساء آية : ١.

(٤) صحيح سنن أبي داود ج ١ برقم/ ٢١٦ ــ ٢٣٦ تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ط مكتب التربية العربي لدول الخليج.

(٥) الإسلام كبديل د/ مراد هوفمان ، ص ١٩٦.

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾(١) والجزاء لأهل الإيمان تتساوى فيه المرأة مع الرجل قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾(٢) إن هــذا الجزاء يتم لأن النساء يشاركن الرجال في العبادات الاجتماعية كالصلاة والزكاة والحج. قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٣) لقد ساوى الإسلام بين المرأة والرجل حتى في عطاء الأمان والجوار تقول أم هانيء ابنة أبي طالب: "ذهبت إلى رسول الله ﷺ عــام الفــتح فوجدته يغتسل وابنته فاطمة تستره، فسلمت عليه فقال: من هذه، فقلت: أنا أم هانيء بنت أبي طالب، فقال: مرحباً بأم هانيء، فلما فرغ مــن غسله قام فصلى ثمان ركعات ملتحفاً في ثوب واحد، فقلت : يا رسول الله: زعم ابن أمي على أنه قاتل رجلاً قد أجرته، فلان بن هبيرة، فقال رسول الله ﷺ: قد أجرنا من أجرت يا أم هانيء "(٤)

فالمــرأة إذاً فــي ظل الإسلام تجير وتعطى الأمان للأعداء المحاربين وجوارها نافذ لا يطعن فيه أحد أو يبطله. لقد ساوى القرآن الكريم بين المرأة والــرجل في الغالب الأعم من الحقوق والواجبات، تقول المستشرقة زيجريد هونكــة: "القــرآن المقدس الذي يضع الله فيه التعاليم الدستورية الناظمة لكل مجــالات الدين والدولة، والمجالات الخاصة، يؤكد على المساواة بين الرجل والمرأة في الكيان والكرامة وفي علاقتهما مع الله والناس وفي جميع الشئون

(١) سورة الممتحنة آية: ١٠.
(٢) سورة النساء آية ١٢٤.
(٣) سورة التوبة آية ٧١.
(٤) البخاري ج ٦ باب أمان النساء وجوارهن رقم : ٣١٧١.

الروحية والدينية، ومن الناحية الإنسانية والأخلاقية البحتة وكذلك في المسائل الاجتماعية والمالية وحتى إن الأمر متساو لكليهما. جاء في القرآن الكريم في سورة البقرة الآية ٢٢٨(بصدد معاملة النساء من قبل الرجال) ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [١] وتقـــول أيضاً: والأغلب القول إن الرجل والمرأة يمتلكان حقوقـــاً متساوية حسب النوعية، ولكنهما لا يمتلكان حقوقاً متطابقة في جميع الحالات".

مشاركة المرأة في العلم والجهاد:

أفسح الإسلام المجال لطلب العلم للنساء والرجال على حد سواء، وحث على الازدياد من العلم وجعل مكانة العلماء أرقى من مكانة غير العلماء قال تعـــالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[٢] وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[٣] وفي الحديث يقول النبي ﷺ :"من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة" [٤]

وقـــد اشتركت النساء مع الرجال في اقتباس العلم فكان منهن راويات الأحـــاديث النـــبوية والآثـــار، يـــرويه عنهن الرجال والأديبات والشاعرات والمصـــنفات فـــي العلوم والفنون المختلفة، وقد طالبت النساء النبي ﷺ أن يخصهن بيوم للتعليم فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيـــه تعلمـــنا ممـــا علمك الله"[٥] وعندما لحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى، كان

---

(١) الله ليس كما يزعم الغرب ص ٦٩ ـــ ٧٠ ، ص ٧٣.

(٢) سورة طه آية ١١٤.

(٣) سورة الزمر : ٩.

(٤) مسلم باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم والذكر.

(٥) السابق: باب فضل من يموت وله ولد فيحتسب ج ١٦ ص ١٨١.

أزواجــه خيــر مبلغ عنه، وخير مرجع في الاستفتاء، وكان الرجال والنساء يرجعون إلى أمهات المؤمنين في كثير من أحكام الدين لاسيما الزوجية. وقد برزت النساء في فروع العلم المختلفة على مدار التاريخ الإسلامي وفي أكثر مــن بقعــة مــن العالم الإسلامي تقول المستشرقة زيجريد هونكة :"إن جيل النساء في القرون الأولى للإسلام يجسد تماماً جيل النساء المتمتعات بالحرية، المســتقلات الواثقات بأنفسهن في صدر الإسلام، حيث كن يلعبن دوراً قيادياً فوق ساحة المعركة، وفي الحياة العامة، فها هي زوج الرسول عائشة تمارس نفــوذاً مــرموقاً في جمع الحديث وتبيانه .. .. كما كان السرور يعم بلاط الأمويــين من قصص النساء الفخورات اللواتي أسرن قلوب الرجال ودفعن بهــم إلى أعمال بطولية. هذا أعظم اعتراف بالنسبة بفضلهن بالنسبة للرجل، كما كانت النساء يتعلمن في المسجد حتى كبار الفقهاء أسندوا منصب القضاء للنساء وشاهد المرء محاميات يترافعن في الجوامع، ويلقين محاضرات عامة، ويفســرن القوانيــن وبــرزت منهن محامية للدولة أثنى عليها بلقب رئيسة المحاميات، كما برزت قاضيات وفقيهات، وشاعرات مشهود لهن"[١] وتصف الحضــور القــوي للنســاء في بلاد الأندلس فتقول: " وفاجأت نساء الأندلس الرأي العام من خلال ظهورهن على الملأ بكل ثقة بالنفس، ولم يقتصر الأمر على سيدات المجتمع، بل شاركت النساء العاديات والإماء بفاعلية في الحياة الفكرية والعلوم، إضافة إلى مشاركة عدد كبير من الشاعرات اللواتي عبرن عــن حــبهن أيضاً مثل الرجال، ولمعت منهن الشاعرة ولادة التي كان بيتها ملتقى أدبياً [٢]

---

(١) الله ليس كما يزعم الغرب ص ٧٣ ــ ٧٤.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ٧٦.

نماذج للنساء الرائدات:

إن حرص السلف الصالح على تعليم النساء، دفع بهن إلى المشاركة في بناء الحضارة الإسلامية في مختلف الفنون "فكان من النساء المسلمات الكاتبة والشاعرة كأمثال: عُلية بنت المهدي ، وعائشة بنت أحمد بن قادم، وولادة بنت الخليفة المستكفي بالله .. وكان منهن الطبيبة كأمثال زينب طبيبة بني أوَد التي عرفت بعلاج أمراض العيون، وأم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجاني، وقد كانت طبيبة شهيرة.. وكان منهن المحدثات أمثال كريمة المروزية، والسيدة نفيسة ابنة محمد، وقد ذكر الحافظ ابن عساكر -وهو أحد رواة الحديث- أن عدد شيوخه وأساتذته من النساء كان بضعاً وثمانين أستاذة، وبلغت كثيرات منهن منزلة علمية رفيعة فكان منهن الأستاذات والمدرسات للإمام الشافعي، والإمام البخاري، وابن خلكان، وابن حيان.. وجميعهم من الفقهاء والعلماء والأدباء المشهورين .."[1] وهذا أكبر دليل على أن المسلمين كانوا يهتمون بتعليم البنات حتى أصبحن في مقدمة ركاب العلماء "جاء في مقدمة كتاب المعلمين لابن سحنون" : (إن القاضي الورع عيسى بن مسكين كان يقرئ بناته وحفيداته قال عياض: فإذا كان بعد العصر دعا ابنته وبنات أخيه ليعلمهن القرآن الكريم والعلم وكذلك كان يفعل قبله فاتح صقلية "أسد بن الفرات" بابنته أسماء التي نالت من العلم درجة كبيرة وروى الخشني أن مؤدبًا كان بقصر الأمير محمد بن الأغلب، وكان يعلم الأطفال نهاراً والبنات ليلاً"[2]

([1]) تربية الأولاد في الإسلام ـــ عبد الله ناصح علوان ج١ ص ٢٧٣ ـــ ٢٧٤ ط دار السلام ـــ بيروت.

([2]) نفس المرجع السابق بتصرف ص ٢٧٣.

مشاركة المرأة في العمل الاجتماعي والجهاد:

لـــم يقتصـــر نشاط المرأة المسلمة على مدارسة العلم والنبوغ فيه فقط، وإنمـــا اقـــتحمت المجالات الاجتماعية المختلفة فهاهي تشارك في الغزوات تـــداوي الجرحى وتنقل القتلى إلى المدينة، وتسقي الماء وتقوم بخدمات جليلة في أصعب المواقف، وهذه طائفة من الأحاديث التي تثبت ذلك، عن أنس ﷺ قـــال: " لما كان يوم أُحد انهزم الناس عن النبي ﷺ قال: ولقد رأيت عائشة بـــنت أبي بكر، وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه في أفواههم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان تفرغانه في أفواه القوم"[١].

وعن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصـــار معـــه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى"[٢] وعن الربيع بنت معوذ قالت: "كنا نغزو مع النبي ﷺ نسقي ونداوي الجرحى ونرد القتلى إلى المديـــنة[٣] وعنها أيضًا قالت: "كنا نغزو مع النبي ﷺ فنسقي القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة"[٤] إن المرأة في ظل الإسلام وصلت إلى أسمى درجات العلم والثقافة ونالت من الحقوق ما لم تحصل عليه المرأة قديماً أو حديـــثاً. فلا يصح بأن يقال بأن الإسلام ظلم المرأة أو قهرها أو أغمطها حقها أو جعلها حبيسة البيوت .

---

(١) البخاري: باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال ج ٦ ــ ٢٨٨٠ــ ومسلم واللفظ له، باب غزوة النساء مع الرجال ج ١٢ ص ١٨٩.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) البخاري ج ٦ بابي مداواة الجرحى في الغزو ورد النساء الجرحى والقتلى برقم: ٢٨٨٢ ــ ٢٨٨٣.

(٤) نفس المرجع السابق.

فالمـــرأة فـــي ظل الصحوة الإسلامية تتمتع بالحقوق التي منحها إياها الإســـلام، فهى تلتمس طريق العلم، وتدرس التخصصات المختلفة، ويتاح لها المجـــال لممارســـة العمـــل المناسب لتخصصها، وتتمتع بحق التملك والبيع والشراء والتجارة وبرزت في العالم الإسلامي نماذج من النساء الرائدات في العـــلم والدعـــوة كأمـــثال الدكتورة/ عائشة عبد الرحمن ــ بنت الشاطئ ــ والسيدة الفاضلة الداعية المعروفة/ زينب الغزالي. هذا إلى جانب الكثير من النســـاء اللاتـــي تخصصن في المجالات المختلفة، وعلى مستوى الجامعات العربية والإسلامية والعالمية .

الشبهة الخامسة

التيار الإسلامي والعنف

التيار الإسلامي وصور العنف المختلفة:

يـــتعمد الغرب إلصاق تهمة العنف بالإسلام والمسلمين، وقد يدفعه ذلك إلى افـــتراء الكـــذب أو يصـــف بالعنف أموراً لا تضر ولا تؤذي كاستخدام مكـــبرات الصـــوت فيـــرى مفكرو الغرب أن الإفراط في استخدام مكبرات الصوت صورة من صور العنف! ويصفون الدعاة المسلمين بممارسة أشكال مختلفة من الضغوط على الناس لتقبل الدعوة، يقول فرانسوا بورجا:"وتتراوح أشـــكال العـــنف الـــنابعة من هذا المنظور بين الإفراط في استخدام مكبرات الصوت في المساجد حتى حالات الاغتيال المتطرفة، مروراً بأشكال مختلفة من الضغوط التي يمارسها دعاة نشر الدين الإسلامي."(١)

أهداف العنف:

ثم يشير (بورجا) إلى أن الصحوة توجه عنفها إلى الأقليات المستضعفة فيقـــول: "وغالـــباً ما يكون الهدف المفضل بالنسبة لهذا النمط من العنف هو مواطن الضعف في المجتمع مثل الأقليات الطائفية وهذا الوضع ينتشر بالطبع في المشرق أكثر من المغرب بوجه عام "(٢) .

ويـــرى (بورجـــا) أن هذه الضربات الموجهة إلى مواطن الضعف هذه

---

(١) الإسلام السياسي صوت الجنوب ـــ فرانسوا بورجا ص ١٢٦ ـــ ١٢٧.
(٢) المرجع السابق ص ١٢٧.

تقوم في الواقع بدور التنفيس عن رغبة مواجهة الدولة ذلك الهدف المفضل، ويــتفق معــه (آلان روسيون) فيقول في هذا الصدد: "إن مهاجمة المسيحيين أسـلوب مجــازي للإشــارة إلى عدم شرعية السلطة دون الاضطرار إلى مهاجمتها بطريقة مباشرة ليس الأقباط فحسب، بل اليهود أيضاً والماسونيين، وأعضــاء نــادي الروتاري .. .. هؤلاء كلهم يمثلون تجسيداً رمزياً للسلطة الكافرة"[١]

عــلى هــذا نــرى أن ظاهــرة العنف التي يتحدث عنها المستشرقون ويصــفون بها الصحوة الإسلامية موجهة في المقام الأول ــ حسب قولهم ــ إلى الخــارجين عــن المــبادئ والأخلاقيات الإسلامية، والأقليات المسيحية وأماكن عبادتها، يقول فرانسوا بورجا: "إن الأهداف الطبيعية والمفضلة لهذه الاســتراتيجية هــي الخمــارات، أو شاربو الخمر وأولئك المفطرون جهراً، وموزعو شرائط الفيديو والمطبوعات التي تعتبر غير أخلاقية، والمرأة التي يفــترض أنهــا لا تحترم قوانين الأخلاقيات الإسلامية، وأماكن العبادة (هذا الهدف الأخير أقل انتشاراً، وهو يستخدم فقط في إطار المواجهات مع الأقلية المسيحية)[٢]

إن المستشــرقين يقدمــون للمجــتمعات الإسلامية صورة دموية، مليئة بالمجــازر وحالات القتل والاغتيالات والتعدي على الآخرين، ويؤكدون أن الســبب في هذا إنما هو التيار الإسلامي الذي يستعدي الجميع، ويبث الرعب في كل مكان.

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٧.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٧.

مناقشة هذه الشبهة

الرد/ التيار الإسلامي يرفض العنف

الدعاة والعنف:

رأينا كيف يزعم بعض المستشرقين أن التيار الإسلامي يمارس العنف بأشكاله المختلفة ومنها ضغوط الدعاة لنشر الإسلام، مع أن الإجبار والعنف ليسا من منهج الإسلام الدعوي ولا من سنة النبي ﷺ الذي يتأسى به الدعاة، والقرآن الكريم نزل وفيه المنهج الأمثل للدعوة إلى الله قال تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[2] والعنف والقسر لا يجمع الناس على فكرة، بل الإقناع والحوار هو الطريق الأمثل لذلك.

العنف والأقليات:

أما زعمهم بأن العنف كان يُوجَّه إلى الأقليات غير المسلمة، فإن الواقع والأحداث التاريخية تثبت أن أهل الكتاب لم يجدوا مكاناً يعيشون فيه أفضل من بلاد المسلمين، وفي ظل هذا التسامح الإسلامي عاش غير المسلمين حتى اليهود، داخل الحضارة الإسلامية، كما تقول السيدة مريم جميلة صاحبة كتاب (رحلتي من الكفر إلى الإيمان):" في ظل التسامح الإسلامي عاش اليهود داخل الحضارة الإسلامية أحراراً وانطلقت ملكاتهم الفكرية تبدع في إطار عقائدهم وتبرز كثمار لهذا التسامح، تلك الكوكبة المشهورة من دارسي

---

(١) سورة النحل آية: ١٢٥.

(٢) سورة آل عمران آية ١٥٩.

اليهود،الذيــن لمعــوا تحت الحكم الإسلامي وإن كان ردهم على ذلك انعدام الولاء للمجتمع الذي برزوا فيه"[١].

وإلحاح الإسلام على ضرورة السماحة والتسامح، راسخ في القرآن ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[٢]. ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٣] والجوهر الكامن في هذا الموقــف الشــامل للتقبل المتسامح للآخرين، فكرياً وعملياً، هو الحقيقة التي نص عليها القرآن حقاً، وجعلها أصلاً أساسياً في العلائق وحرم انتهاكها على الخلائق ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[٤].

وبــناء عــلى هذا المبدأ القرآني الذي لا يقبل الجدل لم تتعرض دور العــبادة لغير المسلمين لأي سوء بدليل وجودها إلى الآن في بلاد المسلمين وتوجه أهلها إليها عابدين أو زائرين.

العنف بين الإسلام والمذاهب الوضعية:

إن الفكر الإسلامي الصحيح لا يولد عنفاً بل يرفضه، ويؤثر عليه اللين والــرفق وفــي الحديــث الشريف عن أم المؤمنين السيدة عائشة–رضي الله عــنها–أن النبي ﷺ قال:"إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطــي عــلى العنف وما لا يعطي على ما سواه"[٥]،وورد حول هذا المعنى أحاديث كثيرة، بل إن أصحاب كتب الحديث جمعوا أحاديث الرفق وجعلوها فــي باب قائم بذاته، ففي الأدب المفرد للبخاري نجد فيه (باب فضل الرفق)

---

(١) حقائق الإسلام بين الجهل والجحود. الأستاذ عبد المجيد صبح. ص ٤٥٠ ــ ٤٥١.

(٢) سورة الكهف آية ٢٩.

(٣) سورة يونس آية ٩٩.

(٤) سورة البقرة آية ٢٥٦ ــ نقلاً عن الإسلام كبديل للدكتور / مراد هوفمان ص ١١٦.

(٥) أخرجه مسلم كتاب البر ــ باب فضل الرفق رقم ٢٥٩٣: نقلاً عن نزهة المتقين ج ١ ص ٤٥٦.

وفي صحيح مسلم (باب فضل الرفق) وفي كتاب رياض الصالحين نرى فيه (بـــاب فضل الحلم والأناة والرفق) وغيرها من كتب الحديث ولم يحدث فيما أعــلم أن المحدثين جعلوا باباً للعنف بعنوان (باب فضل العنف والتمسك به) ذلــك لأن العــنف لا يدعــو إليــه الإســلام، وعلينا أن نوجه السؤال إلى المستشــرقين: هــل أثبت المستشرقون أن الإسلام يولد العنف أو ينادي به؟ وهــل أثبت المستشرقون أن المذاهب الوضعية المادية والعلمانية بريئة مما يجري على الساحة من أحداث العنف.

يقــول فرانســوا بورجــا: "علينا بعد ذلك أن نتساءل ما إذا كان عنف الإســلام السياسي مجرد عنصر ملازم للإطار المرجعي الأيديولوجي الذي يقال عنه إنه (أبدي) والذي يرجع إليه مناضلو هذا التيار؟ أم ما إذا كان هذا العــنف يرجع فقط إلى الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها أولئك المناضــلون؟ لــم يحاول أي مؤرخ–جدير بأن يحمل هذا اللقب ــ إثبات أن الإسلام أفرز قدراً من العنف أكبر مما أفرزه أي مذهب علماني أو مادي"[١] فــالمذاهب الوضــعية لها يد طولى في إفراز العنف في المجتمعات، فلماذا يلصــق العــنف بالإسلام وحده ويتغاضى عنه عند الآخرين؟ أليس في ذلك جور وتحيز من المستشرقين ؟

الأوضاع الاجتماعية والعنف:

وإذا كــانت المذاهــب الوضعية تتسبب في إفراز العنف، فإن الأوضاع الاجتماعية المتردية كالبطالة والفساد السياسي والفقر تساعد أيضاً على إفراز العــنف يقــول فرانسوا بورجا:"إن هذا العنف ليس حصيلة عنصر بعينه في

(١) الإسلام السياسي صوت الجنوب ، فرانسوا بورجا . ص ١٢٩ ــ ١٣٠.

ظاهرة الإسلام السياسي لكنه حصيلة النظام الاجتماعي برمته في فترة ما من تطوره التاريخي.[١]

العنف مسؤولية الجميع:

إن ظهـور العـنف السياسـي ليس مرتبطًا بالفكر الإسلامي أو بالتيار الإسـلامي، فهـناك تيـارات أخرى يموج بها المجتمع تشارك وتتفاعل مع أحـداث المجـتمع، ومـن الظـلم الواضح أن نحمل التيار الإسلامي تبعات وأخطاء الجميع لابد إذًا من "إثبات خطأ ذلك الاعتقاد السائد أن ظهور العنف السياسي في الأوطان العربية كان دائمًا مقرونًا ببروز التيارات (الدينية) فقط لأن الواقـع يـدل في (الغالب) على عكس ذلك أي أن العنف السياسي كان الشـيء الوحيـد الذي يتساوى فيه الجميع سواء كانوا مسيحيين أو مسلمين، معارضـين أو حكامًا، علمانيين أورجال دين، يسارًا أو يمينًا.. ..إلخ[٢] . بل إن مـا وقع في القلائل من المنتسبين إلى الصحوة الإسلامية لا يساوي شيئًا بالقياس إلى ما ارتكبه المنتسبون إلى التيارات الأخرى في بلاد المسلمين أو في غيرها.

العنف ظاهرة عالمية:

إن العـنف ظاهـرة عالميـة عامة لا تخص المسلمين فحسب، بل إن وجودها خارج العالم الإسلامي أشد وأقوى يقول جون اسبوزيتو: "إن العنف والإرهـاب والظـلم مسائل موجودة في العالم الإسلامي كما في بقية أنحاء العالم الأخرى، وهذه المسائل كانت ولا تزال تجد مبررات لها باسم المسيحية

---

(١) المرجع السابق، ص ١٣٠.

(٢) المصدر السابق ، ص ٧٠.

واليهودية والأيديولوجيات العلمانية مثل الديمقراطية والشيوعية"[١]. ولا نذهب بعيــداً إذا قلــنا إن حوادث العنف والإرهاب والجرائم والعصابات المحترفة للجريمة بأنواعها أكثر انتشاراً وتواجداً في بلاد الغرب، وأن العالم الإسلامي هو الأكثر أماناً من غيره من بلاد العالم غير الإسلامي، إنه عنف يرجع إلى فقــدان العــادات والــتقاليد النبيــلة وإلى انهيــار الجانب الأخلاقي في هذه المجتمعات.

فيوجد عنف آخر ليس وراءه أيديولوجيات دينية أو غيرها، منتشر بكثرة في بلاد الغرب، ويرجع ذلك إلى انهيار الأخلاق والقيم، وبتتبع الأحصائيات نجد أن الجريمة أكثر اتساعاً وانتشاراً في بلاد الغرب بطريقة أدخلت الرعب والفزع في قلوب الناس فلا يأمنون على أنفسهم عند الخروج ليلاً أو الخروج بمفردهم وإلا سيكون صيداً سهلاً للعصابات المتربصة هنا وهناك والثمن إما أن يجــرد من كل شيء أو يدفع حياته ثمناً لهذا ثم يلقي به في أحد صناديق القمامة كأن شيئاً لم يكن.

وهــذه بعض أخبار وإحصائيات من بلاد الغرب تشير بانتشار الجريمة وتــناميها واتساع نطاقها لدرجة أدخلت الرعب في قلوب الكبار قبل الصغار ففــي أمريكا أجرت إحدى شبكات التلفزيون مقابلة مع مجموعة من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين خمس وسبع سنوات حيث سألهم معد البرنامج عن مــدى توفــر الأمن والسلامة في الحي الذي يسكنون فيه، وكم كانت دهشة الجميع حين أعرب هؤلاء الأطفال عن عدم رغبتهم في اللعب خارج منازلهم خوفاً من أن تصيبهم رصاصات طائشة يطلقها رجال بيع المخدرات لتصفية

---

(١) مجلة المجتمع عدد ١٠٣٨ ص ٢٨.

حســاباتهم مــع المــترددين عــليهم أو على مجموعة بدأت تنافسهم في بيع المخدرات في الحي الذي يسيطرون عليه[١].

وفــي ألمانيا تشير الإحصائيات إلى ارتفاع معدل الجريمة بكل أنواعها، من ٣,٨ مليون جريمة عام ١٩٨٠م إلى ٦,٣ مليون جريمة عام ١٩٩٢م أي من ٦٢٠٠ إلى ٨٠٠٠ جريمة لكل ١٠٠ ألف نسمة من السكان خلال الفترة نفسها[٢].

وقــد وصــلت حوادث الاعتداء الجنسي على الأطفال في ألمانيا زهاء ١٧,٠٠٠ حادثة في العام الواحد، أي حادثتان في الساعة الواحدة، هذا فقط ما يصل إلى دوائر الشرطة، أما العدد الحقيقي فهو أكثر من هذا[٣].

وتأتي في المرتبة التالية حوادث الضرب المبرح داخل نطاق ما يسمى (الأســرة) فتقول دار هارنبيرج في كتابها الإحصائي السنوي: "إن عدد من يقتل من الأطفال بذلك يزيد على ألف طفل سنوياً، أما عدد من يترك الضرب المــبرح آثــاراً جســدية دائمــة دون موت لديهم، فيصل إلى ثلاثمائة ألف سنويًا"[٤]

حوادث العنف في الغرب لا ترحم الأطفال :

ففــي فرنسا قالت صحيفة "لوموند للتربية" في يونيو ١٩٩١م إن "العنف مع الأطفال عادة في فرنسا".

والمجــلة الطبية"جينير الست"عدد/١٠٢٠ قدمت إحصائيات جاء فيها أن

---

(١) المرجع السابق عدد ١١٣٠ ص ٣٦.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق ص ٢٥.

٤٠% من الأطفال الذين يساء معاملتهم رضع وأقل من سنة و٨٠% أقل من ثـــلاث سنوات، وهذه بعض الشهادات التي تناقلتها وسائل الإعلام الفرنسية: الطفلة لوتيسا (٤سنوات) ماتت جوعًا بسبب إهمال والديها لرعايتها، والطفل فـــريدريك (ســـنتان ونصف) ضرب وأحرق حتى الموت بحمام ساخن، أما الطفـــل جيروم (١٤شهراً) فقد ضرب وأحرق بولاعة سجائر والمسئول عن ذلك والده المخمور، وتحدث جون كلود دولاري صاحب التقرير عن "مظاهر العنف لدى الشباب" أمام القناة التليفزيونية الإخبارية LCI يوم ١٩٩٤/٨/١٥ عن هذا الموضوع موضحًا بأن مصدر العنف لا يقتصر على الكهول بل إن هناك عنفاً آخر مصدره الشباب على الأطفال سواء في الطريق أو المدرسة حيث رصدت حالات عديدة من عمليات السلب التي تعرض لها الأطفال من طرف أنداد لهم منحرفين يعمدون إلى السرقة خاصة من أجل الحصول على ما يحتاجون إليه من مخدرات[١].

أما في بريطانيا:

فقـــد أديـــن مؤخرًا طفلان في سن العاشرة بقتل طفل صغير لا يتجاوز السنتين من العمر ضرباً بالحجارة ثم إلقاؤه على سكة القطار للتمويه بأنه قتل في حادث قطار.

وتشير إحصائيات الشرطة إلى أن عدد الجرائم بلغ حوالي ١,١١٣,٠٠٠ جريمة أي بمعدل ١١ ألف جريمة يومياً. وقد ازدادت جرائم الاغتصاب في بـــريطانيا مـــنذ عام ١٩٨٩م ، وحتى الآن بنسبة ٣٢% حسب الإحصائيات الرســـمية بينما زادت جرائم سرقات البيوت بنسبة ١٢٧% منذ عام ١٩٧٢م وحتى الآن.

---

(١) مجلة المجتمع عدد ١١٣٠، ص ٢٨.

يقــول بعــض الاختصاصـــيين: إن ازدياد الجرائم هو ظاهرة متوقعة ومـــرافقة لزيادة عدد البطالة التي تجاوزت المليونين، ويعتقد الاختصاصيون أن هــناك علاقـــة حميمة بين زيادة الجرائم وانهيار السيطرة الأخلاقية عند الشـــباب خصوصـــاً وأن العقاب أقل كثيراً من عنف الجريمة بسبب امتلاء الســجون ومــرونة القانون البريطاني خصوصاً تجاه جرائم العنف والقتل، وتنتشـــر الآن الجـــرائم في معظم المدن البريطانية وعلى رأسها لندن حيث يـــتخوف الـــناس من استعمال سيارات الأجرة وقطارات الأنفاق ليلاً بسبب احـــتمال الـــتعرض إلى الحوادث المختلفة خصوصاً السرقات والاعتداءات الجنســـية. وفيمـــا يلي جدول يبين نسبة الجرائم في انجلترا وويلز منذ عام ١٩٨٢م وحتى عام ١٩٩٠م [١]

الجريمة	نسبة الزيادة
سرقات	٥٢%
سرقة بيوت	٢٢%
جرائم عنف	٦%
تخريب إجرامي	١٦%
تزوير واحتيال	٣%
جرائم أخرى	١%

وفي كندا:

توضح سجلات مؤسسة (إحصائية كندا) التطور الهائل الذي عرفه عدد عصابات الأحياء والطرقات في مدينة منتريال وحدها خلال العشرية الأخيرة

(١) مجلة المجتمع عدد ١١٣٠ ص ٢٨.

(١٩٨٥-١٩٩٥) حيث قفز هذا العدد من ٣ عصابات سنة ١٩٨٥ إلى ٩٥ عصابة سنة ١٩٩٥م تضم في صفوفها مالا يقل عن ١٣٠٠ شاب وشابة .. .. وتبدو هذه العصابات عنيفة أكثر من اللازم حيث تتجه عناصرها إلى ممارسة العنف، وخاصة على طلاب المدارس الثانوية مستعملين في ذلك أنواعاً عديدة من الأسلحة يحصلون عليها من عصابات أخرى أكثر احترافاً للجريمة كعصابات (الدراجات النارية) التي لا تتردد في تسليح هؤلاء الشباب مقابل الخدمات التي يحصلون عليها منهم .. .. وجاء في آخر سبر للآراء أجرته مؤسسة معروفة جداً بكيباك أن ١٠% من سكان مدينة مونتريال قد صرحوا بأن تخوفهم الأكبر هو تزايد مؤشرات العنف في المدينة .. .. وفي العاصمة الفيدرالية (أوتاوا) وحدها تفيد الإحصائيات الأخيرة أن عدد حالات القتل قد تطور خلال سنة ١٩٩٤-١٩٩٥م من ٨حالات إلى ٢٠ حالة، وقال مفتش شرطة المدينة: إنه يتوقع زيادة تطور هذا العدد خلال السنوات القريبة القادمة بسبب زيادة عدد سكان المدينة[1].

هذه بعض إحصائيات قليلة تشير إلى تنامي العنف والجريمة في الدول الغربية بوجه عام، ومع ذلك تقلب الحقائق ويتهم العالم الإسلامي بالعنف، ولا أدري هل يصدق العقل الغربي هذه الادعاءات ويتغاضى عما عنده من مآس. وأتساءل دائماً: لماذا يغرر بالعقل الغربي ولصالح مَن ؟

التيار الإسلامي يرفض العنف:

إن الحقيقة التي يغفلها كثير من المستشرقين أن التيار الإسلامي يرفض العنف، وإن وجدت حالات فردية فلا ينبغي أن يعمم حكمهما على الجميع،

(١) المرجع السابق عدد ١١٩١ ـــ تاريخ ١٢/ ٣/ ١٩٩٦م ص ٤٣.

لاسيما وقد أثبت أحد المستشرقين أن التيار الإسلامي يرفض العنف كأسلوب عمــل مــنظم، يقــول فرانسوا بورجا:" وترفض الغالبية العظمى للتيارات الإســلامية الموجــودة عــلى الساحة في شمال أفريقيا العنف كأسلوب عمل منظم"(١)

إن حـــالات العـــنف الـــتي توجـــد في بعض المجتمعات أو التجمعات الإسلامية حالات فردية لا ينبغي أن تعمم على واقع الدعوة الذي يشارك فيه ملايين في مختلف أنحاء العالم.

المسلمون والرغبة في الإسلام:

وفـــي مقابـــلة أجـــرتها مجلة (دير شبيجل) الألمانية مع خبير الشؤون الإســـلامية البروفســـور جيـــل كيـــبل الذي يعمل أستاذًا في المركز القومي للأبحـــاث العـــلمية في فرنسا، أعلن أنه "على المرء أن لا يفهم الدين وكأنه مجـــرد تعـــليمات إســـلامية ثورية تولد بالضرورة حركات متشددة إذ أغلب المســـلمين فـــي العالم والذين يبلغ عددهم نحو مليار مسلم يرغبون أيضًا في العيش بسلام مثل الجماهير المسيحية"(٢).

المسلمون وحوادث العنف في العالم:

أمـــا حـــوادث العـــنف والتفجير التي انتشرت في بعض البلاد العربية، والغـــربية حيـــث توجد الأقليات المسلمة والتي غالبًا يلقى فيها الاتهام على المسلمين جزافاً بغير دليل واضح، فإن كثيراً من الساسة والمحللين السياسيين بل وقادة التيار الإسلامي يعلنون براءة الحركات الإسلامية من هذه الجرائم،

---

(١) الإسلام السياسي صوت الجنوب ص ٦٩.

(٢) جريدة الوطن الكويتية عدد ٦٨٣٢/ ١٢٧٨ ـــ ١٥/ ١٢/ ١٩٩٥م.

وأشـــاروا إلى أن هـــذه الجـــرائم مدبـــرة، ويقـــف وراءهـــا بعض أجهزة الاســـتخبارات المعاديـــة للمســـلمين لإقحامهم بها وبالتالي يتم تشويه صورة الإســـلام والمســـلمين فـــي العالم، وتعميق الكراهية في قلوب غير المسلمين واستعداء الناس على المسلمين فكراً وسلوكاً .

وهذه تعليقات وتصريحات لبعض الساسة حول عمليات العنف والتفجير إثر حدوثها في عدة مدن عالمية:

نقـــلت جريدة الوطن الكويتية خبراً بعنوان: "جهات أجنبية بينها الموساد متورطة بانفجار نيويورك".

كشـــفت تقارير سياسية ودبلوماسية تلقتها الخارجية المصرية- اليومين الماضـــيين-عن تورط جهات أجنبية من بينها جهاز الموساد الإسرائيلي في حادث لإنفجار نيويـــــورك، وأن هناك حملة مدبرة للزج بأسماء عرب في هـــذا الحـــادث، وأن الـــبـــلاغات الـــتي وصلت لجهات التحقيق الأمريكية مصـــدرها جهـــات معادية للعرب والمسلمين، وأثبتت التقارير بوجود حملة مدبرة لتشويه صورة العرب والمسلمين أمام الرأي العام العالمي، والأمريكي بوجه خاص(١)

وتحـــت عنوان :"سفير سوريا بالقاهرة انفجار نيويورك تدبير إسرائيلي" قالت جريدة القبس: " أكدت مصادر دبلوماسية عربية في القاهرة وجود دلائل قوية على تورط الموساد الإسرائيلي في حادث تفجير المركز التجاري الدولي فـــي نيويورك، وأن جهات التحقيق الأمريكية لم تتوصل إلى أدلة حتى الآن تؤكـــد ضـــلوع المتهمين العرب المقبوض عليهم في تنفيذ هذا الحادث. وقال

(١) المصدر السابق عدد ٦١٣٧ / ٥٨٣ ــ ٣/ ٩/ ١٩٩٣م.

السفير السوري في القاهرة عيسى درويش: إنه لا يستبعد ضلوع الموساد في تلك العملية خاصة وأن هدفها الرئيسي هو الإساءة للعرب والمسلمين وتشويه صورتهم أمام الرأي العام العالمي بصفة عامة والأمريكي خاصة."[١].

وبعـد حادث إلقاء قنبلة على باص سياحي بمصر، نقلت جريدة الشرق الأوسـط الدولية نفي أحد قادة التيار الإسلامي مسؤولية الحركات الإسلامية عن مثل هذه الحوادث فقالت:

"نفـي صـفوت عبد الغني قائد الجناح العسكري للجماعة الإسلامية، والمـتهم باغتيال فرج فوده ورفعت المحجوب علاقة الجماعة بالعملية وقال: إن الموساد وراء مثل هذه العمليات .

وقـال صـفوت عـبد الغـني في تصريح للشرق الأوسط: إن الجماعة الإسـلامية بريئة من هذا الحادث ضد سفك الدماء وترويع الآمنين والمجتمع الإسلامي.

وقال: إن الجماعة الإسلامية لا تنتهج منهج تكفير المجتمع حتى تبيح دم أفراده، فيما أشار إلى تورط الموساد الإسرائيلي بارتكاب هذه الأعمال لزيادة تصـعيد العنف في مصر. والاحتمال الأضعف ـ في نظره ـ هو مسؤولية بعـض الفصـائل الإسلامية التي تقوم فلسفتها على جواز القتل وسفك دماء الأبـرياء بذنـب المجـتمع الجاهلي الكافر، وحدد جماعة التكفير والهجرة والشـوقيين، لكـنه عاد وأنكر قدرة هذه الجماعات على تنفيذ أعمال إرهابية بمثل هذه الدقة"[٢]

---

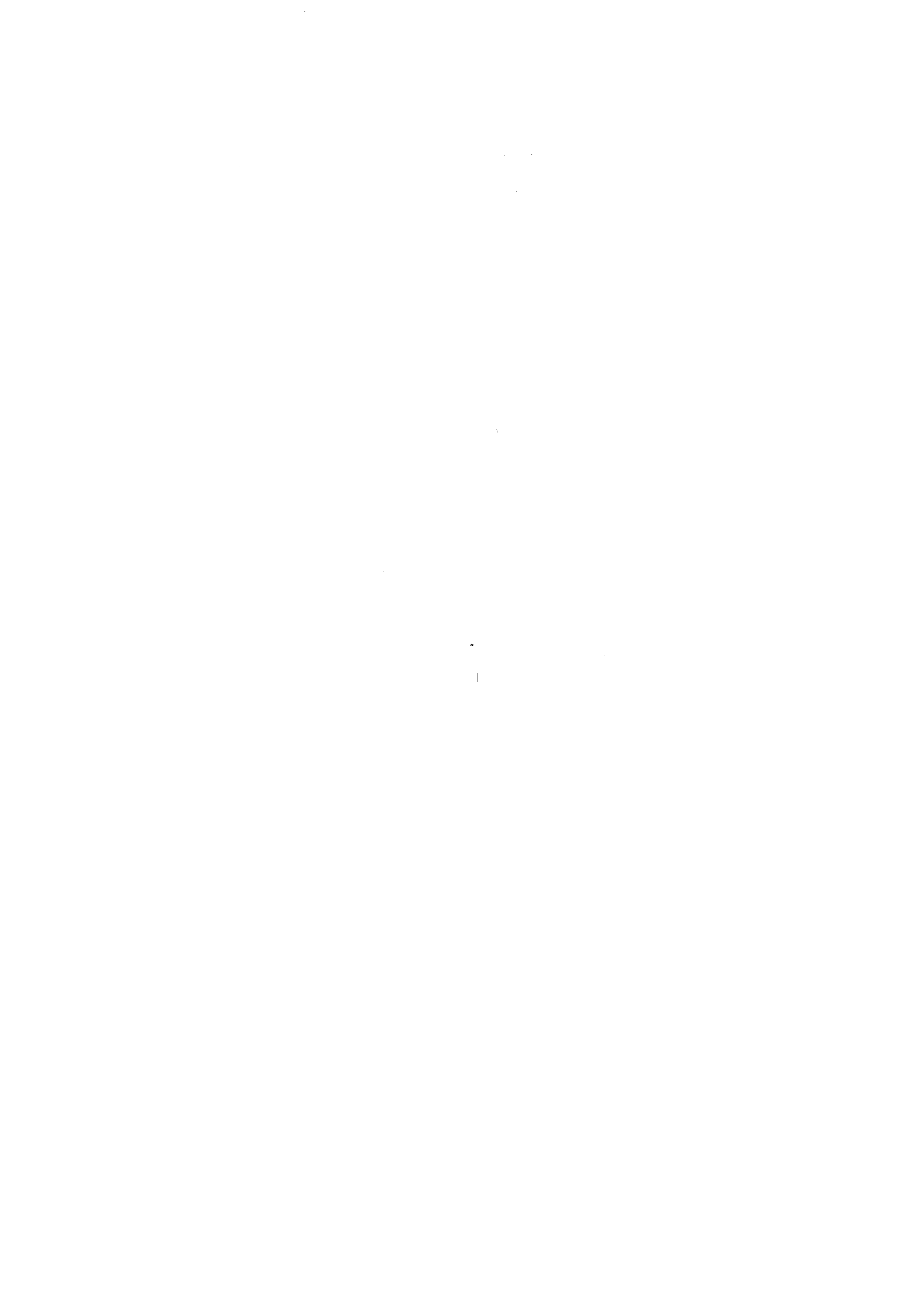
(١) جريدة القبس الكويتية عدد ٧٠٩٧ – ١٧/ ٣/ ١٩٩٣م.

(٢) جريدة الشرق الأوسط عدد ٥٣٠٧ ـ ٩/ ٦/ ١٩٩٣م.

وحول حادث تفجير مقهى وادي النيل بالقاهرة:

اتهـــم الأســـتاذ إبراهيم شكري رئيس حزب العمل إسرائيل بأنها وراء جريمة انفجار القنبلة في مقهى وادي النيل بميدان التحرير –الجمعة الماضي– وقـــال: إنه يلمح أيادي صهيونية وراء الانفجار وناشد قوات الأمن المصرية إلى تكـــثيف البحث في التحريات لاكتشاف الجاني الحقيقي[١]. وهكذا فالتيار الإســـلامي لـــم يجعـــل مـــن العنف أداة خطاب له، بل يرفض العنف شكلاً وموضوعاً، فهدي الإسلام الرفق والسهولة واليسر وذلك ما تأسس عليه منهج التيار الإسلامي.

(١) جريدة الرأي العام الكويتية ٣/ ٣/ ١٩٩٣م.



الفصل السابع

أساليب ووسائل المستشرقين لتشويه الصحوة الإسلامية

﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ﴾

أساليب المستشرقين لتشويه الإسلام والصحوة:

سلك المستشرقون كل الطرق لتشويه الصحوة، وتنفير الغرب منها، فلا يعــرفون عن الإسلام والمسلمين والصحوة إلا كل قبيح زوراً وبهتانًا ،وقام الغــرب بإخفاء المحاسن وتم إبدالها بمساوئ وأصبحوا يلصقون بالإسلام كل منكر من القول وزوراً.

أساليب المستشرقين لتشويه الإسلام:

كـــان المستشرقون الأوائل يستخدمون عدة طرق للطعن في الإسلام وما يتصل به من عقائد وأخلاق وتشريعات بل وشخصيات، كان سبيلهم في ذلك:

١- تأليف الكتب في الموضوعات المختلفة عن الإسلام.

٢- إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام وبلاده وشعوبه.

٣- إمداد إرساليات التبشير بخبراء من المستشرقين.

٤- إلقـــاء المحاضـــرات فـــي الجمعيـــات العلمية والجامعات، وربما دعا المستشرقين لبث سمومهم في بعض الجامعات العربية والإسلامية.

٥- نشر المقالات في الصحف الأجنبية أو العربية.

٦- عقد المؤتمرات وتبادل وجهات النظر.

٧- إنشـــاء الموسوعات العلمية والإسلامية والشرقية بوجه عام لدس الأفكار

الســـامة فيهـــا مثل: دائرة المعارف الإسلامية ومن المعروف أنها ملئت . بالأباطيل عن الإسلام واتسع انتشارها عن طريق الترجمة للغة العربية وغيرها.

٨- إنشـــاء كراســـي الدراســـات الإســـلامية والعربية في جامعات الغرب واستقطاب أبناء المسلمين للتأثير عليهم[١]

وهذا يعني أن آراء المستشرقين، ومزاعمهم لا تنشر إلا في أوساط المثقفين والمحللين السياسيين والأكاديميين وطلاب العلم .

٣- المستشرقون وأجهزة الإعلام:

أمـــا الآن وبعد هذا التطور الكبير في العلوم التجريبية، والطفرة التي حدثـــت فـــي أجهزة الاتصالات والبث المباشر، والتي جعلت من العالم بكل قاراتـــه قرية صغيرة، فأي حدث في الكرة الأرضية ينقل في التو واللحظة، توجـــه المستشـــرقون ومفكرو الغرب إلى الإلقاء بثقلهم وبث مزاعمهم عبر أجهزة الإعلام المختلفة فهي لا تكلفهم إلا قليلاً من الوقت والجهد والمال، هذا إلى جـــانب أن الإعـــلام أشـــد تأثيـــراً وأوسع انتشاراً ، وبعدما كان تأثير المستشـــرقين لا يـــنال غالـــباً إلا الأكاديميين وأوساط المثقفين، أضحى فكر المستشـــرقين بمـــا يحملـــه من زور وبهتان يصل إلى الطبقات المختلفة من الشـــعوب والأمـــم في مختلف الأرجاء البسيطة، وصار من السهولة بمكان تكوين رأي عام معاد للإسلام والمسلمين، وبات الإعلام بأجهزته المختلفة من أمضـــى الأســـلحة في تشويه الإسلام والإساءة إلى المسلمين، ولا ريب أن الإعـــلام شديد التأثير على عقول وعواطف الناس، لأنه لا يفارقهم إلا قليلاً،

(١) الاستشراق د/ مصطفى السباعي ص ٢٦، أجنحة المكر الثلاثة د/ عبد الرحمن الميداني ص ١٣٢ بتصرف.

ولا يتركهم حتى يسلمهم إلى مضاجعهم، ترى كيف يتناول الإعلام الغربي ظاهرة الصحوة الإسلامية؟.

٣- الإعلام الغربي ودوره في تشويه الإسلام والصحوة :

لقـد قام المستشرقون باستخدام الإعلام بقوة لتشويه الإسلام والصحوة الإسـلامية في عقول الغرب، فلقد أصبح الإعلام من القوة والخطورة بمكان حتى انه ليجعل من عدو الأمس صديق اليوم، ومن صديق الأمس عدو اليوم، لقـد كان الإعلام الغربي يتناول الاتحاد السوفيتي على أنه عدو الغرب، فهو يـنكر الأديـان ويتهدد الحضارة الغربية، وبعد انتهاء الحرب الباردة، وضع الإعـلام الغـربي عدواً جديداً ألا وهو الإسلام والمسلمين وقام بشن حملات مكثفة على كل ما هو إسلامي حتى يمكن القول: "أنه لم يلق دين من الأديان أو حضـارة من الحضارات أو أمة من الأمم من التشويه المنتظم والتحريف المستمر في تلك الوسائل مثل ما لقيه الدين الإسلامي وحضارته وأمته"[١]

هـذه الحملات التي كانت يوماً تتعمد الإساءة والتشويه للزنوج والهنود الحمـر والإيطاليين والأمريكيين الجنوبيين ثم تبدل الحال فلم يعد اليابانيون أشـراراً ولا الهـنود الحمر متوحشين، ولا الإيطاليون إرهابيين، ولا اليهود قومـاً جشـعين، وسرعان ما انتقلت هذه التصورات إلى الشخصية العربية الإسـلامية وأصـبحت وحدهـا تماثل الصورة البغيضة لليهودي، الجشع، الفوضوي، الكريه، كما صورته وسائل الإعلام الغربية والأمريكية في فترة مـا قبل الحرب العالمية الثانية، وتم استبدال نجمة داود بالسيف والمصحف

---

(١) جريدة الأنباء الكويتية عدد ٦١٧٣ ــ ١٦/ ٧/ ١٩٩٣م ص ٢٨، تحقيق عن رسالة دكتوراه مقدمة في جامعة الأزهر بعنوان (صورة العالم الإسلامي في الإذاعات الأجنبية الموجهة باللغة العربية) دراسة تحليلية. د/ محمود عبد العاطي مسلم..

والعباءة والقلنسوة اليهودية بالكوفية العربية، الأمر الذي يدلنا على أن التعصب لم يمت ولكن تم استبدال شخصية بشخصية وشعب بشعب.[١] وقد قام الإعلام الغربي ببث تصورات المستشرقين لتشويه صورة الإسلام والمسلمين وتنفير الغرب من كل ما هو إسلامي، وهذه بعض نماذج لمواد مقدمة من خلال الإعلام الغربي.

٤ – صورة المسلمين في الإعلام الغربي:

قام الإعلام الغربي برسم صورة شوهاء للمسلمين في أذهان الغربيين فقد تم:

– إظهار العرب والمسلمين في صورة المتناقضين دينياً مع الغربيين، فهم غير المسيحيين، ومتطرفين يناهضون الصليبيين.

– إظهار المسلمين والعرب في صورة أبطال الروايات الغرامية وألف ليلة وليلة الذين لا يهمهم إلا النساء والشراب.

– إظهار العرب والمسلمين بأنهم مصدر المتاعب والإرهاب والعنف في شتى أنحاء العالم.

– إظهار العرب والمسلمين بأنهم السبب المفاجئ في الأزمة الاقتصادية التي تسود العالم، نتيجة لتحكمهم في أسعار النفط.[٢]

٥– الإثارة الإعلامية:

إن أجهزة الإعلام المختلفة تفتقد المصداقية، والأمانة في إبلاغ الكلمة

---

(١) المصدر السابق ص ٢٨.

(٢) المصدر السابق ص ٢٨.

والحـــدث على الوجه الصحيح وأصبح الإعلام من أدوات التزوير وتزييف الحقائق، وأفلح في إلباس الباطل ثوب الحق.

فعــلى ســبيل المثال عندما قامت مجلة (أتلانتيك) الشهرية بنشر مقال المحــلل السياســي والأكاديمي البارز برنارد لويس بعنوان "جذور الغضبة الإســلامية" حــظى بتغطية إعلامية واسعة محلياً ودولياً وكان له تأثير كبير عــلى المفــاهيم الغــربية و نظرتها للإسلام المعاصر، ودعمت هذه المقالة بصــورة مــثيرة واســتفزازية لجذب انتباه الناس يقول جون اسبوزيتو :"إن رسالة وتأثير كتاب (جذور الغضبة الإسلامية) تعززت بصورة الغلاف لمجلة (أتلانــتيك) الشــهرية ، عن وجه مسلم غاضب وملتح وعلى رأسه عمامة، وصورة الإعلام الأمريكية تظهر داخل عيونه اللامعة".(١)

٦- الصحوة الإسلامية والعنف:

اســتغل الإعلام الغربي الأحداث الساخنة في العالم العربي والإسلامي لرســم صــورة نمطية سيئة للإسلام والمسلمين، مثل قيام الثورة الإيرانية، وتنامي مشاعر التمسك بالإسلام كعقيدة ونظام حكم وسلوك في كثير من بلاد العالم، سواء العربية أو الإسلامية أو الغربية.

وسلسلة المصادمات بين الأنظمة الحاكمة والتيارات الإسلامية، وأبرزها مــا حــدث في عهد الرئيس الراحل "السادات" وأسفر عن مصرعه، هذا إلى جانب العمليات الانتحارية التي شنتها قوى تعلن أنها إسلامية: مثل حزب الله فــي لبــنان على المنشآت والمصالح الأمريكية والغربية في بيروت وبعض الــدول الأخــرى. يقــول جون إسبوزيتو:"على مدى عقد من الزمان كانت

(١) مجلة المجتمع عدد ١٠٣٤ ص ٤٠.

الأنظمة الإسلامية تصنف (الأصولية الإسلامية) على أنها خطر عليها وعلى الغـرب، وتعـزز هـذا الاعتقاد بفضل تأثير الثورة الإيرانية ومفهومها في تصـدير الـثورة الإسلامية، وبتعريف القذافي والخميني بربطهما بالإرهاب الدولـي، وصـورة اغـتيال أنور السادات بواسطة المتطرفين الإسلاميين، وبرفضـهم لـلغرب، والهجوم على المصالح والمنشآت الغربية والمواطنين الغربيين من قبل الجماعات المتطرفة والغامضة في لبنان وأماكن أخرى"[١]

بهذه الأحداث صنع الإعلام صورة مخيفة ومرعبة للحركات الإسلامية، مما دفع بعضهم لتسميتها "بالصليبية الجديدة"[٢] ودقوا أجراس الخطر لمواجهة الصحوة الإسلامية، إذا ما أرادوا لحضارتهم أن تظل مسيطرة.

٧- الصحوة الإسلامية وصلتها بالشيوعية:

اتجهـت وسـائل الإعلام الغربي إلى التركيز على الإسلام وتغطيته، فقامت بعرضه وبسطه وتصويره وتحديد خصائصه وتحليله- تحديداً منذ قيام الـثورة الإسلامية في إيران. لكن هذه التغطية اتسمت بالمغالطات والتشويه المتعمد" حين اعتبروا أن هذه الصحوة الإسلامية تعتبر امتداداً للمد السوفيتي في العالم الإسلامي".[٣]

ومـن ثـم اتخـذت خطـة تعرف باسم هلال الأزمات لمواجهة المد الإسلامي.

هـذه الثورة الإيرانية وما صاحبها من تداعيات حولتها وسائل الإعلام

([١]) مجلة المجتمع عدد ١٠٤١ ص ٣٨.

([٢]) جريدة الأنباء عدد ٦١٧٣ ــ ١٦/ ٧/ ١٩٩٣.

([٣]) جريدة الأنباء عدد ٦١٧٣ ــ ١٦/ ٧/ ١٩٩٣م ص ٢٨.

الغربية إلى ترمومتر لقياس العلاقة بين المسلمين والغرب .[١]

٩- ادعاء معاداة الإسلام للغرب:

حــرص الإعــلام الغربي على إثبات أن الإسلام يكره ويعادي الغرب ويهــدد مصــالحه الحيوية "ففي نوفمبر ١٩٨٠ نشرت جريدة نيويورك تايمز ملخصــاً لندوة عالمية عقدت في سانت لويس حول إيران والخليج والإسلام جاء فيها: إن خسارة إيران بتحويلها إلى نظام حكم إسلامي هي أعظم نكسة عانتها الولايات المتحدة الأمريكية والغرب في الأعوام الأخيرة، وورد أيضاً أن الإســلام بطبيعــته معــاد لــلغرب وللولايات المتحدة الأمريكية وضار بمصلحتها".[٢]

"وفــي ١٩٨٠/١١/٢١م وجه أحد مراسلي شبكة التليفزيون الأمريكية (إن بي سي) سؤالاً إلى البروفسور ج.س.هوروفتز من جامعة كولومبيا حول مــا إذا كــان الفرد مسلماً شيعياً أو سنياً هل يعني أنه معاد للغرب وأمريكا؟ فأجاب الأستاذ الأمريكي بالإيجاب بأن ذلك أمر قاطع لا تردد فيه".[٣]

٩-إبراز تخلف المسلمين وتقدم الغرب:

أما التلفاز وهو الأكبر تأثيراً في الناس، فقد كان له جهد كبير في أبرز هــذه الادعــاءات مدعمة بالصور المناسبة فقد "عرضت شبكة أي.بي.سي" التلفزيونية برنامجاً عن الإسلام وإيران، وروت قصة مفادها: أن الامتعاض والشــك والاحتقار هو رد الفعل الملائم للإسلام، للمحمدية ، لمكة، للحجاب،

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مجلة المجتمع عدد ١٠٤١ ص ٣٨.

للسـنة، للشـيعة، ثم أرفقت إلى جوار القصة صوراً للشباب المسلم الملتحي وهـم يقتـلون بالسـيوف، ويصيحون، ويضربون بعضهم البعض، وصور للصـوفية وهـم فـي ملابس رثة ويكادون يموتون جوعاً، وللفقهاء وللأئمة ولمجموعة من العرب السكارى والمخمورين ولآية الله الخميني في إيران، ثم انـتقل بالـلقطة إلى الشباب الأمريكي الممتلئ صحة وقوة وهم في معاملهم ومراكزهم البحثية في مظهر طيب "[١][٢]

١٠- إبراز أحداث العنف:

ويـتعمد المستشـرقون إبـراز أحداث العنف لإظهار خطورة التيار الإسـلامي، وإذا كان المستشرقون قد رسموا صورة قبيحة للعالم الإسلامي، فـلا بـأس أن يدعمـوا مزاعمهم ببعض أحداث العنف في العالم الإسلامي كاغـتيال الـرئيس السادات وتفجير بعض المنشآت الغربية واختطاف بعض الرهائن الغربيين.

١١- إبراز الثورة الإيرانية:

يتعمد الغرب إبراز الأحداث والاجتهادات الخاطئة التي وقعت بعد قيام الـثورة الإيرانية ويشار دائماً إلى الثورة التي حدثت في إيران وما علق بها مـن سـلبيات، إلى أنها النموذج الحي للإسلام والمسلمين، بغض النظر عن الفـروق بيـن الأقطار الإسلامية والمذاهب المتبعة فيها، مما يعطي انطباعاً بـالخوف والـرعب والنفور من الإسلام والمسلمين، في الوقت نفسه تصبح دليـلاً واضـحاً عـلى افتراءات المستشرقين "وهكذا دائماً فإن تناول مسألة

---

(١) المصدر السابق.

(٢) كأنه من خلال هذا العرض يريد أن يقول إن الإسلام يعجز عن تحقيق السعادة لأهله، وأن الإسلام ليس هو النظام الكفيل بحل مشاكل البشرية، وأن الدين هو سبب تأخر المسلمين كما أن العلمانية وإبعاد الدين من الحياة هو سبب تقدم الغرب.

الإســلام والعــالم الإســلامي يصــل إلى أن هــناك تكتلاً إسلامياً ضخماً (Monolithic Islam) في مكان ما، يعتقد ويشعر ويفكر ويتصرف كجسم واحد، وعــندما يــنظر إليه من خلال المنظار الإيراني وآية الله الخميني .. .. فإن الــنظر إلى كــل المسلمين وإلى كل الأحداث في العالم الإسلامي من خلال مــنظار الخميــني والثورة الإيرانية قد أعطى أثراً وانطباعاً مريحاً بالنسبة للآراء الأمريكية عن الإسلام والشرق والأوسط."[١]

١٣- دور الكاريكاتير:

حــتى ذلــك الجــانب الفكاهي أو الساخر أو الناقد اللاذع المتمثل في الرســوم الكاريكاتوريــة في الصحف والمجلات، استخدمه الإعلام الغربي والأمريكي في معركة تشويه الإسلام والعرب، وقد ركزت هذه الرسوم على موضــوعات مــثل: العــرب والنفط، والعرب والجمل، والعرب والجنس، والعــرب والإرهــاب. لقــد كــانت صــورة العرب والمسلمين في الرسوم الكاريكاتوريــة دائمــاً " بشــارب رهيــب ولحية أكثر رهبة كثّة، وعينين مراوغــتين، وأنــف كــبير معقــوف، وكوفيــة وعباءة رثتين، والنظارات السوداء"[٢]

كمــا لا تــزال هذه الرسوم تصور العرب والمسلمين بالصور القديمة الــبدائية المتخلفة المتعصب دينياً والإرهابي المحب لسفك الدماء، والمخادع الماكر، والنهم للجنس، والمبذر الذي لا يعرف للمال قيمة.[٣]

---

(١) مجلة المجتمع عدد ١٠٣٥ ص ٣٣.

(٢) جريدة الأنباء عدد ٦١٧٣ ــ ١٦/ ٧/ ١٩٩٣م ص ٢٨.

(٣) المصدر السابق.

"كمـــا يصور العربي المسلم حافي القدمين، حاملاً خنجراً، وفي بعض الأحيان الرشاش السوفيتي (كلاشينكوف) وتظهر أرضهم بأنها مجرد صحراء قاحــلة، وآبــار نفـط وســيارات فخمة تحمل النساء اللائى يتشحن بالسواد والوجوه الضاحكة بتشف ولؤم."[1]

فكل أجهزة الإعلام وأساليب الدعاية المختلفة أخذت خطاً واضحاً فـــي عــرض صـــورة مجموعة عن الإسلام والمسلمون فهي حملة إعلامية مكثفة ومنظمة، ذات خطة متقنة، وأهداف واضحة.

الخـاتمـــة

الحمد لله الذي علمنا ما لم نكن نعلم

وكان فضله علينا عظيماً

وأشـــهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، أول بلا بداية، وآخر بلا نهاية، "هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم".

وأشـــهد أن محمـــدًا عبد الله ورسوله، سيد الأولين والآخرين، وخاتم المرســلين صَــلِّ اللهم عليه وعلى آله وصحبه وارض اللهم عن مشايخنا، ووالدينا، والمسلمين، ونحن معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

وبعـد:

فـــإن توفيـــق الله وعونه قد صاحبني منذ بداية بحثي في هذه الرسالة، عــندما توجهــت بجهــدي الضعيف أدافع عن ديننا العظيم وأبطل شبهات المستشرقين.

---

(١) المصدر السابق.

وبداية قد تحدثت في الفصل الأول عن أمرين:

الأول:

فكـــرة عامـــة عـــن الاستشراق- مفهومه وتاريخه ودوافعه، ووسائل المستشـــرقين، وصلة الاستشراق بالاستعمار، وصلة الاستشراق بالتبشير، ثم تحدثت عن منهج المستشرقين في البحث وتقييم هذا المنهج.

الثاني:

تحدثـــت عن الصحوة الإسلامية مفهومها ومظاهرها، والتنبؤ بالصحوة، والحديث بشيء من التفصيل عن مظاهر الصحوة.

أما الفصل الثاني:

فتحدثت فيه عن اهتمام الغرب بالصحوة الإسلامية، وأسباب رصد الغرب للصـــحوة الإســـلامية والأحـــداث الـــتي زادت من اهتمام الغرب بالصحوة الإسلامية والتيار الإسلامي.

أما الفصل الثالث:

فجمعـــت فيـــه بعض آراء المستشرقين عن أسباب الصحوة الإسلامية وخصائصها، وقمت بعرض آرائهم ووجهات نظرهم المختلفة.

وفي الفصل الرابع:

تحدثـــت فيـــه عـــن المستشـــرقين وصور تشويه الصحوة الإسلامية، والمصـــطلحات التي أطلقها الغرب على الحركات الإسلامية، والصفات التي أطـــلقوها على المسلمين، وقمت بعرض جانب كبير من الاتهامات والشبهات

التي أطلقها الغرب على الإسلام والمسلمين.

أما الفصل الخامس:

وتضـــمن هـــذا الفصل الردود على شبهات المستشرقين السابقة مستدلاً بأدلـــة مـــن الكتاب والسنة ووقائع التاريخ القديم والحديث، لنخلص في نهاية الأمـــر إلى أن الإسلام أسمى وأعلى وأجل من أن تناله شبهات المستشرقين، فقد تهاوت شبهات المستشرقين أمام حقائق الإسلام.

وفي الفصل السادس:

جمعـــت فيه أبرز القضايا والشبهات التي تثار على الصحوة الإسلامية متضمناً الردود عليها، وذلك لأهمية هذه القضايا وحساسيتها الشديدة.

وفي الفصل السابع:

تحدثـــت فيـــه عـــن الأساليب والوسائل الجديدة للمستشرقين، مع القيام بالاستشهاد ونماذج من شبهات المستشرقين عبر الوسائل الجديدة .. .. وفي ســـبيل ذلـــك قمت بالاطلاع على كثير من المراجع المترجمة وكذا المقالات المـــترجمة، وكتب الاستشراق لعلمائنا الأجلاء، وكتب العلماء المعروفين في مجال الفكر والدعوة.. ..

وبحمـــد الله وتوفيقه وعونه، قمت بمعايشة هذا الموضوع بحثاً، وتدقيقاً، وتحقيقاً، ما بين أستاذ في الدعوة أستقي منه توجيهه ونصحه، وما بين مرجع عـــلمي يؤصـــل لدى منهج البحث، وما بين كتاب فكري معاصر يدلني على بعـــض الأفكـــار الهامة لهذا المقام، وما بين صحيفة يومية أو أســـبوعية أو مجلات دورية وما بين مراجع غير عربية مترجمة لا غنى عنها لا سيما في

بحـــثي هـــذا، بعـــد كل ذلك أرى أنه يمكن الخروج من هذه الرسالة بنتائج وتوصيات أوجز أهمها فيما يلي:

١- إن الصـــحوة الإســـلامية واقع ملموس ومشاهد لدى الجميع بمظاهرها المختـــلفة في كل مكان بما ظهر من العودة إلى الدين والالتزام بالسنة، وبعـــث المفاهيم الإسلامية الصحيحة الغائبة عن الأذهان وبإبراز المنهج الإســـلامي الأصيل بديلاً عن المذاهب الوضعية التي أذهبت قوى الأمة المادية والمعنوية.

٢- تكالب أعداء الأمة الإسلامية بشتى فرقهم ونحلهم ومذاهبهم على تشويه الصـــحوة الإســـلامية والقضاء عليها، فقد بدأت تذكرهم بتاريخ الإسلام المجيـــد، وأن هـــذا المريض أوشك أن يسترد قوته فأرادوا القضاء عليه بقضائهم على الصحوة الإسلامية .

٣- عـــلى العلماء والمفكرين واصحاب المنهج الوسطي والفكر المعتدل أن يعمـــلوا على ترشيد الصحوة وتوجيهها حتى لا تقع بين طرفي النقيض الإفراط والتفريط وأن يتابعوا عن كثب الصحوة الإسلامية .

٤- العمـــل عـــلى إقامـــة الـــندوات والمؤتمرات الفكرية، بإشراف الأزهر الشـــريف بصـــفة خاصـــة والمؤسسات الإسلامية بصفة عامة، بصورة دوريـــة لمناقشـــة أنجـــع الوسائل والسبل التي تذود عن حمى الإسلام وحصونه، وتفرق بين الغث والثمين.

٥- ويقـــع أيضاً على كاهل المؤسسات العلمية والفكرية الإسلامية العالمية، المتواجدة ببلاد الغرب جزء كبير من الأهمية والمسؤولية في الدفاع عن

الإسـلام وإبراز محاسنه وسوءات غيره من النحل والمذاهب الوضعية عن طريق الأبحاث والمؤتمرات والندوات والمقالات والأحاديث الإذاعية والتلفزيونية.

وأرى التوصية بهذه الأمور:

١- التوصـية إلى المؤسسات الإعلامية المختلفة بالدول الإسلامية بمعالجة أوجـه القصـور المختـلفة التي تنجم من انحرافات فكرية، مما يجعل البعض يعمم مظاهر الغلو أو الانحراف الفكري على الصحوة الإسلامية بصفة عامة، ولا يكون هذا العلاج إلا عن طريق أهل الذكر من العلماء والمفكرين والدعاة وأصحاب الفكر المعتدل من رجال الإعلام والفكر.

٢- التوصـية بـتزويد المـلحقات الثقافية لسفارات الدول الإسلامية بآراء وردود عـلماء الأمـة الإسـلامية ومفكريها على الشبهات التي توجه للإسلام والمسلمين وسائر الاتهامات التي توجه للإسلام وفكره وشعائره وتاريخه. والعمل على إبراز حقائق الإسلام أمام أباطيل خصومه.

٣- التوصـية للإذاعـات الموجهة باللغات المختلفة أن يكون لها دور في الدفـاع عـن الإسلام، وإظهار حقائقه وإبطال شبهات أعداء الإسلام، واستضافة العلماء والمفكرين لعرض الإسلام بحقائقه الناصعة ودحض شـبهات المستشـرقين، والقيـام بعرض تاريخ الإسلام بطريقة أدبية قصصـية شـيقة تجذب المستمعين للحرص على سماع هذه البرامج، والقيـام بفـتح المجـال للأسـئلة والإجابـة عليها عن طريق العلماء والمفكرين لنشر الفكر الإسلامي الصحيح، وإبطال شبهات المستشرقين.

٤- التوصـية بـإعداد الدعاة، إعداداً جيداً، علمياً وتزويدهم ببعض اللغات

العالميـــة الحية، وإطلاعهم دائماً على أحدث وأبرز الشبهات التي تثار على الإسلام والمسلمين .

٥- إعداد لجان علمية لمتابعة ما يقال عن الإسلام في الغربة، والقيام بإعداد الردود المناسبة على هذه الأقاويل والأباطيل.

٦-تـــأليف الكـــتب وترجمتها إلى اللغات العالمية المختلفة لعرض الإسلام فكراً ومنهاجاً عرضاً صحيحاً وتضمين هذه الكتب الردود على ما يقال في الغرب عن الإسلام.

٧-التوصـــية بكـــتابة المقالات وترجمتها إلى اللغات المختلفة ونشرها عبر الصحف والمجلات العالمية.

٨-التوصية بالتعاون مع أجهزة الإعلام العالمية بصورة رسمية ولو اقتضى الأمـــر عقد صفقات تعاون إعلامية لبث برامج إسلامية علمية وفكرية، أدبيـــة تكون في ثوب قصصي جذاب تعرض من خلاله حقائق الإسلام التي غابت عن كثيرين في بلاد الغرب.

٩-إنشـــاء مؤسســـة لترجـــمة الكتب العلمية والثقافية والفكرية تتبع اتحادًا عامًـــا للجامعـــات العربية والإسلامية ويكون الغرض من ذلك مواكبة الـــتقدم العـــلمي والحضاري في الغرب ومعرفة ما يكتب عن الإسلام والمســـلمين ثـــم يدفـــع بهذه الترجمات إلى الكليات المختلفة كل حسب تخصصه وأن ينشط التعاون الثقافي والعلمي بين هذه الجامعات العربية والإسلامية .

وأخيراً أقول:

وما أبرئ نفسي إنني بشر ..

أسهو وأخطأ ما لم يحمني قدر

ولا ترى عذر بذي زلل ..

من أن يقول مقراً إنني بشر.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجـــــع

١-القرآن الكريم
٢-كتب السنة الستة
٣-الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري د/محمود حمدي زقزوق، ط كتاب الأمة.
٤-أجنحة المكر الثلاثة د/عبد الرحمن حبنكة الميداني ط.دار القلم دمشق.
٥-المستشرقون ومشكلات الحضارة د/عفاف صبرة .ط. دار النهضة العربية القاهرة .
٦- العقـــل المسلم في مرحلة الصراع الفكري د/عبد الحليم عويس ط.مكتبة الفلاح الكويت.
٧- المستشرقون د/نجيب العقيقي ــ ط دار المعارف.
٨- الاستشراق والمستشرقون ــ د/ مصطفي السباعي.
٩- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ــ د/مصطفي السباعي ط.المكتب الإسلامي . بيروت.
١٠- الغـــرب في مواجهة الإسلام ــ د/ مازن المطبقانى ــ ط. مكتبة ابن القيم المدينة المنورة.
١١- الأصـــولية عــلى العـــالم العـــربي ــ د/ريتشارد هرير دكمجيان ــ ت/عبدالوارث سعيد . ط دار الوفاء.
١٢- مقالات المستشرق الأمريكي جون اسبوزيتو بمجلة المجتمع الكويتية.
١٣- الغـــزو الفكـــري والـــتيارات المعاديـــة-بحوث مقدمة لمؤتمر الفقه الإســـلامي الـــذي عقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٣٩٦هـ.
١٤- الفكـــر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي ــ د/ محمد البهي ــ ط

مكتبة وهبة.

١٥- الإسـلام السياسـي:صـوت الجنوب ـ فرانسوا بورجا ـ ت/لورين ذكري. ط. دار العالم الثالث ـ القاهرة.

١٦- أوروبا والإسلام ـ د/عبد الحليم محمود ـ دار الشعب.

١٧- الله ليـس كما يزعم الغرب ـ زيجريد ـ ت/نوال حنبلي ـ ط. دار النشر الألمانية: هوريتسونت.

١٨- الصحوة الإسلامية وهموم الوطن ـ د/ يوسف القرضاوي ـ ط مكتبة وهبة.

١٩- الحركات الإسلامية مصر وإيران ـ د/ رفعت سيد أحمد ـ ط . دار سينا للنشر -القاهرة.

٢٠- لسان العرب لابن منظور ـ ط دار المعارف.

٢١- جريدة الشرق الأوسط الدولية.

٢٢- جريدة الوطن الكويتية.

٢٣- جريدة الأنباء الكويتية.

٢٤- مجـلة المسـلم المعاصر ـ ط.تصدرها مؤسسة المسلم المعاصر . بيروت.

٢٥- الإسلام في العقل العالمي د/توفيق الواعي ط. دار الوفاء . المنصورة.

٢٦- تفسير القرآن العظيم لابن كثير. ط . مكتبة الدعوة الإسلامية

٢٧- جريدة المسلمون الدولية .

٢٨- الإخوان المسلمون. د/ ريتشارد ميتشل ت/ د.محمود أبو السعود .

٢٩- يوم الله الأصولية في الأديان الثلاثة جيل كجيل ت/نصير مروة.ط.دار قرطبة للنشر . قبرص ـ ليماسول

٣٠- مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي ـ كتاب الأمة . قطر

٣١- افـتراءات المستشـرقين عـلى الإسلام ـعرض ونقد د/ عبد العظيم

المطعنى ــ ط مكتبة وهبة.
٣٢- الحــركات الأصولية وأزمة الخليج جيمس بيسكاتوري ــ ط. مؤسسة الشراع العربي ــ الكويت.
٣٣- ابن سعود: ولادة مملكة ــ بنواميشان ــ ط دار الاسود بيروت.
٣٤- أصول الفقه للإمام أبو زهرة ط دار الفكر العربي.
٣٥- الإسلام كبديل ــ د/مراد هوفمان ــ ط مجلة النور الكويتية .
٣٦- في ظلال القرآن ــ للأستاذ/ سيد قطب ــ ط دار الشروق.
٣٧- الإسلام في وجه الزحف الأحمر للشيخ / محمد الغزالي.
٣٨- الملل والنحل للشهرستاني ــ ط عيسى البابى الحلبي.
٣٩- الإسلام والغرب ــ محمد الخير عبد القادر ــ ط. دار الجيل بيروت
٤٠- ما يقال عن الإسلام . عباس محمود العقاد.
٤١- تاريخ الدولة الأموية الشيخ محمد الخضري ط دار الكتب الحديثة.
٤٢- تــاريخ سوريا ولبنان وفلسطين د/فيليب حتى. ت / كمال اليازجي ط دار الثقافة بيروت.
٤٣- الغــرب ضــد العالم الإسلامي ــ بونداريفسكي ط دار التقدم-الاتحاد السوفيتي.
٤٤- محاصرة وإبادة: موقف الغرب من الإسلام ــ د/ زينب عبد العزيز ــ ط المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت.
٤٥- ذكــريات لا مذكــرات ــ الأســتاذ عمــر التلمساني ــ ط دار النشر والتوزيع الإسلامية.
٤٦- حقــائق الإسلام بين الجهل والجحود ــ الشيخ عبد المجيد صبح ــ ط دار الوفاء.
٤٧- جريدة القبس الكويتية.
٤٨- جريدة الرأي العام. الكويتية

٤٩- السياسة الشرعية ــ ابن تيمية ــ ط دار الشعب.
٥٠- تاريخ الخلفاء للسيوطي ــ ط دار القلم بيروت.
٥١- الديــن والثورة في مصر: اليمين واليسار في الفكر الديني ــ د/حسن حنفي ــ ط مكتبة مدبولي.
٥٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الواقع والتطبيق ــ د/ نشأت عبد الجواد ضيف ــ ط مكتبة الحسين الجامعية.
٥٣- المعجم الفلسفي مجمع اللغة العربية .ط المطابع الأميرية.
٥٤- حقــوق النســاء في الإسلام. محمد رشيد رضا ط. المكتب الإسلامي بيروت
٥٥- الإسلام والمرأة المعاصرة.البهي الخولي ط دار العلم بيروت.
٥٦- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ــ العلامة أبو الحسن الندوي ــ ط مكتبة الدعوة الإسلامية.
٥٧- فقه السنة ــ للشيخ/ السيد سابق ــ ط. دار الفكر لبنان بيروت
٥٨- السيرة النبوية لابن هشام ــ ط مكتبة الكليات الأزهرية.
٥٩- الصحوة الإسلامية في الدوريات غير العربية ــ د/محمد محمود ربيع.
٦٠- أحمــد يوسف:الصحوة الإسلامية في منظار الغرب.الإسلام السياسي وتحولات الفكر المعاصر أنديانا.رابطة الشباب العربي المسلم بأمريكا ط ١٩٨١.

الفهـــارس

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

السلام الذهبية للطباعة

٤ ش الحرية من عبد الغفار – الملأة – دار السلام

☎ ٣١٨٤١٦٤